علم التاريخ

دراسة فى مناهج البحث



علم التاريخ

دراسة في مناهج البحث

تأليف

الدكتورة فتحية عبد الفتاح النبراوى
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م

دار الآفاق العربية

القاهرة

دار الآفاق العربية

القاهرة

القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر - ت : ٢٦١٠١٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾

(الأعراف: ٨٩)

محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية:

الحمد لله الذي علم الانسان ما لم يعلم، وهداه إلي الحق وفضله بالعقل علي سائر المخلوقات ، ومن ثم حمله الأمانه التي ناءت السماء والأرض والجبال عن حملها.

من أجل ذلك كانت مسئولية الانسان صاحب الكلمة المدونة مسئولية خطيره، تضع علي كاهل صاحبها واجبات كبيرة تتعاظم عندما تروي هذه الكلمة تاريخ البشرية، وتسجل تاريخ الانسان الذي بني الحضارات وأسس الدول، وأقام المجتمعات المنظمة.

وعندما اختلط الناس، وتعقدت العلاقات الانسانية، وتعارضت المصالح، كانت الحروب والصراعات التي حسمت بانتصار الحق والقوة.

لقد سجل الانسان منذ أن عرف الكتابة انجازاته العلمية والفنية والقانونية والطبية وغيرها، ومن هنا كانت مسئولية المؤرخ الذي عليه أن يدرس وأن يناقش ويحلل التجارب السابقة مستخلصا منها من القيم والسبل والوسائل ما يعين علي استشراف المستقبل من أجل حياة اكثر أمانا ورخاء واستقرارا.

ومن هنا تتعقد مسئولية المؤرخ الذي قد يطلق ليراعه العنان فيسرد الأحداث سردا، أو يصدر الأحكام جزافا، أو ينحاز الي جانب او موضوع أو مبدأ أو قضيه، مما قد يوقعه في أخطاء جسيمه، فقد ياتي السرد مبتورا أو مشوها، وقد تاتي الأحكام ظالمة او غير مقننة أو تحتاج إلي أدله وإثبات مما قد يؤدي إلي ضياع الحقائق أو طمسها أو إخفائها.

وأمام تلك المحاذير، وضع المؤرخون المسلمون الأساليب والمناهج والأسس

التي يجب أن يكتب التاريخ وفقها، وأن تعالج من خلالها القضايا الجدلية والخلافيه الكثيرة التي شهدها تاريخ البشرية بصفة عامة، وتاريخ المسلمين بوجه خاص.

من المسلم به أن كتابة التاريخ الاسلامي قد عانت كثيرا من التشويه والمغالطات، وخطأ التفسير بقصد أو بجهل بالأصول والمصادر.

ومن هنا كانت مهمة المؤرخ المسلم أن يجلي الحقائق، وأن يصحح الأخطاء وأن يطبق الأسس الصحيحة في كتابة التاريخ الاسلامي، وأن يتصدي بموضوعية ومنهجية لمحاولات التشويه، وأن يدعم ما يدون بالأدلة والحقائق. إن هدف هذه الدراسة: علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، أن يؤصل علم التاريخ، وأن يوضح جهود الانسان في تدوينه مع التركيز علي دور العلماء المسلمين في وضع منهجية علمية لكتابة التاريخ.

وإذا كان المستشرقون قد قاموا بدور ملموس منذ مطلع العصور الحديثه في دراسة التاريخ الاسلامي، والاهتمام بمصادر المخطوطة وتحقيق الكثير منها، فقد بات محتما علي المؤرخين المسلمين أن يقوموا بمسئولياتهم كاملة خاصة وقد أدي الرعيل الأول من مؤخي الاسلام المحدثين واجبهم كاملا مما تحفل به مكتبات العالم.

إن علي مؤرخي هذا الجيل مسئوليات متنوعة، فعليه أولا إعداد جيل جديد من المؤرخين، مسلحا بالوسائل العلمية التي أتيحت له ولم تكن متاحة لهم، جيل يؤهل لمواجه تحديات القرن القادم في ظل ثورة التكنولوچيا والمعلومات.

وبعد فهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب، أهديها للباحثين والدارسين والمهتمين بالدراسات التاريخية، وقد رايت أن أضيف إليها ما وجدتة مفيدا، بالاضافة الي بعض التصويبات اللازمة.

وأدعوا الله ان يهدينا سواء السبيل، وأن يسدد علي طريق الرشاد والتوفيق كل جهد مخلص يهدف الي البحث عن الحقيقة.

وسوف يلمس القارئ تعديلا في بعض فصــول الكتاب، وإضافات كان لابد منها في بعض الفصول الاخري.

أسأل الله العلي القدير ان يجعل عملنا دائمــا خالصا لوجهه وأن يجنبنا الزلل ويهدينا سوَاء السـبيل انه نعم المولي ونعم النصير.

فتحية النبراوي

مدينة نصر

١٩٩٥/١١/١

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله النبي الامي وعلي آله وصحبه ومن اتبع هذا وبعد

التاريخ من العلوم الهامة لحياة الإنسان والمجتمع والدولة جميعاً، ومناهج البحث من الموضوعات الحية المتجددة التي تتسع دوما للمزيد من الدراسة والمعالجة وإعادة النظر مما يتيح فهماً أعمق وتحليلاً أشمل ورؤية جديدة للعلماء كل في مجال مخصصة وميدان بحثه.

ولما كان التاريخ أبا لكل العلوم والمعارف الإنسانية، أو لعلنا نقول مفتاحاً للمعرفة البشرية كان منطقياً أن يتزايد الإهتمام به وبمناهج الدراسة والبحث فيه، ومن ثم تعددت وتنوعت الدراسات المنهجيةحول كيفية معالجته ودراسته.

ولقد أسهم كثير من المؤرخين القدامي والمحدثين في موضوع مناهج البحث التاريخي، وظهرت دراسات قيمة عن طرق البحث ومنهجيته، عمل أصحابها علي توضيح معالم الطريق التي يجب أن يسلكها المؤرخ في رحلته مع الاحداث وتعامله مع الحقائق التي تضمها الوثائق والمخطوطات أو تلك الي يحتويها باطن الارض من آثار مختلفة أو ما يظهر من نقوش وكتابات على الآثار المرئية بالإضافة إلي الآراء والإتجاهات والأفكار والنظريات المطروحة أو التي تطرح في هذا المجال.

وفي رأيي أن التاريخ يعني النبض الحى لحياة الإنسان علي الأرض منذ أن بدأت الحياة المستقرة ومعها بدأ النظام السياسي والتدوين والتسجيل ليقوم الإنسان الأول بدور المؤرخ المسجل لأحداث حياته وحركة مجتمعه.

وكما أسهم القدماء في الشرق في تسجيل تاريخهم في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فقد قدم الكتاب اليونان والرومان مادة تاريخية رائعة تعين الباحثين والمؤرخين علي التوصل الي بغيتهم في سبيل الوصول إلي الحقيقة.

كذلك فإن الدور الذى قام به المؤرخـون المسلمون في تدوين أحداث التاريخ الإسلامي ووضع الأسس المنهجية في دراسته لمـا يسجل لهم اعترافاً بفضلهم في تأصيل أسس هذا العلم الجليل وتوضيح مفهومه وموضوعه ومجاله في ثروة علمية وفكرية ضخمة تجعل العبء علي كاهل المؤرخين المسلمين المحدثين عظيماً لتجلية الكثير من الحقـائق التي يحتويها هذا التراث وإحيائه وتفـسيره وتحليله للإفادة منه.

والبحث عن الحقيقة قديم، ارتبط بشـغف الإنسان في التوصل إليها، وقد استطاع المؤرخ الفيلسوف اليوناني هيرودوت فى كتابه The Histories الذي يعد قطعة أدبية تاريخية فريدة في طـابعها أن يوضح لنا هذه الحقيقة ذلك أنـه استطاع خلال تجواله وتطوافه في البلدان أن يسجل أحداثاً ووقائع وغرائب تؤكد مدى تصارع الخير الشر متمثلا فى الحروب التي قامت بين الشرق والغرب وبين الإنسان وأخيه الإنسان فى كل زمان ومكان.

ويري المؤرخ الانجليزي أرنولـد توينبى أن الفكر التايخي أو التـفكر التاريخي تفكير نسبي Relative ذلك أن دراسة التاريخ يحكمها عـاملان أساسيان ألا وهما: عامل الزمان، وعامل المكان وليس في الامكان القـول أن التاريخ يصنع في معامل الأبحاث إلا أنه يمكننا أن نضيف أن التجارب العلمية تمكننا من الحصول علي نتائج محددة واضحة، وليس الحال كذلك بالنسبة للتاريخ إذ أن رحلة المؤرخ الطويلة مع الزمان والمكان والإنسـان تأتي بافتراضات وتحليـلات ومناقشات وتفسيـرات تنتهي علي أحسن الفروض باستنتـاجات منطقية تعبر عن أقرب شئ للحـقيقة، ذلك أن الحقيـقة المجردة لا يمكن الوصول إليهـا بأي حال من الأحوال وبصفـة خاصة عن عصور وأزمنة وأماكن وشعوب بفصل بينهما وبين المؤرخ آلاف السنين.

ومع ذلك فـلا يزال مجـال البـحث التاريخي وأهـدافة هي البـحث الدائم الدءوب عن الحقيقة، ويحتمل المؤرخ في سبيل ذلك كثيرا من المشاق والمعاناة حتى يصل إلي فـهم مقنع للأحـداث ليرسم صورة قـريبة من الواقع يؤيـده في ذلك ما تحت يدية من مادة تاريخية أو أدلة مادية أو استنتاجات منطقية محايدة.

يدية من مادة تاريخية أو أدلة مادية أو استنتاجات منطقية محايدة.

ومع تقدم الفكر الإنساني، وإضافة إلي كثرة الأدلة وتعدد الدراسات الأمينة الجادة وتنوعها فقد تيسرت إلي حد ما مهمة الباحثين في مجال التاريخ، مما يسهم بشكل ملحوظ في تذليل الصعوبات أمام العلماء والمهمتين بقضايا التاريخ.

ومن المهم الإشارة إلي أن علماء التاريخ قد بذلوا علي مدى القرون الماضية جهوداً طيبة في تعريف التاريخ وتحديد مصادره وهذا ينطبق على التاريخ القديم والتاريخ الإسلامي وتاريخ العصور الوسطي والتاريخ الحديث، وكان للمستشرقين دور هام في هذا المجال خاصة وأنهم سبقوا المؤرخين المسلمين المحدثين في وضع الأسس المنهجية والأساليب المختلفة لدراسة التاريخ ذلك أن ظروف العالم الإسلامي خاصة خلال تسلط القوي العظمي الاستعمارية علي مقدارته قد أتاح لعلماء الغرب التصرف بشكل كبير في كثير من الكنوز الفكرية للمسلمين التي كانت سبباً مباشراً في ذلك، ومن هنا كان واجب المؤرخ المسلم كبيرا في إعادة النظر في كثير مما كتب عن تاريخنا وعن مناهج البحث فيه وأن يتلمس الأسس والأصول التى وضعها المؤرخون المسلمون القدامى لدراسة التاريخ حرصاً علي تأكيد الأسس ولتصحيح ما يكون قد وقع المستشرقون من اخطاء.

ومن حسن الحظ أن كثيراً من الدراسات القيمة في منهجية علم التاريخ قد اضطلع بها عدد من المؤرخين المسلمين المحدثين مما ضيق الهوة الناجمة عن اهتمام المستشرقين بموضوع مناهج البحث الذى بدأ بشكل جاد منذ نهاية القرن الثامن عشر.

وعلي اية حال، فقد اختلفت الآراء حول تقسيم الأزمنة التاريخية، كما اختلفت الآراء حول التاريخ ذاته، وهل يمكن فصل التاريخ عن الحضارة، وهل يمكن أن يدرس التاريخ بتقسيمات جديدة أم يجب أن تظل التقسيمات القديمة التقليدية: التاريخ السياسى والاقتصادي والاجتماعي او ان ذلك يجعل الصورة التى تشكلها يد المؤرخ أقل وضوحاً او تجعل من بعض الوانها الوانا باهتةشاحبة

لإغفال المؤرخ لها أو لعدم اهتمامه بها أو لعدم قناعته بأنها تدخل في دائرة اهتمامه أو ربما لأنه وتحت ظروف معينة رأي أن يصمت عنها، والرأي عندي أننا في حاجة إلي إعادة نظر في الموضوع بأكمله.

أما أساليب البحث في التاريخ فهي متعددة تختلف باختلاف المدارس التاريخية، لكن الهدف الأساسي والغاية النهائية واحدة، ومع التسليم بذلك فقد ظهر من المدارس الجديدة من ينادي بتطوير مناهج البحث التاريخي وتوسيع دائرة اهتمام العاملين فيه فالمدرسة النقدية والمدرسة الفلسفية قد وضعت من النظريات ما جعل مجال البحث التاريخي أرحب وجعل آفاقه أوسع فظهر الرأي القائل بفلسفة التاريخ Philosophy of History، والدراسة النقدية للتاريخ Critical study of History وهذا يضيف ابعاداً جديدة لأساليب البحث في التاريخ مما يساعد علي مواكبة هذا العلم لتطور المجتمعات الإنسانية وما يطرأ عليها من تغيرات سريعة متلاحقة.

والكتاب الذي بين أيدينا يقدم دراسة لمناهج البحث في التاريخ ودور المدارس التاريخية الإسلامية بشكل خاص في هذا المجال، ولست أزعم بحال من الأحوال أن الكتاب يقتحم ميداناً جديداً فقد سبقنا إلي هذا المجال كثير من المؤرخين والباحثين كل تناول الموضوع من وجهة نظر حتمها عليه تخصصه الدقيق، ولكننا في هذا الكتاب نقدم خلاصة تجربة عملية يكتسبها المؤرخ خلال عمله في الجامعات في مصر والخارج ومع معايشة لطلبة الدراسات العليا، ومن خلال البحث المتواصل الذي يصقل التجربة ويعمق الرؤية ويؤصل الرأي مما يسهم في إثراء المعرفة التاريخية ويقوي الحجة القائمة علي الدليل والمدعمة بالبرهان.

ويجدر بالمؤرخ أن يضع هذه التجربة أمام الباحثين وطلاب العلم إثراء للموضوع ومنهجية البحث فيه باعتباره موضوعاً حياً يرتبط بنبض الشعوب وتطور المجتمعات وحركة الفكر وتقدم وسائل البحث وارتباطها بثورة المعلومات والانقلاب الضخم في وسائل الاتصال وسرعة الحصول علي أدق التفصيلات للأحداث الجارية وظهور تخصصات جديدة تخدم علم التاريخ وتخدم المؤرخ على

حد سواء.

والكتاب الذي بين أيدينا يقع في سبعة فصول مع مقدمة وخاتمة يناقش الفصل الأول التاريخ من حيث كونه مفهوماً يدور في محتوي وباعتباره سجلاً لتجارب الأمم وعبقرية العقل البشري الذي استطاع التوصل إلي انجازات غيرت مجري الحياة الإنسانية علي هذه الأرض.

ويتناول الفصل الثاني نشأة وتطور علم التاريخ ومكانة هذا العلم بين العلوم الأخري. بينما خصص الفصل الثالث لدراسة الرؤية الإسلامية للتاريخ وتحليل أراء المؤرخين المسلمين في تفسيرهم للتاريخ، بينما جاء الفصل الرابع ليرصد نشأة المدارس التاريخية الإسلامية وجهود المؤرخين المسلمين الأوائل في وضع أسس علم التاريخ الإسلامي، ودورهم الرائد في ابتكار تخصصات مختلفة لهذا العلم فكتبوا في خلق العالم والكون والسيرة والتراجم والنظم، وقدموا نماذج وانماط في التأليف التاريخي وذلك في الحجاز والشام والعراق. أما الفصل الخامس فقد خصص للحديث عن المدرسة التاريخية المصرية لما لها من اسهامات عظيمة في تأصيل منهجية البحث التاريخي ولدور رجالها في التأليف المتميز وخاصة في مرحلة تألق هذه المدرسة في القرن التاسع الهجري.

أما الفصل السادس فيتحدث عن العلوم المساعدة لدراسة التاريخ باعتبارها روافد خصبة تسهم في فهم أفضل ورؤية أوضح تساعد المؤرخ علي صياغة أفضل لعلم التاريخ.

ويأتي الفصل السابع والأخير ليقدم الخطوات التي يتبعها المؤرخ لإخراج ثمرة جهوده لتري النور، ويتتبع هذا الفصل المراحل التي يمر بها البحث حتي يصل إلي أيدي القارئ بحثاً أو رسالة علمية أو كتاباً متخصصاً وهي بطبيعة الحال المرحلة المهمة لرحلة الباحث مع مادته العلمية المتنوعة، أو بعبارة أخري كيف نكتب التاريخ وكيف تكون صياغته وهي مرحلة ولا شك من أهم مراحل البحث.

وبعد فإن هذا الكتاب يقدم تصوراً للمنهجية التاريخية اعتماداً على فهم

الظاهرة التاريخية وتحليلها وما قدمه المؤرخون المسلمون علي مدي العصور الإسلامية من مناهج ووضعوا من أسس وأصول لدراسة علم التاريخ حتي نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.

والكتاب علي كل حال يقدم إسهاماً يضاف إلي جهود أساتذتنا الأجلاء وزملائنا الأفاضل الذين سبقونا في هذا المجال، نرجو أن تحصل به الفائدة ويعم به النفع إن شاء الله.

والله نسأل التوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير

فتحية النبراوي

مدينة نصر- القاهرة

١٩٩٢/٥/٢٥

الفصل الأول

التاريخ: المفهوم والمحتوى

مفهوم التاريخ

مراحل التاريخ

علم التاريخ

مكانة علم التاريخ بين العلوم الأخرى

موقف المؤرخ من التاريخ

الفصل الأول
التاريخ: المفهوم والمحتوى

مفهوم التاريخ:

اجتهد المؤرخون القدامي والمحدثون في تعريف التاريخ، وقدموا آراءهم مدعمة بوجهات نظرهم، كل يحاول أن يدلي بدلوه في هذا المجال، لكن المؤرخ الحديث يجد نفسه أمام كم هائل من الآراء والتعريفات والاصطلاحات وعليه أن يحدد موقفه تجاهها.

إن محاوله صادقة للتعريف بالتاريخ لا بد وأن تخرج بالمؤرخ إلي مجالات أرحب وأفاق أوسع ليحرر نفسه من أغلال وإطارات وضعها الإنسان يحدد به مكاناً معيناً وزمانا بذاته يربط بها المؤرخ نفسه، ومع ذلك لا بد لنا من أن نضع أمام الباحثين تجربة الأجيال السابقة مع اجتهادنا في زماننا بما يمليه الفارق الزمني من إضافات ارتبطت بالتغيرات الجوهرية التي تفرض نفسها علي الواقع التاريخي.

والتاريخ دون شك هو حياة الشعوب، ومن ثم فهو نبض حي يتجدد بتجدد حياة المجتمعات، وهو يسجل تفاعل الإنسان مع بيئته، بما يتضمن ذلك من عصارة فكره ونتاج تجاربه وتناغمه مع ما حوله من ظواهر وما يتجدد حوله من ظروف وملابسات.

ومع اكتمال العقل البشري، ونضوج الفكر الإنساني، بدأت النهضات الحقيقية لتاريخة، حين وعي الانسان وارتقي من مراحل جمع الطعام والبحث عنه إلي مراحل إنتاج الطعام والاستقرار وإقامة القري والمدن وصولاً إلي قيام الدولة ومن ثم كان ظهور الحضارة البشرية.

والتاريخ سجل ناطق بالأحداث الي عاشها الإنسان منذ ان بدأ حياته علي الأرض، وإذا كان التاريخ كلمة فهو يعني البداية لأن بداية كل شئ عقلي كانت الكلمة، وبالكلمة المسجلة المدونة بدأ تاريخ الإنسان.

يقول نوح كريمر: إن التاريخ يبدأ في سومر وجعل ذلك عنواناً لكتابه: History Begins at Sumer والكتاب في تاريخ العراق القديم ويتفق معه المؤرخ الانجليزي Arnold Toynbee في كتابة: A Study of History إذ يقول: المتخصص في تاريخ العراق القديم وبالذات في التاريخ السومرى هو أحسن المتخصصين في التاريخ ذلك أنه بإمكانه أن يمدنا بمعلومات عن بداية كل شئ في تاريخ الإنسان وعن الأصول والأوائل في كل فن من الفنون وهو بهذا يقدم إجابة مقنعة ترضي الباحثين وتجيب عن سؤال الإنسان الدائم في بحثة عن الأوائل في تاريخ الحضارة [1]

وتأتي تساؤلات صمويل نوح كريمر التي هي في واقع الأمر تساؤلات كل باحث عن الأصول التاريخية لنشأة الحضارة الإنسانية، وهي بالإضافة إلي ذلك تعين في تعميق التعريف بمفهوم التاريخ فيقول: إن سؤال الإنسان الدائم بل إن السؤال الملح هو: من هم الأوائل في تاريخ الحضارة البشرية. ويطرح صمويل نوح كريمر أسئلته كالتالي:

= ماهي أول أفكار الإنسان الأخلاقية؟

= ما هي أفكاره الدينية؟

= ما هي آراؤه السياسية؟

= ما هي فلسفته الاجتماعية؟

= كيف كانت تواريخه الأولي؟

= كيف كانت أساطيرة الأولي، ملاحمه، أناشيده؟

= كيف صاغ أول عقد قانوني؟

= من هو أول مصلح اجتماعي؟

= متي كان أول تحصيل للضرائب؟

= من هو أول مشروع قانوني؟

---

(1) S. Noah Kramer . History begins at Sumer p. 13

= متي كان أول اجتماع عام؟ وماذا كان هدفه؟
= كيف كانت مدارس الانسان الأولي؟
= كيف كانت مناهجها؟
= ومن هم تلامذتها؟

ويري نوح كريمر أن المتخصص في التاريخ السومرى هو أقدر المتخصصين علي الإجابة علي تلك الأسئلة لأنه يقابل ويصادف إجابات لها خلال دراسة ومناقشته للنصوص القديمة المسجلة علي ألواح الطين المكتوبة بالخط السومري. (1)

إن الاجابة علي تلك الاسئلة تمكن الدارس من التوصل الي نتيجة مفادها أن التاريخ يعني حياة الإنسان علي الأرض منذ بدأ التدوين سواء في سومر بالعراق القديم حيث دون مراحل حياته بالخط المسماري أو في مصر القديمة التي اخترع فيها الانسان الكتابة المصرية القديمة المدونه بالهيروغلفية أي المقدسة.

ولنا أن نتساءل هل يبدأ التاريخ بظهور أول نظام سياسي مستقر أو بقيام الحكومة الأولي في حياة المجتمعات؟ أو أن التاريخ يبدأ بقيام اول مجتمع بشري منظم سواء في شكل أسرة كبيرة أو قبيلة أو قرية أو مدينة، ثم من مجموع تلك الأسر والقبائل واللقرى والمدن قامت الدولة الأولي في تاريخ الإنسان؟

وهل التاريخ يعني نشأة الإنسان وتطوره مرتبطا بماضيه بمعني أن التاريخ يدرس حوادث الماضي ولا يعني بالحاضر أو المستقبل؟ ورغم ظهور تفسيرات جديدة وقياساً علي تاريخ وتجارب الإنسان يمكن أن يدرس التاريخ باعتباره أحداث الماضي من أجل حاضر افضل ومستقبل أكثر رخاء وازدهاراً.

وهنا يؤكد كريمر أنه لكي يتسني للإنسان أن يبني مستقبلا أكثر إشراقاً وأعظم تطوراً من حاضره يتوجب عليه دراسة الماضي بكل أبعاده وتجاربه ومشكلاته وقضاياه، وما جرى من حروب وخلافات ومنازعات وماشهده الانسان من ظواهر طبيعية متغيرة وهجرات سليمة أو عدائية ليخرج من ذلك كله بما يجعله يؤمن

(1) Samuel noah Kramer. History begins at Sumer. pp 13.14.

حاضرة القريب ويعد لمستقبل أفضل.

وقد استطاع الإنسان خلال فترات تاريخه الطويل أن يسجل تلك الأحداث ليجعل منها فصلاً رائعاً في كتاب يشفي غليل للباحثين عن الحقيقة ويعينهم علي التوصل إلي فهم أفضل لتاريخ البشرية.

والتاريخ يمثل المعاناة التي لاقاها العقل البشري الذي مارس كل أنواع التجارب مما يجعل المؤرخ يقف أمامها حائراً ذلك أنه مهما حاول استقراء الماضي أو استرجاع أحداثه، ومهما بذل من جهد في تخيلها أوتصورها فإن المعاناة الحقيقية للإنسان ستظل أكبر من أي تصور قد يرقي إليه فكر المؤرخ وإحساسه.

إن المؤرخ الانجليزي Arnold Tounbee صاحب نظرية التحدي والاستجابة حاول أن يتمثل معاناة الانسان فصاغها علي شكل تحديات عنيفة واجهها الإنسان القديم في كل ما كان حوله من ظلام وبرد وحيوانات متوحشة وطوفان وزلازل ومجاعات إلي غير ذلك من الظواهر الطبيعية أو حروب ودمار من صنع الإنسان فتكون مجابهة الإنسان لذلك كله بالاستجابة.

إن نظرية التحدي والاستجابة Challeng and Response التي وضعها Toynbee تؤكد مدي فهم هذا المؤرخ لتفاعل الإنسان مع بيئته، والتحدي لم يكن في كل الأحوال سلبياً بمعني أن يأتي ذلك التحدي بالضرر علي الإنسان، كما أنه ليس بالضرورة أن تكون الاستجابة سلبية فحين عرف الإنسان طوفان الأنهار كانت الاستجابة لذلك بالتفكير في إقامة السدود، وحين تمثلت التحديات في الحروب والدمار، بدأ الإنسان يفكر في السلام، وحين كان التحديات متمثلة في الجوع فكر الإنسان في البحث عن طعام، وحين كانت متمثلة في التجول والترحال كانت مجابهة الإنسان لذلك بالبحث عن الاستقرار ومن ثم كان لتلك النظرية دورها في فهم تطور البناء الحضاري للمجتمعات البشرية .

ويري Toynbee: أن الفكر التاريخي فكر نسبي: Relative ،كما يرى أن دراسة

التاريخ في أي مكان وفي أي مجتمع شأنها شأن اية أنشطة اجتماعية أخري يحكمها عاملان الزمان والمكان. وفي العالم الغربي الحديث فإن الذي يتحكم فيها ويتسيد عليها هما مؤسستان الاوهما النظام الصناعي والديمقراطية، الأولي اقتصادية، والثانية سياسية، وتأتي سيادتهما علي المجتمع الغربي من أنهما يجدان الحلول لكثير من مشكلاته وأن المجتمع الغربي يجد فيهما الخلاص.

ويضيف: إن وجود هذين النظامين يؤكدان علي القوة الخلاقة لدي الأجداد وأن الأبناء يعيشون تحت ظلالهما ويظهر تأثيرهما جلياً في كل عمل أقدم عليه المؤرخون. (١)

مراحل التاريخ:

ينقسم التاريخ اصطلاحا الي مراحل أساسية، هي في واقع الأمر تقسيمات نظرية تسهل علي الباحثين التخصص والدراسة، وتضم هذه التقسيمات التاريخ القديم الذي يشمل تاريخ ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية في الشرق حيث يتضمن ذلك التقسيم تاريخ الشرق الادني القديم ، وتاريخ الشرق الأقصي القديم، وتدخل في هذا تخصيصات كثيرة منها تاريخ المصريات، والتاريخ السومري، والأشوريات، والبابليين بالإضافة إلي تاريخ الهند والصين وتاريخ إيران القديم

أما في الغرب فيتضمن تاريخ اليونان القديم، وتاريخ الرومان القديم هذا بالاضافة إلي دراسة اللغات القديمة، والآثار القديمة ويأتي بعد ذلك التاريخ الوسيط ويشمل المرحلة المتوسطة في التاريخ في أوروبا والشرق الأدني ثم التاريخ الاسلامي الذي يتبعه التاريخ الحديث والمعاصر

وهذه التقسيمات علي كل حال تقسيمات نظرية تقبل التعديل والاضافة وذلك بالرغم من استمرارها بين الباحثين والمشتغلين بالتاريخ ، وسوف يكون

---

(1) Toynbee, A study of History vol. I. 1-2

النموذج الذي نطبق عليه هذه الدراسة هو مصر وتاريخها القديم.

تتفق المدارس التاريخية علي التقسيمات القائلة بما قبل التاريخ Pre History وما قبيل التاريخ Proto Hlistory ثم العصر التاريخي Historical Age ويبدأ العصر التاريخي في مصر بقيام أول نظام سياسي مستقر، وهو ما يسمي اصطلاحاً بالعصر الثيني، ويشمل الأسرتين الأولي والثانية المصريتين ويلي ذلك عصر الازدهار الحضاري والاستقرار السياسي وهو ما يسمي تاريخيا بعصر الدولة القديمة أو عصر بناة الأهرام، ويلي ذلك في تقسيمات التاريخ المصري القديم عصر الفوضي والاضمحلال الأول أو عصر الانتقال الأول وهنا لا بد من وقفة لتسجيل بعض ما شهدته مصر من أحداث في ذلك الوقت وكيف يمكن أن يعقب عصر الاستقرار السياسي والازدهار الحضاري عصر من الاضمحلال والسقوط والفوضي وهنا يجب أن نطرح الأسئلة الأتية: وما هي العوامل التي أدت إلي ذلك، وما هي تلك الظروف التي أججت في نفس المصري الثورة لتكون أول ثورة اجتماعية في تاريخ الإنسان، يوم يتمرد الفلاح المصري ويرفض الاعتراف بسلطة الملك الذي لا يستطع أن يوفر له الأمان في حياته اليومية ولا يستطيع أن يحمي حياته وحريته في كسب قوت يومه، ثم ما هي النتائج التي ترتبت علي ذلك ؟.

وبعد عصر الأنتقال الأول يأتي عصر جديد من الاستقرار السياسي ذلك هو عصر الدولة الوسطي، وهنا تطبق نظرية ابن خلدون التي تقول: إن الحضارة الإنسانية تبدأ وليدة ثم تنمو وتكتمل إلي أن تصل إلي مرحلة النضوج وهنا يأتي دور أصحاب هذه الحضارة في تعريض قمتها وترسيخ جذورها لتستقر علي القمة أطول فترة ممكنة فإذا هرمت تلك الحضارة وشاخت دب التفكك في أوصالها وتمزق بناؤها السياسي والاجتماعي واهتز كيانها الاقتصادي فتصدعت، فما بالنا إن كان ذلك كله في داخل تلك الحضارة، إذن يكون النذير بانهيارها وزوالها. (١)

وتستمر الدولة الوسطي في حكم مصر الموحدة المستقلة ليتبع ذلك عصر

---

(١) انظر ابن خلدون: المقدمة ص ص ٤: ٩

آخر من الفوضي والاضمحلال أو عصر الانتقال الثاني وفيه تتعرض مصر لغزو الهكسوس، وتعيش فترة من التمزق السياسي والفوضي السياسية والضعف الاقتصادي إلي أن يبرز فيها محرر ومخلص للبلاد من الفوضي والفساد لتعود لمصر مكانتها في الشرق الأدني القديم فكان كامس ومن بعده أحمس وشعب مصر من ورائهما ليتنصروا علي الهكسوس ويعيدوا لمصر كرامتها وحريتها ولتقوم الدولة الحديثة في مصر القديمة ولتبني مصر أول امبراطورية يعرفها التاريخ يكون لمصر فيها سيادة العالم وريادته في تلك العصور السحيقة.

ويأتي علي مصر عصر آخر من التفكك تشهد فيه أنواعاً من الحكم الأجنبي الليبي والنوبي واليوناني مما يوضح الضعف السياسي الذي عانت منه الأسر الحاكمة في مصر في تلك الفترة المعروفة بالعصر المتأخر.

ويقسم المؤرخون الأسرات المصرية إلي ثلاثين أسرة تنتهي بدخول الأسكندر الأكبر لتلتقي فيها حضارة الشرق وحضارة الغرب ويمتزج الفكر الإنساني فيها لتظهر حضارة جديدة وعصر تاريخي جديد.

والتاريخ البشري ليس مجرد سرد للأحداث الهامة وغير الهامة، وليس مجرد تسجيل لظواهر طبيعية، إنما التاريخ الحقيقي هو نتاج العقول البشرية يقف دليلاً علي وجودها، ومرآة لوجدانها فمن أعظم ما يدل علي عمق الفكر عند الإنسان القديم وخاصة في مصر حرصه علي البحث الدائم عن الحقيقة الأولي في حياة الإنسان وهي الموت، إن الميلاد ميلاد أي شئ أسهل في الاستيعاب والاقتناع من الموت، وعلي الرغم من أن الإنسان منذ بدء الخليقة وإلي أن يرث الله الأرض ومن عليها سيظل حائراً مكتوف الأيدي متضائلاً أمام تلك الحقيقة الكبري ومع التقدم الهائل في التقنيات الحديثة سيظل الإنسان عاجزاً عن الوقوف علي كنه الموت وحقيقته.

والإنسان المصري القديم وضع لذلك أعظم ملحمة في تاريخه بل يمكن القول إنها أعظم الملاحم في تاريخ الفكر الإنساني ذلك هو كتاب الموتى

وهذا الكتاب Book of The Dead يحوي نصوص المقابر المصرية القديمة أو بالأحري النصوص الجنائزية وهو يصور المصري القديم الذي استطاع التوصل إلي الحقيقة القائلة بأن الروح لا تفني ولا تموت .

The soul is an etrnal being which under no curcumistances could die. (1)

ومنذ المراحل التاريخية الأولي للمصري القديم توضح النصوص المحفوظة عنه مدي قناعته وايمانه بالبعث والخلود وأن ثمة مكان ما ينعم فيه الإنسان الخير بالسعادة الأبدية.

وعلي أية حال فإن البحث عن الخلود من العلامات المميزة لتاريخ الفكرالديني لدي الشعوب القديمة فملحمة جلجامش في العراق التي تعبر عن مستوي راق من الفكر البشري والتي تسبق ملحمتي هومير الألياذة والأوديسا بأكثر من ألف وخمسمائة عام تمثل مرحلة هامة في عمر الفكر الانساني، ذلك ان جلجامش هو الباحث عن الحقيقة، الباحث عن الحياة، الباحث عن الخلود، والخلود يمثل الغاية النهائية عنده (٢).

ولقد أثارت هذه القضية كثيرين في المنطقة حتي أن ملحمة جلجاش قد ترجمت إلي لغات عديدة منها الهندوأوروبية والحيثية والحورية وحتي في عصور لاحقة وجدت ترجمات لها في اللغة الكنعانية والفلسطينية.

إن هذه الملحمة كما يراها علماء الآثار مثل هنري فرنكفورت تمثل العقلية العراقية القديمة دائمة الخوف من المجهول، ذلك الخوف الذي انتجته البيئة العراقية كثيرة التقلبات التى حين تهاجم الإنسان لا تبقي ولا تذر وخاصة تلك الطوفانات التي تميزت بها المنطقة.

إن جلجامش الملك أو الشخصية الأسطورية تمثل تلك العقلية الخائفة المترددة الباحثة عن الشهرة والسلطة والثائرة علي القوانين التي تفرق الأحباب والأصدقاء،

---

(1). Sir wallis Budge, Book of the Dead, London 1969.

(٢) رشيد الناضوري. التطور التاريخي للفكر الديني ص ١٢٠.

وتختم البحث عن حقيقة الموت. (١).

هذا بالإضافة إلي ما قدم المصريون القدماء في هذا المجال مما يعد أعظم دليل علي التفاعل الفكري بين الإنسان والظواهر الكونية التي تحيط به.

والتاريخ هو العمر العقلي للإنسان ممثلاً في كافة المظاهر الحضارية والعمرانية التي خلقها علي الأرض، وليس معني ذلك أن ينسي المؤرخ تتابع الأحداث أو ترتيبها الزمني أو الأشخاص المؤثرين فيها أو العصور السياسية التي صنعت فيها تلك الأحداث.

علم التاريخ:

قضية طرحت للمناقشة منذ قرون طويلة، وتجددت في بداية هذا القرن، تدور محاورها حول التاريخ من حيث كونه علماً من العلوم، وقد أسهم العلماء المسلمون في ذلك إسهامات عظيمة عرضوا فيها لآرائهم حول التاريخ الذي لم يكن من العلوم العقلية، ولا من العلوم النقلية بل يأخذ مركز الوسطية بينهما ومن ثم أصبح له ذاتية مستقلة أخذ ينمو ويتطور علي مر العصور كما أخذت أبوابه تتسع وتتنوع ليخرج من مجرد كونه سردا لأحداث مضت أو تاريخ للعالم منذ أقدم العصور، إلي أقسام تخصصية اتقن فنونها المؤرخون المسلمون ومن بعدهم مؤرخون العالم.

وكان الاستاذ J.B. Bury قدأعاد هذه القضية إلي الأذهان بحيث شغلت المشتغلين بالتاريخ حين أعلن في إحدي محاضراته بأن التاريخ علم لا اكثر ولا أقل وكان ذلك في مطلع هذا القرن وبالتحديد في عام ١٩١٣م. (٢)

وتبع هذه الفكرة في منتصف القرن سينوبوس الذي أكد ذلك بقوله: التاريخ

---

(1) N. K. Sandars., The Epic of Gilgamish. pp.11.12

(٢) هرنشو. علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، القاهرة، ١٩٣٧، ص١.

علم ما في ذلك ريب، لأننا نستطيع أن نطلق كلمة علم علي كل مجموعة من المعارف المحصلة عن طريق منهج وثيق للبحث عن نوع واحد معين من الوقائع، فهو علم الوقائع التي تتصل بالأخبار عن الناس في مجتمع خلال توالي الأزمنة في الماضي (١)

وأمام هذه القضية انقسم المحدثون علي أنفسهم فمنهم من تحمس لها ومنهم من سفه آراء القائلين بها، أما الفريق الأول فبني رأيه علي أن المنهج المتبع في البحث التاريخي يرقي به إلي أن يكون علماً قائماً بذاته، وأما الفريق الثاني فقد عارض هذه الفكرة علي أساس أن مادة التاريخ تختلف عن مادة العلوم الطبيعية أو التجريبية، ولعله من المفيد هنا أن نذكر راي الاقتصادي الانجليزي جيفونز jevons صاحب كتاب Principles of Science الذي قال: من السخف أن نفكر في التاريخ علي أنه علم بالمعني الصحيح.

لقد فجر الأستاذ بيوري Bury خلافاً حاداً بين المؤرخين والعلماء والفلاسفة وصل إلي حد الخصومة، التي يمكننا أن نقول أنها علي كل حال أسهمت في ظهور عدد كبير من الآراء التي أفادت ولا شك البحث التاريخي كما أفادت الباحثين فيه.

واذا كان هناك من عرف العلم علي أنه: المعرفة المنظمة المبوبة المقننة، إذن فمن هذا المنطلق يكون التاريخ علماً من العلوم.

والتاريخ من حيث هو علم يختلف أصلا عن العلوم الفيزيقية إذ أنه ليس علم معاينة أو تجربة لكنه علم نقد وتحقيق، وكما يقول المؤرخ الألماني درويسن J.S. Droy-son إن التاريخ لا يبحث فقط في الأشياء التي مضت وانقطع وجودها، ولكن في الأشياء التي لا تزال موجودة، سواء أكانت روايات عما وقع أم بقايا أشياء وجدت أم نتائج أحداث حدثت.

ويبقي السؤال هل يمكن للمؤرخ أن يضع نفسه في عداد العلماء التجريبيين

---

(١) عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي ، الكويت ١٩٧٧،ص٥ . وسينوبوس C. Seignobs الاستاذ المؤرخ الفرنسي قد اشترك مع لانجلوا C.Y. Langlois في وضع كتاب .Introduction aux Etudes Historiques

باعتبار أن التاريخ وهو مجال عمله فرع من فروع العلم والمعرفة؟ وهل يمكن أن يكون التاريخ علماً من العلوم شأنه في ذلك شأن العلوم التجريبية كالطبيعة والطب والفلك والنبات والكيمياء وغيرها؟

نعود فنقرر أن فريقاً من العلماء ذهبوا إلي القول بأن التاريخ لا يمكن أن يكون علماً من العلوم لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضع له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والاختبار والتجربة وبذلك فلا يمكن أن نستخلص من دراسة التاريخ قوانين علمية يقينية ثابتة علي نحو ماهو حاصل في العلوم التجريبية.

ومما يبعد صفة العلم بهذه الصورة عن التاريخ اي كونه علما تجريبيا قيام عنصر المصادفة وتدخل عنصر الشخصية الإنسانية وحرية الإرادة مما يهدم الجهود الرامية إلي إقامة التاريخ علي أسس علمية. (١)

وإذا كنا لا نستطيع أن نعد التاريخ من العلوم التجريبية فليس في إمكاننا أن ننفي عنه صفة العلم؛ وفي هذا السياق يري هرنشو أنه علم نقد وتحقيق، وبالتالي فهو ليس علم تجربة واختبار وهنا يعقد مقارنه بين علم التاريخ وعلم الجيولوجيا فكلاهما يدرس الإنسان علي الأرض ويتفاعل مع المخلفات البشرية كادلة وأسانيد لما يتوصل إليه من استنتاجات. (٢)

ومهما يكن من أمر فقد سبق المؤرخون المسلمون في إثارة هذه القضية ومناقشتها، وقد توصلوا فيها إلي آراء عظيمة لا بد وأن تكون هي الأصل الذي تفجر عنه اهتمام المحدثين بإعادة النظر فيها وطرح آراء جديدة حولها هدفاً إلي الوصول إلي نتائج جديدة تثري عملية التفكير التاريخي بوجه عام.

مكانه علم التاريخ بين العلوم الأخري:

القضية إذن ومنذ عصور قديمة هي تحديد مكانة التاريخ بين العلوم، هل هو

---

(١) قارن حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص ١٦

(٢) انظر هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، ص ص ٣: ٤

علم أم غير ذلك؟

يقول الشمس الباعوني الدمشقي في كتابه تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء: إن التاريخ علم سامية شرفه، عالية بين الأنام غرفه، وفيه ما فيه من المنافع، حتي لقد قال الإمام الشافعي في خبر قد صح عنه نقله: من حفظ التاريخ زاد عقله.

ووصفة البرزالي فقال: هو من أحسن العلوم وأشهاها، وأجل الفوائد وأبهاها، وأكمل المحاضرات وأزهاها، لأنه سبيل إلي الاعتبار ومنهج يعين علي الاستبصار، وتحفة تريك من مضي من الأمم عياناً، ونزهة تشرح للمطالع فيه قلبا وتبسط لساناً.

وعرفة ابن حزم بأنه علم الأخبار، بينما يفرق ابن جماعة بين علم التاريخ وعلم الطبقات.

ويقول الشمس السخاوي في كتابة التبر المسبوك: إن علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي، وزين تقر به العيون حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي، بل وقعه من الدين عظيم، ونفعه متين في الشرع، بشهرته غني عن مزيد البيان والتفهيم إذ يعلم به أهل الجلالة والرسوخ ما يفهم الناسخ من المنسوخ. (١)

ويطلق المقريزي علي التاريخ اصطلاح علم الأخبار في كتابه الخطط فيقول: به عرفت الشرائع التي شرعها الله وحفظت سنن أنبيائه ورسله ودون هداهم الذي يقتدي به من وفق الله الي عبادته. (٢)

وبواسطة علم الأخبار استطاع بنو البشر معرفة ما دونوه من العلوم والصنائع وتأتي لهم ما غاب عنهم من الأفطار الشاسعة والأقطار النائية وغير ذلك مما لا ينكر فضله.

وذهب أهل الأدب إلي القول بأن التاريخ سواء اعتبره أهله علماً من العلوم فهو دون شك فن من الفنون ويؤكد هذا المؤرخون المسلمون، فيري الكمال

---

(١). السخاوي: التبر المسبوك. ص ١١

(٢) المقريزي: الخطط جـ ١ ص ٤

الأدفوي: أن التاريخ فن من الفنون يحتاج إليه وتشديد يد الضنانة عليه اذ به يعرف الخلف أحوال السلف . .(١)

واعتبره الموفق أبو الحسن الخزرجي صاحب تاريخ اليمن فناً أهملة الناس، مع شدة احتياجهم إليه، وتعويلهم في كثير من الأمور عليه.

وتناول المؤرخون المسلمون تعريفات التاريخ فقالوا: إن التاريخ في اللغة يعني الإعلام بالوقت يقال أرخت الكتاب وورخته أي بينت وقت كتابته. (٢)

ويقول أبو الفرج قدامة بن جعفر في كتاب الخراج: تاريخ كل شئ آخره فيؤرخون بالوقت الذي وقعت فيه حوادث مشهورة بينما يقول الصولى تاريخ كل شئ غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه (٣)

ويقول الصفدي: والتاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاه، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة وأما عن تعريفه الاصطلاحي فهو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال، وأنه فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت. (٤)

وأما موضوعة فهو الإنسان والزمان، أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للانسان وفي الزمان.

ويقول العماد الكتاب الأصفهاني: إنّ التواريخ معتادها إما أن تكون مستفتحة من بدء نشأة البشر الأولي، وأما مستفتحة بمعقب من الدول الأخري، فلا أمة من الأمم ذوات الملل ، وذوات الدول إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ويعولون عليه، ينقله خلفها عن سلفها، وحاضرها عن غابرها، تفيد به شوارد الأيام وتنصب به معالم الأعلام. ويوضح العماد فضل التاريخ فيقول: لولا التاريخ

---

(١) الكمال الأدفوي. الطالع السعيد ص ٣

(٢) السخاوي الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، صص ٦، ٧

(٣) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٧

(٤) الصفدي الوافي بالوفيات حـ١ ص ٤

لانقطعت الوصل، وجهلت الدول، ومات في أيام الأخر ذكر الأول،ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة، ولقل الاعتبار بمآلة العواقب وعقوبتها، وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها .(١)

ويؤكد علي هذا الشمس السخاوي فيقول: أما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها، ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما، وزاد في ذلك فقال عن سفيان الثوري: لما استعمل الرواه الكذب استعملت لهم التاريخ، وعن حسان بن زيد قال: لم يستعن علي الكذابين بمثل التاريخ.(٢)..

واما تعريفه الاصطلاحي فهو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأصول، وأنه فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم

موقف المؤرخ من التاريخ:

وهكذا كان للمؤرخين المسلمين موقف محدد من التاريخ من حيث ماهيته وموضوعه وتعريفه ومجالاته، لكن القول الفصل ما زال يخضع لمزيد من الدراسة، وما زال يقبل الجديد من الآراء فمن رأي أن التاريخ علم من العلوم يتحمل دون شك مسئولية هذا الاستنتاج ومن اعتبره علماً من العلوم دلل علي رأيه بما يدعمه ويقويه.

لكننا نري أن التاريخ علم في حدود ما تتيحه الدراسة المنهجية وطرق البحث

---

(١) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القدسي ص ص٤٣ : ٤٤

(٢) السخاوي: المصدر السابق ص ٩

العلمي لموضوع من موضوعاته واتباع الأسلوب العلمي المقنن في دراسته، ولما كان التاريخ لا يصنع ولا ينتج في المعامل ومراكز الأبحاث العلمية فهو من ناحية أخري فن من الفنون تظهر فيه لمسات الإنسان المؤرخ الذي يخرج الصورة التاريخية وينشئ البنيان التاريخي مما يظهر أراد إم أبي أحاسيسه وانطباعاته في تفسير الأحداث ومناقشة القضايا التي يناولها.

ولنضرب مثلاً علي ذلك فنقول: إن المؤرخ المسلم وهو يكتب سيرة رسول الله ﷺ أو حين يسجل أحداث الصراع بين الشرق والغرب ممثلا في الحروب الصليبية سوف يتأثر دون شك بعقيدته ناهيك عن الظروف المحيطة به والملابسات التي تحيط كتابته، وبنفس القدر سيكون هذا صحيحاً بالنسبة للمؤرخ المسيحي الذي يكتب تاريخاً لأوربا أو يؤرخ للحرب الصليبية.

وعلي هذا فيمكن لنا أن نقول أن التاريخ مزيج من العلم والفن أو هو حلقة وصل بين العلم والفن، وأنه علم له خصائصه المميزة له عن أي علم تجريبي يخضع لمقاييس خاصة تنتهي بالباحث إلي التوصل إلي قوانين ثابتة أو لحقائق غير قابلة للتغيير، فالمعروف أن قوانين العلوم التجريبية قوانين يقينية ثابتة، وهنا يصدق القول بأن التاريخ مزاج من العلم والأدب والفن.(١)

وتحتم الدراسة أن نناقش في هذا المجال قضية الموضوعية والحياد مما يشغل بال المؤرخين في كل زمان، إذ هل من الممكن أن يصل المؤرخ إلي درجة من الموضوعية يلغي فيها ذاته ومشاعره وإحساساته وانفعالاته وانتماءاته ليتجرد في مناقشة قضية وطنية أو دينية أو ثقافية أو مبدئية تجردا حقيقيا **Objectivity**.

وعلي الرغم من صعوبة الوصول إلي نتائج نهائية في مناقشة قضية التاريخ بين الموضوعية والذاتية فإن عرضها هنا للدراسة وطرحها أمام الباحثين يفتح مجالا للحوار والتفاهم هدفاً للوصول إلي لقاء مشترك أو أرضية مشتركة تجمع المؤرخين حولها للتصدي والبحث والتأمل من أجل رؤية جديدة.

---

(١) قارن هرنشو : علم التاريخ. ص ٢٢.

وقد ذكرنا سابقاً أن الموضوعية مطلب صعب المنال، وإذا هدف المؤرخ إلي ذلك فعليه أن يدرك مسبقاً أنه اختار أن يسلك طريقاً صعبة، وأن عليه أن يقطع شوطاً من المعاناة والتعب المضني والبذل المستمر، والتجرد الموضوعي مع علمه مسبقاً بأنه قد ينجح في الوصول إلي مرتبة قريبة منها أو قد لا ينجح علي الإطلاق.

والمعتقد أن كثيراً من المؤرخين يشتركون في الرأي القائل بأن الموضوعية المطلقة غير ممكنة التحقيق، ذلك أن المؤرخ إنسان، والعدل المطلق فوق طاقات الإنسان إلا ما تحدده الشريعة في أمور بعينها.

والمؤرخ إنسان له دائماً آراء وأفكار وانتماءات وعواطف ومشاعر بالاضافة إلي ثقافته وتدريبة وكل هذا يلح عليه ولا يستطيع التخلص منه نهائيا حتي ولو فعل ذلك لفترة فإذا بها تعود للإلحاح عليه في فترات أخري.

وسوف تظل قضية الموضوعية قضية جدلية علي مر العصور، ولا يمكن فيما يتعلق بالتاريخ حسمها بشكل نهائي يرضي العقول النزيهة التي تؤمن بها.

ولذلك سيظل الباب مفتوحاً دائما لقبول النقد والتعديل والجرح وصولاً إلي الهدف الأسمي وهو تحقيق الموضوعية ولو علي الأقل الموضوعية النسبية التي ترتبط بالإنسان والزمان والمكان، وبينهما تقف الحقيقة التاريخية التي ستظل دائما تخضع لتفسيرات جديدة تتفق وتقدم البحث العلمي في التاريخ وظهور أدلة أو أدوات جديدة تعين الباحثين في عملهم.

إن المؤرخ كالرسام يضع إطاراً عاماً للفكرة التاريخية وفي نطاق ذلك الإطار يبدأ في وضع تفصيلات القضية التي يناقشها وهي تضارع صورة الفنان الذي يوضح ما يري توضيحه مركزاً علي جوانب معينة منها مسلطاً الأضواء علي ما يعتقد أنه الحقيقة ويقدم ما تحت يديه من أدلة وقد يحكم أو يترك الحكم لمن يأتي بعده؛ وهو في كل الأحوال يستلهم الحقيقة ويستشرف الأوضاع السابقة التي يفصل بينه وبينها آلاف السنين.

وتحاول المدارس التاريخية المحدثة التواصل مع المداس التاريخية القديمة في وضع الأسس المنهجية لدراسة التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه، السياسي والاجتماعي والاقتصادي، الديني والمذهبي والعقدي، العام والإقليمي إلي غير ذلك من الانواع التي يمكن أن يضمها التاريخ الإنساني.

وقد استطاعت هذه المدارس علي اختلاف علمائها واختلاف مشاربهم وأهوائهم ومذاهبهم أن تنجح في الوصول بالتاريخ إلي مستوي العلم المقنن القائم علي أصول منهجية وتخليصه من إطار الأسطورة والخيال القصصي.

وإننا نعول علي المدارس الحديثة في أن تواصل عملها تحقيقا للمزيد من الرقي بعلم التاريخ أو فن التاريخ أو التاريخ علي إطلاقه ليقف علي قدم وساق في مصاف الدراسات الجادة الواعية القائمة علي منهجية العلم وأساليب التدقيق والتحقيق والتوثيق ليدخل التاريخ بذلك مصاف العلوم النقدية ذات القيمة الاجتماعية العظيمة.

وإن المسئولية الملقاة علي عاتق المؤرخين المسلمين المحدثين كبيرة وتزداد خطورة من أجل الحفاظ علي مكانة علم التاريخ وتطوير وسائل البحث فيه ليكون الهدف الأسمي هو الوصول إلي الحقيقة بأكبر قدر من الموضوعية.

الفصل الثانى

علم التاريخ

الأصل - النشأة - التطور

بدايات التدوين

تطور التدوين

محاولات القدماء فى تسجيل الأحداث

دور العرب فى التدوين

علم التاريخ عند المسلمين

التاريخ الهجرى

الفصل الثانى

علم التـاريخ

الأصـل ـ الـنـشـأة ـ الـتـطـور

بـدايـات الـتـدويـن

تعود نشـأة التدوين إلي العـصور التـاريخيـة الأولي حيث اسـتـطاع الانسان القديم أن يقيم أسس الحضارة الإنسانية ويرسي قواعـدها ليرفع عليها بنيانا شامخاً يعكس أعمال الفكر الإنساني ونتاجه مادياً ومعنوياً.

وتدل الدراسات الأثرية علي أن الإنسـان القديم ومنذ مراحل حيـاته البدائية حاول أن يسجل بعض ما كان يدور بذهنه وإن لم يكن مـفهوماً، إلا أن ذلك يعد محاولات للتـعبير تطورت علي فتـرات متالية لتكون في الـنهاية بدايات لأبجدية مكتوبة كما حدث في اللغة المصرية القديمة واللغة الـسومرية واللغة الفينيقية

ولم تكن محاولات الإنسان القديم في سبيل الوصول إلي وسيلة للتعبير عن نفسه وعن أفكارة مما يستـهين به الباحث الحديث، فلا شك أنه قد صحبـها معاناة وتجارب تعد جزءً أساسيا من تاريخ الفكر البشري.

ومن المعروف تاريخياً أن هناك مراحل أساسية في تطور الإنسـان وتطور حياته ثقافـياً وحضارياً، وأن تلـك المراحل تعتبر نقـاط تحول جذرية في تاريخ الحـضارة البشرية، فقـد انتهي عصر جمع الطعام بالثورة الصناعيـة الأولي في حياة الإنسان القديم يوم تحول الإنسـان من جامع طعام إلي صانع للطعام.

ومع نجاح تلك الثورة الصناعـية التي تميزت باكتشـاف الإنسان للنار تحددت مرحلة جـديدة في الحياة علي الأرض ومن ثم فـي تاريخ الإنسـانية. فـقد ارتبطت تلك المرحلة ببداية الاستـقرار الإنساني، ومع بداية استقرار الإنســان عرف الزراعة

وصحب هذا التطور الهام في تاريخ البشرية نشأة القرية والمدينة ومن ثم بدأ الإنسان يفكر في إقامة أنظمته السياسة والإدارية المختلفة.

استقرت البشرية بما يقدرة المؤرخون والأثريون مع بداية الألف الخامس قبل الميلاد وحتي يصل العلماء إلي هذه النتيجة، استغرق الإنسان عصوراً طويلة حتي استطاع أن يترك لعلماء التاريخ أدلة أثرية تؤكد استقراره واقامته لمجتمعات بشرية منظمة.

وإذا كان الألف الخامس قبل الميلاد يحدد بداية قيام المجتمعات المستقرة، فإن مراحل طويلة من العمل عاشها الإنسان حتي يصل في نظر المؤرخين إلي نقلة حضارية جديدة وهي بداية التدوين.

وتنقسم المدارس التاريخية حول هذه القضية قسمين رئيسين، القسم الأول يقول بالاصطلاح المعروف بالتقويم الطويل Long Chronology وهو الذي يحدد عام ٣٢٠٠ ق.م بداية حقيقية للتدوين أي معرفة الإنسان للكتابة. أما القسم الثاني فينادي بما اصطلح عليه بالتقويم القصير Short Chronology حيث يحدد عام ٣٠٠٠ ق.م بداية لتلك النقلة الحضارية الكبري في تاريخ البشرية وهي معرفة الإنسان للكتابة وبداية التدوين.

ومن ناحية أخري تختلف الآراء حول المكان الذي بدأ فيه التدوين، فهناك فريق من العلماء يرى أن بداية التدوين كانت في مصر القديمة وعلي أيدي المصريين القدماء، بينما يري الفريق الآخر أن بداية التدوين إنما بدأت في العراق القديم وعلي أيدي السومريين، كما ظهرت مدرسة ثالثة تقول بأن البداية في كل من مصر وبلاد الرافدين قد تزامنت وأن التدوين قد بدأ في وقت واحد تقريباً في كلا البلدين، اعتماداً علي النظرية القائلة بأن البيئات المتشابهة تنتج حضارات متشابهة.

ومهما يكن من أمر فإن التدوين قد بدأ في الشرق الأدني القديم وأن الريادة لهذا الإنجاز الحضاري يعود لشعوب هذه المنطقة التي خصها الله سبحانه وتعالي باستقبال أنبيائه لتبليغ رسالته فيهم وعلي أرضهم.

اهتم العلماء القدامي والمحدثون بهـذا الإنجاز الحضاري العظيم وهو التوصل إل التدوين وظهور الكتـابة سواء في مصر أو في العراق، إذ تحـددت بظهورالكتابة ومعرفة الإنسـان لها مرحلة أساسية هامة في التاريخ البشري.

وقد سبق الوصول إلي الكتابة عن طـريق الحروف الأبجدية مراحل هامه في التاريخ البـشري. عزفها المؤرخـون والأثريون باصطلاح عصر ما قـبل الكتابةPre Literate وعصر ما قبيل الكتابة .(Proto Literate). وهذان الاصطلاحان يرادفان مرحلتي ما قبل وما قبيل التاريخ .PreHistory, proto History

ومن الجدير التأكيـد علي أنه إذا اعتبرنا توصل الإنسـان إلي عصـر الاستقرار وإنتاج الطعام ثـورة حضارية فإن توصل الإنسان إلي الكتـابة يعتبر تحـولاً حضاريًا خطيراً بل لعله من أهم الإنجازات الحضارية التي شهدها العام القديم بأسره.

وارتبطت نشـأة الكتابـة وظهور التـدوين بظهـور الأديان فقـد تزامن بحث الإنسان عن وسيلة تعبيرية، بحثه عن القدرة العظيمة وراء خلقه ووراء خلق الكون بما فيه من عناصر مختلفة، وكان هذا البحث يتضمن بحثه عن أصله وذاته، إضافة إلي بحثه عن أمان لعقله وطمأنينة لإدراكه.

ولهذا فإن بدايات الفكر الدينـي كانت محاولات منه لتأكيـد ذاته، وحرصاً علي الحصـول علي الأمان من قوة خفـية لم يستطع في تلك العـصور الأولي من حياته علي الأرض التوصل إلي ماهيتها وكنهها.

ولعلنا نتـساءل الآن، ماذا كانت الكلمات الأولي أو العبارات الأولي أو حتي الخربشات الأولي التي وصلت إلينا علي أنها أول ما دون الإنسـان القديم؟

يقول Prof. Emry في كتابه Archaic Egypt: إن أول الكلمات التي كتـبها الإنسان القديم كانت كلمة إله أو الله. وهو ما وجد في النقوش التي عثرعليها

علي بعض الصخور في الصحراء الغربية بمصر.[1]

وهذا يؤكد أن الإنسان القديم كان دائم البحث عن حقيقة وجوده، وحقيقة خلقه، وأنه لم يوجد من عدم، لكن إرادة الله ومشيئته هي التي أوجدته وخلقته فاحسنت خلقة وتصويره، كما نستطيع أن ندفع بهذا الرأي إلي أبعد من ذلك فنقول: إن الإنسان القديم قد آمن بوجود الله وأن التطور والطغيان وحب الملكية كل تلك العوامل هي التي مسخت الفطرة وأظهرت الأديان الوضعية التي عرفها العالم القديم.

علي أية حال كانت الكتابة ومعرفتها بداية لظهور التدوين حيث يمكننا أن نقول إن نشأة التاريخ تعود إلي نشأة التدوين وترتبط به حيث بدأ الإنسان يسجل أسفارا لحياته علي الأرض.

وكان لظهور اللغة المصرية القديمة أهمية كبريّ في تدوين أحداث الحياة في مصر القديمة، كما استخدمت في نفس الوقت السومرية في تسجيل تفاصيل التاريخ في بلاد الرافدين.

ومن جهة ثالثة كان للغات الأخري التي ظهرت فيما بعد في الشرق الأدني القديم دورها الأساسي في كتابة تاريخ الحضارة الإنسانية التي كان مهدها بلاد الشرق الأدني القديم. وكان لشعوب هذه المنطقة الدور السابق في تدوين تاريخ الحياة البشرية بجوانبها المختلفة منذ أقدم العصور.

لذلك لا نكون مبالغين إذا استنتجنا أن نشأة التاريخ ولو بشكل بدائي تعود إلي بداية التدوين أي إلي الألف الرابع قبل الميلاد.

ومما لا شك فيه أن تجارب إنسانية عديدة قد مرت بها فكرة الكتابة حتي بدأ الحس التاريخي في الظهور وصاحب ذلك اهتمام الانسان بضرورة كتابة أحداث حياته اليومية.

وحين تكونت الدولة بدأ معها الشعور بالحاجة إلي تسجيل الأحداث خاصة

---

(1) Emery . D, Archaic Egypt. p. 17

ما يتعلق منهابأخبار الملوك وحروبهم وانتصاراتهم.

والدارس لتاريخ مصر القديم يستطيع أن يتلمس المراحل التي مرت بها الكتابة التاريخية، ولعل لوحة نارمر أو نعرمر أول ملوك مصر في العصر الثيني تعد سجلاً أساسيا يعتبرة الباحثون بداية حقيقية لتدوين التاريخ كما أنها تحمل إثباتاً لبداية الدولة في مصر. (١)

تطور التدوين:

هناك مصادر أساسية يعتمد عليها الدارسون للتاريخ يحددون فيها المراحل التي تطورت من خلالها عملية التقويم والكتابة ومعرفة الزمن.

فمن المعروف أن الشعوب القديمة كانت تسجل الأحداث وتدونها حسب وقوعها مقرونة بحدث ما، كما ميزوا سنوات حكم ملوكهم أو حكامهم بحدث أو ظاهرة معينة.

فالمصري القديم استطاع أن يسجل أحداثاً هامة في تاريخه ابتداء من العصر الثيني، واستخدموا تعداد الماشية الذي كان يتم في مصر كل عامين دليلا يحددون به سنوات حكم الملك الحاكم (٢) وظلت هذه الطريقة معمول بها حتي استعاضوا عنها ببداية جلوس كل ملك علي العرش ومنها يحسبون السنوات التي يقضيها في حكم البلاد.

كما استطاع المصري القديم أن يرصد الظواهر الطبيعية ويربط بها الأحداث الهامة في حياته كفيضان النيل فقد راقب أن ظهور نجم الشعري اليمانية بداية فيضان النيل ولهذا جعل دورة النجم هي دورة السنة الزراعية التي قسمها إلي ثلاثة

---

(١) انظر : دكتور نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدني القديم، جـ١، ص ٤٥.

(٢) دكتور أبو الحسن المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدني القديم. دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤م

أقسام أو فصول هي فصل الفيضان وفصل الزرع وفصل الحصاد. كما قسم كل فصل من تلك الفصول إلي أربعة شهور وبذلك يكون مجموع أشهر السنة اثني عشر شهراً.

ورصد المصري أيضاً أن دورة نجم الشعري اليمانية أقصر من السنة الشمسية بمقدار ربع يوم ويتفق المؤرخون علي أن توصل المصريين القدماء إلي رصد هذه الظاهرة الطبيعية الهامة كان في عام ٤٢٤٠ ق.م.

وهذا يجعل علماء الآثار يرجحون أن البداية الحقيقية للعصر التاريخي تكون في ذلك العام ٤٢٤٠ ق.م. أي قبل بداية التدوين في ٣٠٠٠ ق.م. (١)

ومن ناحية أخري فقد رأي المؤرخ المصري مانيتو السمنودي الأصل والذي عاش في عهد الملك بطليموس الثاني تصحيح كتابة تاريخ مصر، فألف كتابا في ثلاثة أجزاء باليونانية بعنوان اجبتياكا ايومنيماتا، وربما يعزي ذلك إلي تكليف من الملك، وعلي الرغم من أن المؤلف الأصلي لم يصل إلينا فقد اهتم به جوزيف اليهودي الذي أنقذ جزءاً هاماً من كتاب مانيتو ومن بعده يوليوس الأفريقي ٢٧١م وتبعه يوسيديوس الذي كان أسقفاً بقيصرية. وقد قسم مانيتو الأسرات المصرية إلي ثلاثين أسرة وقدم ملخصاً عن بعض العهود من تاريخ مصر. (١)

ويري بعض المؤرخين تقسيم تاريخ مصر القديم إلي فترات ارتبطت بقوة الدولة وضعفها وفترات إزدهار الحضارة فيها أو اضمحلالها.

ففي عام ٣٢٠٠ ق.م بدأت الدولة المستقرة الموحدة الأولي في مصر وهذا ما يعرفه المؤرخون بالعصر الثيني وبداية من عام ٣١٠٠:٢١٨١ ق.م يعرف بعصر الدولة القديمة أو عصر بناة الأهرام، وهناك من يدخل في هذه المرحلة التاريخية المرحلة السابقة عليها لتشمل بذلك الأسرات من الأولي إلي السادسة.

واعتباراً من ٢١٨١: ٢١٣٤ ق.م يبدأ عصر الانتقال الأول، أو عصر الفوضي والاضمحلال الأول وفي هذه المرحلة حكمت مصر الأسرات السابعة

---

(٢) انظر نجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدني القديم - ج ١، ص ٤٠.

والثامنة والتاسعة والعاشرة.

أما عصر الدولة الوسطي فيبدأ من٢١٣٤ : ١٧٨٦ ق.م وفيه قام علي حكم مصر ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

وشهدت مصر عصراً ثانياً من الفوضي والاضمحلال أو ما يصطلح المؤرخون علي تسميته بعصر الانتقال الثاني وفيه دخل الهكسوس مصر، ويشتمل علي الأسرات من الثالثة عشر وحتي السابعة عشر ويمتد من عام ١٧٨٦ : ١٥٨٠ ق.م.

ثم يعقب ذلك صحوة حضارية في تاريخ في مصر حيث تقوم الإمبراطورية المصرية أو الدولة الحديثة حيث حكمت الأسرات الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرون وذلك بدءا من١٥٨٠ : ١٠٨٧ ق.م.

ثم يأتي في تاريخ مصر ما يسمي بالعصر المتأخر وفيه تتوالي الأحداث فتحكم أسر ضعيفة لم تستطع أن تعيد للدوله التي صنعت الإنجازات الحضارية سابق عظمتها وقوتها.

وتوالي علي حكم مصر في تلك الفترة الليبيون والنوبيون والكهنة، ودخل الفرس مصر ومن بعدهم اليونان، وهذه الفترة تمتد علي مدي الأسرات من الواحدة والعشرين وحتي الأسرة الثلاثين.

حاول العلماء والمؤرخون والأثريون أن يصلوا إلي حقيقة تطور التدوين، وحقيقة تطور الفكر الإنساني فيما يتعلق بتسجيل أحداث حياته في مجالاتها المختلفة، فقدم الباحثون لذلك نتائج جهودهم وتجاربهم التي تهدف إلي التوصل إلي كيفية بناء الإنسان لحضارته علي هذه الأرض.

واستطاع Lebby صاحب نظرية carbon14 أن يصل إلي تحديد البداية للاستقرار وذلك بحساب عمر المواد المتكربنة التي تم العثور عليها من قبل الأثريين وبهذا أمكن تحديد الزمن الذي أنتج فيه الإنسان القمح ومعرفته للزراعة وما صاحب ذلك من ظهور المجتمعات المستقرة وما تطلبه ذلك من خدمات وأدوات.

ورأي عالم الآثار الإنجليزي بيتري أن يستخدم ما أسماه بالتقويم المتتابع Sequence dating ليحدد تطور الحضارة المصرية القديمة.

وتوصل المؤرخ الإنجليزي Toynbee إلي نظريته الشهيرة التحدي والاستجابة التي يمكن تطبيقها علي كل الظواهر التاريخية، ورسخت نظرية **Challenge&Response** بحيث تمكن الباحثون من تفسير الأحداث طبقا لها. (١)

ولم تقتصر الجهود البشرية لتطور تدوينها التاريخي علي مصر والمصريين القدماء بل اشتركت شعوب أخري في بناء السجل البشري لتدوين تاريخ الإنسان

محاولات القدماء في تسجيل الأحداث:

إن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث الهامة أو غير الهامة كما أنه ليس مجرد تسجيل لظواهر طبيعية أواجتماعية أو سياسية أو اقتصادية إنما هو نتاج العقول البشرية والدليل علي وجودها فهو عصارة وجدانها.

ومن أعظم ما يدل علي عمق الفكر عند الإنسان القديم وبصفة خاصة في مصر القديمة حرصه الدائم علي البحث عن الحقيقة الأولي في حياة الإنسان الاوهي الموت.

إن الميلاد ميلاد أي شئ أسهل في الاستيعاب والاقتناع من الموت، وعلي الرغم من أن الإنسان منذ بدء الخليقة وحتي يأتيه اليقين سيظل حائراً مكتوف الأيدي أمام هذه الحقيقة الكبري ذلك أن الموت من الحقائق التي سلمت بها البشرية ولم تحاول بل لم تستطع أن تتجاوزها.

والتاريخ هو العمر العقلي للإنسان ممثلاً في الحياة البشرية بكافة جوانبها وموضحا إنجازات الإنسان وتطوره ومكتسباته عبر المراحل المختلفة.

وعلي أية حال فقد حفظت لنا الآثار التي خلفها الإنسان نقوشاً عبر فيها عن

---

(1) Toynbee , A study of History. vol. I.pp.271 ~ 275

جوانب حياته المختلفة فسجل احتفالاته وأعياده، كما سجل انتصارات ملوكه وهزائم جيوشهم، ودون انطباعاته وانفعالاته، وترك للباحثين أعماله الأدبية والعلمية، ومعاناته، وما حل به من كوارث طبيعية أو هجمات بشرية.

لقد سجل المصريون أخبار حياتهم، وإن لم تكن بالأهمية التي سجلوا بها نظرياتهم حول البعث والخلود، كما سجل السومريون والبابليون نظرياتهم حول عباداتهم، وأحوالهم، ونظمهم وقوانينهم.

وكل هذا في الحقيقة يوضح المراحل التي تطور فيها التدوين، وهنا يجب علي المؤرخ أن يوضح للدارسين ضرورة الوقوف علي النص الذي يخدم بحثه، أو النقش التي يدعم رأية خاصة وأن كثيراً من المدونات القديمة تختلط فيها الحقيقة مع الأسطورة.

والأسطورة في الواقع، وإن داخلها كثير من الخيال إلا أنها تلقي الضوء علي ملامح العصر الذي سجلت فيه، والأفكار التي كانت متداولة بين العامة وغيرهم، وهي مصدر خصب للباحث الذي يود البحث عن أحوال المجتمع في فترة من فترات التاريخ.

هذا بالإضافة إلي أن الفكر القديم، وما حفظته النقوش القديمة يقدمان عدداً كبيراً من الأساطير التي يمكن للباحثين أن يستنبطوا منها كثيراً من الوقائع الهامة لحياة الإنسان.

ولم يختلف في ذلك الإنسان في العراق عن أخيه في مصر، أو الصين أو الهند، كما لم يختلف الإنسان في ذلك في العصور المختلفة.

فالملاحم والأساطير كثيرة تعكس أنماطاً من السلوك والفكر البشريين عن مختلف الشعوب، وتقدم لنا مرحلة من مراحل تطور التدوين من حيث الفكر الإنساني والنظرة العقلية أو العاطفية للأمور.

ويمكن للدارسين من خلال معايشتهم لأبعاد الأسطورة أو الملحمة دراسة تفصيلاتهما وتحليل المغزي الذي تحملة سطورها حتي يمكن أن يتوصلوا إلي تصور

للمشكلات التي عايشتها المجتمعات البشرية القديمة وموقف العقل منها وكيفية معالجتها.

وتحفظ لنا السجلات اليونانية والرومانية، سواء كانت منقوشة علي الحجر أو اللوحات، أو علي البردي أو ألواح الطين كثيراً من الملاحم الكبري التي تصور المعارك العسكرية التي خاضتها تلك الشعوب

إلا أن هناك ملاحم من أنواع أخري مثل ملاحم البحث عن الخلود، وتتبع الحقيقة كما في ملحمتي جلجامش، وإيزيس وأزوريس. وهاتان الملحمتان تصوران واقعين مختلفين للمعاناة سجلهما لنا الكاتب القديم،الأولي تصور معاناة فردية، والثانية تصور معاناة أسرة وربما ترمز الأسرة ومعاناتها إلي معاناة شعب بأكمله.

ومن العصر اليوناني سجل هوميروس في ملحمتيه الإلياذه والأوديسا أشكالاً من المعاناة في الحروب التي خاضها اليونانيون. مما يقدم درسا سجلته ذاكرة التاريخ ليتعلم من الأحداث من يأتى من بعدهم من الشعوب.

وعلي أية حال فإن الأساطير والملاحم القديمة تشكل جزء هاماً من الأدب الشعبي الذي حفظته لنا النقوش والكتب القديمة ومن ثم تشكل مرحلة هامة من مراحل التدوين.

وللأقدمين الفضل الكبير في تسجيل أحداث حياتهم علي جدران معابدهم وقبورهم ومسلاتهم، فلولا ذلك لضاع ذلك السجل الحافل في غياهب النسيان.

ولم يكف العلماء المحدثون عن البحث عن أسرار ما سجله ودونه الأقدمون ليقفوا علي أسرار حياتهم وكنه معتقداتهم، وعلاقتهم بغيرهم في داخل مجتماعتهم وخارجها وحياتهم العمليه اليومية.

وهذا كله وجده علماء الآثار واللغة والتاريخ مدونا بدقة وعناية كما تركه الإنسان القديم ليكون بين أيدينا لنتابع المسيرة من أجل تقدم ورخاء البشرية.

ولم يقتصر ما تركة الإنسان مسجلاً علي ما أشير إليه آنفا بل تضمن

مخترعاتهم وفنونهم وعلومهم، وطرائق صناعاتهم، وزراعتهم وأسفارهم وألعابهم ووسائل تسليتهم وأدوات زينتهم وأسلحتهم إلي آخر ما تحفل به الآن الكتب والأرشيفات والمتاحف حيث تقدم معيناً خصباً أمام الباحث عن أصل ومعني وتطور التاريخ.

وتحفظ لنا البرديات القديمة ما دونه أو بالأحرى بعضاً مما دونه الإنسان القديم، ففي مصر القديمة نجد نصائح الحكماء، وقصص الرحلات والقصص الاجتماعية، وأدب الثورة، فنصائح الحكيم إيب ور توضح لنا حرص الإنسان القديم علي الفضيلة، والبحار المصري سنوهي يروي لنا قصة رحلته إلي ببلوس، والفلاح الفصيح يرفض الواقع غير الآمن الذي شهدته البلاد في عصر الفوضي والانتقال الأول إلي غير ذلك مما تحفل به المدونات القديمة من فصول متنوعة من حياة الإنسان القديم.

وسجلت أيدي الفنان القديم صفحات من تاريخ الدولة القديمة علي جدران معابد الدير البحري في صعيد مصر، حيث يوضح العلاقات الخارجية بين مصر وبلاد بونت.

ويصور رعمسيس الثاني علي جدران معابده انتصارات جيشه علي الحيثيين في معركة قادش، كما تحفظ لنا النقوش نصوص المعاهدة التي عقدها مع ملك الحيثيين والتي تعد من أولي المعاهدات الدولية المحفوظة حتي الآن.

وفي العراق القديم حفظت لنا ألواحهم نماذج من انجازاتهم الحضارية الرائعة، فقانون حمورابي الذي وجد منقوشاً علي لوح طيني يقدم خلاصة تجارب شعب العراق في التشريعات والقوانين وذلك من حسن حظ المؤرخ والباحث في بداية تطور الفكر البشري.

ولا يمكن أن نغفل القيمة التاريخية لمثل تلك النصوص القديمة التي تمثل جوانب أساسية في حضارة شعوب الشرق الأدني القديم فالدارس لنصوص قانون حمورابي ملك بابل يستطيع أن يتلمس فيها تأثيرات ما بلغه الأنبياء السابقون في

العراق القديم، فابراهيم عليه السلام نشأ في أور وسافر إلي حران ثم إلي فلسطين في فترة تعاصر حكم حمورابي أو قبلها مما نعرفه عن الآداب والشرائع التي كان يعلمها إبراهيم قومه، فالعين بالعين والسن بالسن نجدها واضحة تماما في نصوص قانون حمورابي.

وقوانين حمررابي علي كل حال هي نتاج تجارب متصلة ومحاولات سابقة من ملوك العراق القديم لوضع أسس لتشريعات يحكمون بمقتضاها تلك الشعوب ومن هؤلاء الملوك تجلات بلاسر وشبليوليما.[1] ويمكن أن نؤكد ما لتلك التشريعات من تأثيرات علي ما ظهر فيما بعد من قوانين هامة ميزت عصر حمورابي.

وعند الحديث عن أهم ما دونه الأقدمون لا بد ان نذكر ما حفظ لنا عن اخناتون الذي يناجي إلهاً واحداً خالق الكون وعالم الغيب الرازق الواهب الواحد الأحد، وهذا ما سجلته لنا نصوص تل العمارة وهذه النصوص توضح اتجاه الإنسان إلي عقيدة التوحيد، وترك الآلهة والوثنية التي ظهرت في العالم القديم.

وأناشيد إخناتون قد نالت شهره عظيمة باعتبارها من أجمل النصوص وأصدقها تعبيراً عن الجانب الروحي في حياة الإنسان.

وهي من جهة أخري تعكس ضمير الإنسان القديم ممثلاً في أحد ملوك مصر الذي حكم عقلة ورفض أن يعبد التماثيل أو الكواكب، بل راي توحيد الألوهية، وتوحيد العبودية لله الواحد رب العباد الذي لا شريك له ولا حاكم معه، خلق الكون وحده بارادته ومشيته وقدرته، وخلق الإنسان وعمله ما لم يكن يعلم.

كذلك لا يمكن أن نغفل أناشيد داود عليه السلام التي تعتبر نماذج معبره في شعر الزهد والندم علي ارتكاب المعصية وهناك من المؤرخين من يقارن بين اناشيد اخناتون وبين مزامير داود لشدة الشبهة بينهما في الفكر والمضمون .

لكننا يجب أن نفرق بين داود باعتباره نبيا من أنبياء الله وبين إخناتون ملك مصر القديمة، أما داود فقد أتاه الله بسطة في العلم وأنزل عليه الزابور، وعلمه

---

(١) رشيد الناضوري : انطور التاريخي للفكر الديني ،الكتاب الثالث . المدخل ص.ص. ١٠٤، ١٠٥.

علما لا ينبغي لأحد من بعده، أما اخناتون فقد فكر وتأمل واجتهد وما حفظ عنه نتيجة لذلك، وربما كان نتيجة لجهد رجال الدين والكهنوت في دولته، إلا أنه اقتنع بها فنسبت كلها إليه.

ولا يجب أن نغفل في هذا المقام ما ورثته الشعوب السابقة في هذه المنطقة من الأصول الدينية التي جاء بها الأنبياء الأولون وما وصل إليها ظهر واضحاً في الإنتاج الفكري لتلك الشعوب.

وأسهم اليونانيون بدورهم في تسجيل أحداث تاريخهم سواء ما كان أحداثا أسطورية أو أحداثا حقيقية تمثلت في حروبهم وترحالهم وبحثهم عن حياة أفضل.

إن ما تركة المفكرون اليونانيون القدماء أمثال أفلاطون وأرسطو وسقراط يعتبر علامات بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، وفي التاريخ البشري للأمم السابقة وبصفة خاصة في الشرق الأدني القديم، فقد أطلعوا خلال رحلاتهم علي الفكر المصري القديم والتجارب الخصبة التي عاشتها مصر القديمة إضافة إلي فكر سورية القديمة والعراق القديم مما ظهر واضحا فيما تركوه لنا من نتاج فكري وعقلي متميز.

كذلك أسهم المفكرون الرومان في تسجيل التطور الفكري للعقلية الإنسانية فيما قدموه من قوانين وتشريعات كان لها مكانها المرموق بين النتاج الفكري العالمي.

وعلي أية حال فإن العقل البشري لم يفتأ يطور ذاته، ويتطلع إلي الأفضل والأكثر اتقانا تاركاً للأجيال التالية تراثاً حضاريا ضخما يحار الإنسان في جنباته، ويشق علي الباحثين سبر غوره لكثرته وتنوعه وعمقه وصعوبته مما يزيد من المسئولية الملقاة علي عاتق المؤرخين المحدثين علي اختلاف تخصصاتهم وميولهم ومشاربهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم.

ولا تعني هذه المقولة أن ما أسهم به المؤرخون المحدثون في دراسة ذلك التراث والتعريف به والكشف عنه قليل، فإن الجهود المبذولة في هذا المجال جهود

جبارة ولولاها لما كان أمام الباحثين الآن ما أمامهم من مادة علمة وفيرة، ومصادر محققة منشورة أو غير منشورة دون تحقيق، وكلها في واقع الأمر لها قيمتها باعتبارها زاداً يغني الباحثين والدارسين لإشباع حاجتهم في البحث عما يريدون.

دور العرب فى التدوين:

ارتبط دور العرب في التدوين بقيام الدولة الإسلامية في المدينة، ومع ذلك فلا نستطيع أن نغفل الدور الذي قام به الإنسان في شبه الجزيرة العربية في محاولاته للتدوين إلا أنها كانت في معظمها بدائية ولم تصل إلي المستوي الذي وصلت إليه جهود المسلمين في التدوين.

ونستطيع أن نقرر أن دور العرب الحقيقي في التدوين يبدأ بتدوين القرآن الكريم ذلك أن عملية جمع القرآن الكريم كانت من العلامات المميزة للعرب والمسلمين علي طريق التدوين، بل للمؤرخ أن يقر أن هذه العملية كانت أهم وأخطر خطوة قام المسلمون بها ليقف دليلاً علي بداية التدوين عندهم علي الإطلاق .(١)

تنزل القرآن الكريم علي محمد بن عبد الله ﷺ، وكان حفظة القرآن يحفظونه عن ظهر قلب، وكان كتاب الوحي يسجلون ما يتلي عليهم علي ما وجدوه من الحجارة والرقاع وسعف النخيل وغير ذلك.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلي الرفيق الأعلي امر الصديق رضي الله عنه أن تجمع الرقاع والأحجار والجلود التي سجل عليها القرآن الكريم وذلك بناء علي ما رآه الفاروق رضي الله عنه.

---

(١) انظر مصطفي الشكعة : مناهج التاليف عند العرب، ص ٣٨.

وتروي المصادر أنه حين استحر القتل بقراء القرآن في يوم اليمامة جاء الفاروق رضي الله عنه إلي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: إني أري أن تجمع القرآن.(١)

وعلي الرغم من تردد الصديق رضي الله عنه في ذلك علي أساس أن رسول الله ﷺ لم يفعل هذا إلا أن عمر حسن ذلك للصديق رضي الله عنهما وشرح الله صدر الصديق لهذا العمل العظيم.

وطفق كتاب الوحي يجمعون القرآن الكريم من العسب واللخاف وصدور الرجال حتي استطاعوا جمعه.

وكانت الصحف عند الصديق رضي الله عنه حتي توفاه الله، واحتفظ بها عمر الفاروق رضي الله عنه ثم حفظتها حفصة بنت عمر حتي أيام عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وقدم على ذي النورين رضي الله عنه حذيفة بن اليمان وكان مع المجاهدين في الشام والعراق، وحدث خليفة المسلمين عن اختلاف الناس في قراءة القرآن الكريم.

وتروي لنا المصادر أن حذيفة قال لعثمان رضي الله عنهما: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصاري فأسرع خليفة المسلمين رضي الله عنه بأن أرسل الي حفصة بنت عمر: أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، وأرسلت حفصة بها إلي عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.(٢)

وتبع تدوين القرآن الكريم في المصاحف أن فكر المسلمون في تدوين الحديث، وقد أدرك المسلمون أهمية ذلك خاصة بعد أن تم لهم الاطمئنان علي

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٧٧

قارن فتحية النبراوي: الخلفاء الراشدون ص ص ٢١٢ ـ ٢١٣

(٢) ابن العربي: العواصم من القواصم ص ص ٦٦ ـ ٦٩

كتاب الله فطفقوا يوجهون اهتمامهم إلي حديث رسول الله ﷺ .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص من أكثر الرجال اهتماماً بأحاديث رسول الله ﷺ ، بل أصدق الناس رواية لها.

لقد راودت فكرة تدوين الحديث الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله ووافقه علي ذلك بعض الصحابة رسول الله ﷺ لكن هذه الفكرة لم تر النور لأن الفاروق عمر رضي الله عنه تردد في ذلك.

كما أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز كتب إلي الأمصار لجمع أحاديث رسول الله ﷺ لكن هذا لم يتم أيضا.

وظل رواة الحديث يروونه كما أوصي بذلك رسول الله ﷺ حتي العصر الأموي حيث بدأت الأهواء عند ضعاف النفوس في وضع أحاديث ونسبتها إلي رسول الله ﷺ. وكان تأخر جمع الحديث يقوم علي أن رسول الله ﷺ قد نهي عن كتابة أي شي أو تسجيله سوي القرآن الكريم.

ورأي المسلمون أنه من الضروري جمع الأحاديث النبوية الشريفة خشية عليها من التحريف أو الضياع أو النسيان، فقام علي ذلك العمل الجليل الإمام مالك بن أنس حيث توفر علي جمعه في كتابه الموطأ وذلك في المدينة.

وعاصر الإمام مالك بن أنس عدد من علماء المسلمين ركزوا جهودهم علي جمع الأحاديث النبوية ففي مكه قام علي جمع الأحاديث النبوية عبد العزيز بن جريج وفي الشام عبد الرحمن الأوزاعى وفي العراق سفيان الثوري وحماد بن سلمة بن دينار . (١)

وبهذا يكون القرن الثاني للهجرة هو القرن الذي شهد اهتمام رجال الحديث بتدوينه وتسجيله وحفظه من الضياع، وما أن انتصف القرن الثالث الهجري حتي ظهر الامام أحمد بن حنبل الذي كرس جهوده ووهب حياته لجمع السنة النبوية المطهرة، واستطاع خلال عمله المضني أن يجمع في كتابة المسند ما تأكد من

---

(٢) كان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة.

صحته واتصال سنده إلي رسول الله ﷺ حتي بلغ عدد هذه الأحاديث ثلاثون ألف حديث صحيح انتقاها من بين سبعمائة وخمسين ألف حديث.

يقول السيوطي: قال الذهبي: في سنة ثلاث وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة، ومالك بالمدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو سيف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية، واللغة، والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف غير مرتبة. (١).

وتتواصل اهتمامات علماء المسلمين بالأحاديث النبوية فيطالعنا الإمام البخاري بكتابة الصحيح في الأحاديث النبوية الشريفة ذلك الكتاب الذي يعد عمدة في كتب الأحاديث الستة الصحاح، وقد روي عنه أنه قال: خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة وكتبت عن ألف وثمانين رجلا فليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقول: الايمان قول وعمل . (٢)

وتبعه في هذا العمل الجليل محمد بن زيد بن ماجة، وابو داود والترمذي والنسائي.

وقد مثل هذا العمل الذي قام به العلماء المسلمون جهداً عظيماً حفظ للأمة الإسلامية سنة رسولها ﷺ المصدر الثاني للتشريع.

ولا يفوت المؤرخ أن يوضح المنهج الذي اتبعه رجال الحديث في جمعه فقد عمل هؤلاء الرجال علي التثبت من صحة الحديث وتتبع سلسلة إسناده ثم صنفوها علي درجاتها ومراتبها وحسب قوتها وضعفها.

ولم يكن هذا العمل سهلاً بل كان شاقاً مضنياً اذ تطلب اثبات الحديث

---

(١) جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٢٦١

(٢) انظر صحيح البخاري طبعة الشعب ٣ اجزاء . ولد الامام البخاري في ١٩٤ هـ وتوفي عام ٢٥٦ هـ

الواحد البحث عن أصله ومتنه حتي ولو أدي ذلك بهم إلي الترحال والبحث عنه في أي مكان.

وعرف عن العرب اهتمامهم برواية الأخبار ومعرفة الأنساب ورواية قصص البطولة وأنباء الحروب بواسطة الرواة والإخباريين مثل النضر بن الحارث بن ومخرمة ابن نوفل وعقيل بن أبي طالب.

ويعتبر عبيد بن شرية الجرهمي اليمني من أوائل الرجال الذين صنفوا كتاباً في التاريخ وذلك لملوك اليمن القدامي، وتحدثنا المصادر أن معاوية بن أبي سفيان استدعاه إلي بلاطه في بلاد الشام وكلفه بأن يصنف له كتاباً في تاريخ العرب أسماه كتاب الملوك وأخبار الماضيين. (١)

ومن أهم الرجال الذين اهتموا بكتابة التاريخ القديم وهب بن منبه اليمني الذي عاصر شرية الجرهمي حيث صنف كتاب التيجان وملوك حمير ذلك الكتاب الذي كان مصدراً أساسياً لكثير من المؤرخين المسلمين ومن بينهم محمد بن جرير الطبري. (٢)

كما أن إبان بن عثمان بن عفان كتب بالمدينة صحفاً عن سيرة رسول الله ﷺ وعليهما شرح فيها أعماله وجهاده وغزواته في سبيل الله.

وكان عروة بن الزبير بن العوام من الأوائل الذين كتبوا في سيرة رسول الله ﷺ اعتمد كل من ابن اسحق وابن هشام وابن سعد يقول الصفدي: وأول من صنف في المغازي عروة بن الزبير رضي الله عنهما. (٣)

واهتم عروة بن الزبير بن العوام بعصر النبوة والخلفاء الراشدين وكانت كتابته من المصادر الأساسية لمن جاء بعده من المؤرخين وعلي رأسهم محمد بن جرير الطبري.

---

(١) نشر الكتاب عام ١٣٤٧هـ في حيدر أباد الدكن بالهند.

(٢) انظر فتحية النبراوي. تاريخ النظم والحضارة الإسلامية. ص ٢٠١.

(٣) انظر الصفدي: الوافي بالوفيات. جـ١ ص ٧

ومن أهم الرجال الذين اعتنوا بكتابة السيرة النبوية الشريفة ابن شهاب الزهري الذي يعتبر مؤسساً للمدرسة التاريخية في المدينة.

شهد القرن الثاني الهجري اهتماماً ملحوظاً بكتابة السير والمغازي وكان موسي بن عقبة مولي الزبير بن العوام الذي وضع أساس هذا النموذج من الكتابة وتبعه في ذلك الواقدي وابن سعد وغيرهما. (١)

ويمثل ابن سحق بكتاباته عن السيرة النبوية الشريفة فترة النضج في الكتابة والتدوين التاريخي حيث وضع ابن اسحق كتابه الشهير في مغازي رسول الله ﷺ بناء علي طلب الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور.

ومن الجدير بالذكر أن الأصل الذي وضعه ابن اسحق لم يصل إلينا إلا عن طريق ابن هشام الذي هذب واختصر ماكتبه ليصبح بعد ذلك مشهوراً بين المؤرخين بسيرة ابن هشام.

وقد كانت مغازي ابن اسحق مصدراً أساسياً لكل من الواقدي صاحب الفتوح والأخبار، ومحمد بن جرير الطبري صاحب تاريخ الرسل والملوك ويستطيع المؤرخ تتبع فقرات كاملة من المغازي لابن اسحق عند كل من الواقدي والطبري، مما يؤكد اعتمادهما علي السيرة الاسحاقية مصدراً لتاريخيهما.

ويأتي من بعد ذلك الواقدي ليمثل فترة هامة في الكتابة التاريخية عند المسلمين ومن بعده ظهر تلميذه ابن سعد صاحب الطبقات الكبري ومن المعروف، أن ابن سعد قد تتلمذ بعد الواقدي علي عدد من الشيوخ أمثال سفيان بن عيينه وأبي الوليد الطيالسي ومحمد بن سعدان الضرير ووكيع بن الجراح القاضي وسليمان بن حرب وهشيم والفضل بن دكين والوليد بن مسلم ومعن بن عيسي وعشرات غيرهم من الرجال المشهود لهم بالصدق والعدالة في رواية الحديث النبوي. (٢)

---

(٣) قارن الصفدي : الوافي بالوفيات . جـ١ ص ٧

(١) ابن سعد : الطبقات الكبري جـ١، ص ص ٦، ٧

ومع انتقال الثقل السياسي إلي بغداد تحول المد الثقافي إليها حيث ازدهرت الكتابة التاريخية سواء في بغداد أو البصرة. وفي العصر العباسي يظهر شيخ المؤرخين المسلمين محمد بن جريرالطبري صاحب الموسوعة الكبري في التاريخ: تاريخ الرسل والملوك.

استطاع الطبري أن يحتل قمة الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري وما بعده إلا أنه من الواجب أن نشير إلي المصادر التي اعتمد عليها محمد بن جرير والتي تتمثل فيما ترك السابقون من الرواة والأخباريين ورجال الحديث والنسابة وقد أخذ عن كل في فنه وتخصصه، فقد أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وغيرهما ممن نقل عن ابن عباس، واعتمد علي ابان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل وابن سعد وموسي به عقبة وابن اسحق في سيرة رسول الله ﷺ، أما أخبار عصر الخلفاء الراشدين فنقلها عن سيف بن عمر الأسدي، وأما أحداث الجمل وصفين فكان المدائني وأبو مخنف المصدرين الأساسين له واعتمد كتابات عوانه بن الحكم في أخباره عن الأمويين وأحمد بن أبي خيثمة عن العباسيين.

إن كتابات أبي مخنف لوط بن يحي بن سعد الأزدي من المصادر الأولي التي تظهر واضحة في كتابات الطبري ومصنفاته، ولعل الفضل يرجع إلي محمد ابن جرير في حفظ ما ألف أبو مخنف حيث لم يصل إلينا عنه من روايات سوي ما أورده الطبري في تاريخه الكبير.

وأبو مخنف من الكتاب العلويين الذين عرف عنهم تشيعهم الشديد إلي آل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد استطاع في فترة مبكرة أن يدون تاريخاً وافياً كان زاداً للطبري في تاريخ الرسل والملوك.

ولما كان أبو مخنف من كتاب العلويين كان علي المؤرخ أن يتناول مادته العلمية بكثير من الحذر، ويطبق عليها كثيراً من الضوابط حتي يجنب نفسه أي زلل قد تحمله هذه الرواية أو تلك.

وعلي أية حال فإن القرن الثالث الهجري شهد نهضة مميزة في التدوين عند

العرب لكننا يجب أن نؤكد أن بداية التدوين تعود إلي العصر الإسلامي الأول، وهذا يأتي للرد علي من يحاول أن يجعل بداية التدوين الحقيقية ترتبط بالعصر العباسي، ليعود بذلك الفضل في نشأة التدوين إلي غير العرب.

إن هذه القضية توضح كيف كان لعلماء الحديث اليد الطولي في تأصيل الأسس التي سار عليها التدوين في العصر الإسلامي الأول، وكيف تطور فيما بعد علي أيدي العلماء المسلمين حتي أن المؤرخين الأول ساروا علي منهج مدرسة الحديث في تدوين التاريخ، واستخدموا منهج المحدثين في تدوين الرواية التاريخية وبهذا يستطيع المؤرخ أن يؤكد أن العرب قد قاموا بدور هام وأساسي في وضع أسس الكتابة عموماً والكتابة التاريخية علي وجه الخصوص.

والكتابة التاريخية قد اتخذت أسماء واصطلاحات كثيرة، فقد صنفها الباحثون المتخصصون تحت أبواب التاريخ العام، والتاريخ الخاص، ،والسير والتراجم، وكتب الرحلات، وكتب الوفيات، ومعاجم البلدان، والرسائل المتخصصة، والموسوعات الشاملة، وكتب النظم، وكتب الأموال والقانون والخراج.

وهذة الأصناف تتداخل في كثير من الأحيان، وتتميز في أحيان أخري لكنها جميعاً تدخل في إطار الكتابة التاريخية أو التدوين التاريخي ومع ذلك فيمكن للمؤرخ أن يتناول كل صنف علي حدة أو يتناولها جميعاً عند دراسة موضوع من الموضوعات، لكن هذه المصنفات تقف شاهداً علي تنوع الكتابة التاريخية وتطورها عبر العصور المختلفة.

وقد شهدت الكتابة التاريخية أوج تطورها في العصر العباسي حيث أصبح المؤرخ المسلم يخصص في كتاباته ما يعد تاريخاً صرفاً، وتنافس المؤرخون المسلمون فيما قدموا من مؤلفات ضخمة في التاريخ، ويلمس المؤرخ الحديث مدي التنافس الذي كان بين مؤرخي تلك الفترة مما أثري ولا شك الكتابة التاريخية.

وأما ما قدمه هؤلاء المؤرخين من أعمال عظيمة في التاريخ يقف المؤرخ الحديث من خلالها علي تطور الأحداث ونتائجها مع المادة التاريخية الأصلية

والمعلومات الأوليه لشهود لعيان أو غيرهم مما يمكنه من كتابة تاريخ أي فترة زمنية بشكل موثق يعين علي معرفة الحقيقة في تلك الفترة.

علم التاريخ عند المسلمين:

لا يمكن للمؤرخ أن يضع بداية واضحة المعالم محددة الملامح لظهور علم التاريخ ذلك أن الاجتهادات كثيرة حول هذه القضية والآراء متعددة تجاهها.

ويذهب البعض إلي أن ظهور علم التاريخ يرتبط بالعصر الحديث حيث اكتملت معالمه واتضحت أصوله وأصبح علماً بمعني الكلمة شأنه شأن كافة العلوم الأخري.

بينما يذهب البعض الأخر إلي أن علم التاريخ يضرب بجذورة إلي أزمنه بعيدة ترتبط ببداية ظهور الكتابة وارتقاء المجتمع الإنساني واستقراره مكوناً بذلك أول نظام سياسي علي سطح الأرض..

وكما اختلف حول بداية ظهور علم التاريخ فقد تعددت الآراء ووجهات النظر حول مفهومة وما هيته وموضوعه.

وقد حسم العلماء المسلمون هذه القضية في مؤلفاتهم الخاصة بهذا الموضوع فيقول الشمس السخاوي في تعريفة للتاريخ من حيث الاصطلاح: "وفي الاصطلاح هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة وصحه عقل وبدن ورحلة وحج وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد وانتزاعة من متغلب عليه وانتقال دولة وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة

ومقدماتها». (١)

ويستطرد السخاوي فيقول: أما موضوعه فالإنسان والزمان، وأما فائدته فمعرفة الأمور علي وجهها، ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما .

وهكذا بين السخاوي تعريف التاريخ من حيث الاصطلاح ووضح موضوعه وفوائده وهو بهذا يضع المؤرخ علي الطريق السليم في الوقوف علي ماهيه التاريخ وكنهه ومجالاته واهتماماته وموضوعاته وفوائده.

وليس السخاوي وحده هو الذي ذهب هذا المذهب فقد سبقه إلي الحديث عن أهمية علم التاريخ أو أهمية التاريخ وفوائده غيره من المؤرخين فقد ذكر ابن الأثير: ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها، ويعرض عنها ظناً منه أن غاية فائدتها القصص والأخبار ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر علي القشر دون اللب نظره واصبح مخشلباً جوهره (٢)، ومن رزقه الله طبعاً سليماً وهداه صراطا مستقيماً علم أن فوائده كثيرة ومنافعه الدنيوية والأخروية جمة غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً مما ظهر فيها ونكل إلي قريحة الناظر فيه معرفة باقيها.

فأما فوائده الدنيوية فمنها إن الإنسان لا يخفي يحب البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فياليت شعري! أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين؟ فإذا طالعها فكأنه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضرهم» (٣)

ويضيف ابن الأثير ما مفاده: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا اطلعوا علي تجارب الماضي وأحداثه أفادوا منها واستقبحوا الأشياء التي أساءت للبلاد والعباد

---

(١) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . ص ٧

(٢) المخشلب: خرز يتخذ منه حلي

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١، ص ص ٧،٦

واستحسنوا السيرة الحسنة للحكام والولاة العادلين فرغبوا فيها وخلصوا به واستعادوا نفائس المدن وعظيم الممالك.

«وأما الفوئد الأخروية فمنها: أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأي تقلب الدنيا بأهلها، وتتابع نكباتها علي أعيان قاطنيها وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق علي جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد عنها وأقبل علي التزود للآخرة منها . . . ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق فإن العاقل إذا رأي مصاب الدنيا لم يسلم منها بني مكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم». (١)

ويتحدث العماد الكاتب الأصفهاني عن فوائد التاريخ فيقول: «ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة، ولقل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها. (٢)

التاريخ الهجرى:

يبدأ التاريخ الهجري بهجرة رسول الله ﷺ من مكه إلي المدينة، وكانت هذه النقلة التاريخية الهامة نقطه تحول في تاريخ المسلمين ومن ثم اتخذها المسلمون بداية لتاريخهم وكان العام الأول للهجرة الموافق العام ٦٢٢م بداية التاريخ الإسلامي.

وتناول المؤرخون المسلمون هذه البداية التي تحدد التاريخ الإسلامي فيذكر محمد بن جرير الطبري ذلك في أحداث العام السابع عشر للهجرة النبوية الشريفة يقول: فيها كتب التاريخ في شهر ربيع الأول، ويضيف الطبري نقلا عن رواية ابن أبي سبرة عن عثمان بن الله بن أبي رافع عن ابن المسيب قال: أول من كتب

---

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ- جـ١، ص ٨

(١) العماد الكاتب الأصفهاني: الفتح القدسي . ص٤٤.

التاريخ عمر. لستين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. (١)

وفي رواية أخري عن سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر الناس فسألهم أي يوم نكتب؟ فقال علي: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك ففعله عمر.

ويقول ابن الأثير: قيل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر بوضع التاريخ.

ويوضح ابن الأثير سبب ذلك فيقول: وسبب ذلك أن أبا موسي الأشعري كتب إلي عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم: أرخ لمبعث النبي ﷺ، وقال بعضهم لمهاجرة رسول الله ﷺ فقال عمر: بل نؤرخ لمهاجرتة فإن مهاجرته فرق بين الحق والباطل، وهذه رواية الشعبي كما يوردها ابن الأثير. (٢)

وفي رواية أخري يذكر ابن الأثير أنه رفع إلي عمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان؟ أشعبان الذي هو آت أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا علي تاريخ الروم فإنهم يؤرخون من عهد ذي القرنين فقال هذا يطول فقال الفاروق: اكتبوا علي تاريخ الفرس فقيل إن الفرس، كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله، فاجتمع رأيهم علي أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من بدء هجرة رسول الله ﷺ.

وفي رواية ثالثة يذكر ابن الأثير: أنه قدم علي عمر رضي الله عنه رجل فقال أرخوا فسأل الفارق ما معني ذلك؟ فقال شئ تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا فقال الفاروق حسن، فأرخوا، فاتفقوا علي الهجرة ثم قالوا من أي الشهور؟

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك . جـ٤ ص ٣٨

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ . جـ١، ص ١٠.

فقالوا: من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه.

ولم تقتصر الروايات التي أوردها ابن الأثير علي ذلك فهناك رواية لسعيد بن المسيب تقول: إن الفاروق عمر رضي الله عنه: جمع الناس وسألهم من أي يوم نكتب فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: من مهاجرة رسول الله ﷺ وفراقة أرض الشرك ففعل ذلك عمر رضي الله عنه.(١)

وهكذا نري أن الفاروق رضي الله عنه هو الذي وضع التاريخ الهجري للمسلمين وذلك بعد أن استشار عدول المسلمين، ونزولاً علي آرائهم ورغبتهم وقد وافقت الأمة علي أن يكون مهاجر سول الله ﷺ من مكة إلي المدينة هو بداية لستهم الهجرية وهو أول ما يؤرخون به لحياتهم السياسية وقد ألغي هذا العمل ما سبقة فبعد ما كانت العرب تؤرخ بعام الفيل أصبحوا يؤرخون بهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلي المدينة وذلك في عام سبع عشرة أو ثماني عشرة للهجرة.

ومن هنا كانت أهم نقطة تحول في التاريخ الإسلام والمسلمين وهي ما سنه الفاروق عمر رضي الله عنه من وضع بداية التاريخ الهجري للمسلمين في ذات الوقت نقطة الإنطلاق نحو قيام المدارس التاريخية المختلفة،تلك المدارس التي كان لها باع طويل في التدوين التاريخي والكتابة التاريخية،وتسجيل تاريخ المسلمين ووضع الأسس العلمية والمنهجية ليصبح التاريخ علماً له أصوله وقواعده.

---

١ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ.جـ١ ص ١١

الفصل الثالث

الرؤية الإسلامية فى تفسير التاريخ

التفسير الإسلامى للتاريخ.

ابن خلدون وتفسير التاريخ.

المؤرخ المسلم.

الشروط الواجب توفرها فى المؤرخ.

الفصل الثالث

الرؤية الإسـلامية فـى تفسـير التاريخ

التفسير الإسلامى للتاريخ:

فـرالمؤرخون المسلمون التاريخ، وادلي الفقهاء والعلماء والمفسرون والمحدثون بدلوهم في هذه القضية، محاولين توضيح الرؤية الإسلامية لهذا العلم.

إن علماء المسلمين وخلال دراساتهم المتخصصه والموسوعية قد وضعوا تفسيرات عدة لمعني التاريخ ومفهومه، كما وضعوا الأسس التي تميز هذا العلم وتحدد منهجيته، كما عرفوا المؤرخ وبينوا دوره في تسجيل الأحداث.

يقول خليفة بن خياط: وبالتاريخ يضبط للناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نسائهم ومحل ديونهم .(١)

وهنا يري خليفة بن خياط أن التاريخ يضبط للناس أمور حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

ويضيف ابن خياط: «لم يزل للناس تاريخ،. فكانوا يؤرخون في الدهر الأول من هبوط آدم من الجنة، فلم يزل حتي بعث الله نوحا، فأرخوا من دعاء نوح قومه فلم يزل حتي حُرّق ابراهيم فأرخوا من تحريق ابراهيم وأرخت بنو إسماعيل ببناء الكعبة». (٢)

يري ابن خياط إذن أنه لا بد للأمم من تاريخ، وأن هذا التاريخ سجل لأحداث حياتهم، وأنه يبدأ بهبوط آدم من الجنة.

وتظهر دقة الإنسان في تسجيله للأحداث الهامة ذات التأثير الواضح في حياة

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق اكرم ضياء العمري - دار القلم - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٧، ص ٤٩.

(٢) نفس المصدر :ص ٥٠.

المجتمع كما تظهر أيضاً الحاسة التاريخية عنده ضبطا لاحوال الناس.

ثم ينتقل إلي مرحلة أخري فيقول: ولم يزل لفارس تاريخ يعرفون به أمورهم وتاريخ حسابهم إلي هذا اليوم من ملك يزدجرد بن شهريار وذلك في سنة ست عشرة من هجرة رسول الله ﷺ وهو تاريخ الناس اليوم"(١)

لم تنقطع إذن رؤية المؤرخ المسلم للتاريخ، فهو ملم بالأحداث يتفاعل معها، ويسجل لنا ما يدور حوله من تغييرات سياسية واقتصادية، كما حدث في تسجيل أحداث فارس ودور التاريخ بالنسبة لهم فهم يعرفون به أمورهم وينظمون به مواقيتهم وحساباتهم.

وفي الجزيرة العربية كانت بنو اسماعيل يؤرخون ببنيان الكعبة فلم يزل ذلك حتي مات كعب بن لؤي فأرخوا من عام الفيل، ثم أرخ المسلمون بعد ذلك من مهاجر رسول الله ﷺ. (٢)

وعلي الرغم من اهتمام المؤرخين المسلمين بالتاريخ وتدوينه وتفسيره إلا أن بعضهم رأي أنه مجرد تسجيل للأحداث يعتبر بها بنو البشر، كما ذهب البعض الآخر إلي القول بأن التاريخ لا غني عنه للملوك والحكام حتي يتعلموا منه تجارب الأمم الماضية ويستفيدوا من حكم السابقين.

وكانت أهم التفسيرات التي أجمع عليها كثير من المؤرخين المسلمين هي ربط التاريخ بأمور الدين بمعني أنه بالتاريخ يعرف الناس مواقيتهم الخاصة بالحج والصوم،وغير ذلك ومن هنا كان اهتمام العامة والخاصة به، وكان اشتغال العلماء والفقهاء والكتاب والمحدثين بهذا العلم الجليل.

وقد اجتهد المؤرخون المسلمون في التعبير عن رؤيتهم للتاريخ فمنهم أصاب كما يري الطبري أو جانبه الصواب كما يري المسعودي.

أما الطبري فيقول: قال جل جلاله وتقدست أسماؤه ﴿وجعلنا الليل والنهار

(١) خليفة بن خياط :التاريخ :ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٥٠

آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا» ليصلوا بذلك إلي العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين من الصلوات والزكوات والحج وغير ذلك من فروضهم وحين حل ديونهم وحقوقهم.(١)

واما المؤرخ الرحالة أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر فيقول: وقد الف الناس كتبا في التاريخ ممن سلف وخلف، فأصاب البعض واخطأ البعض الآخر، وكل قد اجتهد بغاية إمكانه، وأظهر مكنون فطنته: كوهب بن منبه، وأبي مخنف لوط يحيى العامري، ومحمد بن اسحق، والواقدي، وابن الكلبي، وأبي عبيد معمر بن المثني، وأبي العباس الهمداني، والهيثم بن عدي الطائي، والشرقي بن القطامي، وحماد الرواية، والأصمعي، وسهل بن هارون، وعبد الله بن المقفع، واليزيدي، ومحمد بن عبد الله العتبي، والأموي، وأبي يزيد سعيد بن أوس الأنصاري، والنضر بن شميل، وعبد الله بن عائشة، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وعلي بن محمد المدائني، ورماذ بن رفيع بن سلمة، ومحمد بن سلام الجمحي، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبي يزيد عمر بن شبة النميري، والزرقي الأنصاري، وأبي السائب المخزومي، وعلي بن محمد بن سليمان النوفلي، والزبير بن بكار، والإنجيلي، والرياش، وابن عايذ، وعمارة بن وسيمة المصري، وعيسي بن لهيعة، وعبد الرحمن عبد الله بن الحكم المصري، وأبي حسان الزيادي، ومحمد بن موسي الخوارزمي، وأبي جعفر محمد بن أبي السري، ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني صاحب كتاب الدولة، واسحق بن ابراهيم الموصلي صاحب كتاب الأغاني وغيره من الكتب، والخليل بن الهيثم الهرثمي صاحب كتاب الحيل والمكايد في الحروب وغيره، ومحمد بن يزيد المبرد الأزدي، ومحمد بن سليمان المنقري الجوهري، ومحمد بن زكريا الغلابي المصري المصنف المترجم بكتاب الأجواد وابن أبي الدنيا مؤدب المكتفي بالله وأحمد بن محمد الخزاعي المعروف بالخاقاني

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك حـ١ ص ٤

والأنطاكي، وعبد الله بن محمد بن محفوظ البلوي صاحب أبي يزيد عمارة ابن يزيد المديني، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان، وأحمد ابن أبي طاهر صاحب الكتاب المعروف بأخبار بغداد وغيره، وابن الوشاء، وعلي ابن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين وغيره، ومحمد بن صالح النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره، ويوسف بن إبراهيم صاحب أخبار إبراهيم بن المهدي وغيرها، ومحمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك للفتح بن خاقان وغيره، ،وابي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب، وعبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة، ومن كتبه النفيسة في المسالك والممالك وكتاب التاريخ من المولد إلي الوفاة، ومن كان بعد النبي ﷺ من الخلفاء والملوك إلي خلافة المعتضد بالله، وما كان من الأحداث والكوائن في أيامهم وأخبارهم، تأليف محمد بن علي الحسيني الدينوري، وكتاب التاريخ لأحمد بن يحيي البلاذري، وكتابه أيضاً في البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة النبي ﷺ وما فتح في أيامة وعلي يد الخلفاء بعده، وما كان من الأخبار في ذلك، ووصف البلدان في الشرق والغرب والشمال والجنوب، ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه، وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم وهو جد الوزير علي بن عيسي بن داود الجراح، وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن في الأعصار قبل الإسلام وبعده تأليف أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سوار المعروف بابن أخت عيسي بن فرخان شاه بلغ في تصنيفه إلي سنة عشرين وثلثمائة، وتاريخ أبي عيسي المنجم علي ما أثبات به التوراه، وغير ذلك من أخبار الأنبياء والملوك وكتاب التاريخ، وأخبار الأمويين ومناقبهم، وذكر فضائلهم، وما أتوا به عن غيرهم، وما أحدثوه من السير في أيامهم تأليف أبي عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي، وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ، والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف بن وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الأخبار، وكتاب السير والأخبار لمحمد بن خالد الهاشمي، وكتاب التاريخ لأبي بكر بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره، فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوي فممن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته، وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي علي المولفات، والزائد علي الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الأخباروحوي فنون الآثار واشتمل علي صنوف العلم، وهو كتاب تكثر

فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون ذلك؟! ومؤلفه فقيه عصره، وناسك دهرة إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار وحملة الآثار (١).

وبعد سرد طويل لعديد من المؤلفات والمؤلفين يقول المسعودي: ولم نذكر من كتب التواريخ والأخبار والسير والآثار إلا ما اشتهر مصنفوها، وعرف مؤلفوها، ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الأحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم، إذ كان ذلك أكثر من ان نأتي علي ذكره في هذا الكتاب إذ كنا قد أتينا علي جميع تسمية أهل الاعصار من حملة الآثار ونقلة السير والأخبار. وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة، ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر علي اختلاف أنواعهم وتنازعهم في آرائهم من فقهاء الأمصار وغيرهم من أهل الآراء والنحل والمذاهب والجدل إلي سنة اثنتن وثلاثين وثلثمائةفي كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الأوسط.

أما مروج لذهب ومعادن الجوهر فقد وصفه صاحبه بأنه كتاب يتفوق علي غيره من مؤلفاته حيث جعله تحفة للأشراف من الملوك وأهل الدرايات، لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة إليه وتنازع النفوس إلي علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان وجعلته منبهاً علي ما سلف من كتبنا، ومشتملاً علي جوامع يحسن بالأديب العاقل معرفتها، ولا يعذر في التغافل عنها، ولم نترك نوعاً من العلوم، ولا فناً من الأخبار، ولا طريقة من الآثار إلا أوردناه في هذا الكتاب مفصلاً، أو ذكرناه مجملا، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات، أو يوصي إليه بفحوي من العبارات، فمن حرف شيئاً من معناه أو أزال ركناً من مبناه، أو طمس واضحة من معالمه، أو لبس شاهدة من تراجمه أو بدله أو أشانه أو اختصره أو نسبه إلي غيرنا أو أضافه إلي سوانا، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره، ويحار له فكره وجعله الله مثله للعالمين، وعبرة

---

(١) المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣، ص ص ١٢ ١٧

للمعتبرين، وآية للمتوسمين، وسلبه الله ما أعطاه، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والأرض، من أي الملل كان والآراء إنه علي كل شئ قدير .(١)

ابن خلدون وتفسير التاريخ:

يري ابن خلدون في مقدمته: أن التاريخ فن من الفنون الذي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلي معرفته السوقة والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقيال وتتساوي في فهمه العلماء والجهال إذ هو في ظاهره لا يزيد علي إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول. (٢)

ثم يضيف: في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ،فهو لذلك أصيل في الحكم عريق. (٣)

ويستطرد ابن خلدون فيقول: وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها.

ومن هؤلاء يذكر ابن خلدون ابن اسحق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الأسدي ويشير إلي أن هناك بعض المغمز والملمز علي كتابات كل من الواقدي والمسعودي مما هو معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة علي الثبات.

وينتقد ابن خلدون كتابات المؤرخين المسلمين فيقول: إن أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك وذكر من بينهم المسعودي أو من استوعب أخبار قطره

---

(١) المسعودي : مروج الذهب حـ١ ص ص ١٧ : ١٨

(٢) ابن خلدون : المقدمة - ص ٢.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

واقتصر علي تاريخ دولته ومصره، ودلل علي هذا النوع من المؤرخين وهذا النموذج من الكتابة التاريخية بمؤرخ الأندلس ابن حيان وابن الرفيق مؤرخ افريقية ثم جاء بعد ذلك عدد من المقلدين الناقلين.

ويوضح ابن خلدون أسباب ذلك فيقول: إن هذا الصنف من المؤرخين إنما يتبعون من قبلهم من أجيال المؤرخين المحققين المدققين فهم ينقلون نقلاً محافظين علي نقلها وهماً أو صدقاً لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها وأظهر من آيتها ولاعلة الوقوف عند غايتها فيبقي الناظر متطلعا بعد إلي افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها.

وجاء جيل من المؤرخين بعد ذلك ممن اختصر تلك الأعمال اختصاراً مخلاً مثلما ذكر ابن خلدون ثم جاء آخرون بافراط الاختصار وذهبوا إلي الإكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الأنساب والأخبار ومن هؤلاء ابن رشيق في ميزان العمل، واعتبر ابن خلدون هذا الجيل من المؤرخين قد أخل بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد. (١)

ويعترض ابن خلدون علي النقل فيقول: لأن الأخبار إذا اعتمد فيها علي مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا ينسي الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيدة عن جادة الصدق.

ومقدمة ابن خلدون تمدنا بمادة علمية قيمة ذكر فيها فضل علم التاريخ وأهم من ذلك تحقيق مذاهبه مع الإلماع بمغالط المؤرخين. (٢)

ثم يوضح ابن خلدون خلاصة ما ذهب إليه في رؤيته للتاريخ ومناهج المؤرخين المسلمين فيقول: إن التاريخ هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل، فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أس المؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين بها أخباره. (٣)

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ص ٤: ٥

(٢) انظر نفس المصدر، ص ٩.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٢

ومن ثم وضع المنهج الذي أرتآه سليماً ،وأميناً لنقل الأخبار. وذلك المنهج استخلصناه من مقدمته التي وضعها لكتابه العبر وفيه حدد الخطوات التي يجب علي المؤرخ اتباعها في توثيق الاخبار والتحقق من صحتها.

١ـ لا بد من عرضها علي الأصل.

٢ - وقياسها بأشباهها.

٣ ـ سبرها بمعيار الحكمة.

٤ - تحكيم النظر والبصيرة في الأخبار.

٥ ـ تحري الدقة في إحصاء الأعداد والأموال والعساكر.

٦ ـ تأمل الأخبار وعرضها علي القوانين الصحيحة حتي يقع للمؤرخ تمحيصها بأحسن وجه.

ويقول العز الكناني: لا شك في جلالة علم التاريخ وعظم موقعه من الدين وشدة الحاجة الشرعية إليه لأن الأحكام الانتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من مكارم الهادي من الصلات والمبصر من العمي والجهالة، والنقلة هم الواسطة بينا وبينه فوجب البحث عنهم والفحص عن أحوالهم وهذا مجمع عليه والعلم المتكفل بذلك هو علم التاريخ ولهذا قيل أنه من فروض الكفاية.(١)

ونحن نحاول في هذه الدراسة أن نقف علي مناهج المؤرخين المسلمين ومن ثم نتعرف علي رآهم للتاريخ وتفسيرهم له ففي كل قرن من قرون التاريخ الإسلامي يظهر لنا مؤرخ يضع منهجا يختلف فيه عمن سبقه أو يتفق.

ففي القرن السابع الهجري نري ابن خلكان يضع كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، وعلي الرغم من أن هذا الكتاب يعد من أهم كتب التراجم إلا أن صاحبه يقول في مقدمته: (هذا كتاب مختصر في التاريخ، دعانا إلي جمعه أني كنت مولعاً بالإطلاع علي أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم، ومن جمع منهم في كل عصر فوقع لي منه شئ حملني علي كثرة

---

(١) السخاوي : الإعلان ،ص ٥٥.

الاستزادة وكثرة التتبع فعمدت إلي مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن، وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له ما لم أجده في كتاب، ولم أزل حتي حصل عندي مسودات كثيرة في سنين عديدة، وغلق علي خاطري بعضه فصرت إذا احتجت إلي معاودة شئ منه لا أصل إليه إلا بعد التعب في استخراجه لكونه غير مرتب فاضطررت إلي ترتيبه) . (١).

وهكذا يتضح المنهج الذي سار عليه ابن خلكان في تصنيف مؤلفه في التاريخ وهو يوضح لنا طريقة ترتيب الأعلام علي حروف المعجم كما يبين لنا أنه سوف لا يتعرض لبعضها وذلك لأفراد كتب خاصة بهم مثل طبقات الصحابة رضوان الله عليهم فهو لا يذكر منهم إلا ما دعت الضرورة إلي ذكره.

كذلك يروي لنا ابن خلكان نوع المعلومات التي يتضمنها كتابه فهو يذكر مولد ومتوفي من يؤرخ له ويذكر شيمه وأخلاقه وصفاته وأعماله.

ويري المقريزي أن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً واشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً لما يحويه من المواعظ، والانذار بالرحيل إلي الدار الآخرة عن هذه الدار. والاطلاع علي مكارم الأخلاق ليقتدي بها واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولوا النهي .(٢).

ويضع المقريزي منهجاً عاماً ضمنه مقدمة كتابه، وهذا المنهج لا بد في رأية لكل مؤلف من التزامه، وهذا ما سماه بالرءوس الثمانية قال:

أعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرءوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهي:

١ - الغرض.

٢ - العنوان.

٣ - المنفعة.

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج ١، ص ص١٩ : ٢٠

(٢) المقريزي . الخطط . جـ١، ص١ .

٤ - المرتبة.

٥ - صحة الكتاب.

٦ - من اي صناعة هو أي نوعه.

٧ - عدد أجزائه.

٨ - أسماء التعاليم المستعملة فيه.

وقد طبق هذا علي نفسه في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ووضع كل رأس من تلك الرءوس في متن كتابه فنراه يقول: سميته كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وأما منفعتة هذا الكتاب فإن الأمر يتبين من الغرض في وضعه ومن عنوانه أعني أي منفعته هي أن يشرف في زمن قصير علي ما كان في أرض مصر من الحوادث والتغيرات، وأما مرتبة هذا الكتاب فهي من جملة أحد قسمي العلم اللذين هما العقلي والنقلي.

وأما من أي علم هذا الكتاب فهو من علم الأخبار وبها عرفت شرائع الله وحفظت سنن أنبيائة ورسله ودون هداهم الذي يقتدي به من وفقه الله تعالي إلي عبادته وهداه إلي طاعته وحفظه من مخالفته.

وبها نقلت أخبار الملوك والفراعنه وكيف حل بهم سخط الله تعالي لما أتوا ما نهي عنه وبها اقتدر الخليقة من أبناء البشر علي معرفة ما دونوه من العلوم والصنائع وتأتي لهم ما غاب عنهم من الأقطار الشاسعة والأمصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر فضله.(١)

وعن المنهج الخاص الذي اتبعه المقريزي فهو كما يقول:

١ - النقل من الكتب المصنفة في العلوم.

٢ ـ الرواية عمن أدركت من مشيخة العلم وجلة الناس.

---

(١) المقريزي: المصدر السابق: جـ١، ص ٤.

٣ - المشاهدة لما عاينته ورأيته.

والشمس السخاوي ممن أفردوا كتاباً خاصاً عن التاريخ وهو الكتاب المسمي بالإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ وقفنا علي فقرات منه في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وهو نفس الكتاب الذي استخدمه فرانز روزنتال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين كاملا.(١)

ولم يقتصر الشمس السخاوي علي ذلك بل تحدث في كتابه التبر المسبوك عن التاريخ فقال:

فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي، وزين تقر به العيون حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي بل وقعه من الدين عظيم ونفعه متين في الشرع بل جعله من فروض الكفايات.

ويروي لنا السخاوي بداية التاريخ الهجري ويأتي علي رواية ابن الأثير من حيث مبدأ التاريخ الهجري وأن عمر الفاروق رضي الله عنه هو الذي قال: ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم مضبوطة به فيما يتعاطونه من معاملاتهم. واتفقوا علي أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لدن هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلي المدينة.

واشترط السخاوي أنه يجب أن يتوفر في المؤرخ ما يتوفر في راوي الحديث من العدالة والضبط المضبوط كل منهما بشروط ليكون معتمداً في أمر الدين.

ويذكر عن أحد شيوخه أن الذي يتصدي لضبط الوقائع يلزمه عدة أمور من أهمها التحري في النقل فلا يجزم إلا بما يتحققه ولا يكتفي بالقول الشائع ولا سيما إن ترتب علي ذلك مفسدة من الطعن في حق احد أهل العلم والصلاح.

كما يحتاج المؤرخ أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع

---

(٢) روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة صالح العلي. الطبعة الثانية. مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٣ ص ص ٣١٧ . ٣٨٠

الوضيع ولا يضع الرفيع.(١)

ويري بعض المؤرخين المسلمين أن علم التاريخ يساند علوما أخر كالسياسة وهي العلم الذي يتعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات الفاضلة والمردية، وتوابع ذلك كعلم الأخلاق الذي يعلم منه أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها، وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها.

ويقول العز بن جماعة: يجب أن نفرق بين علم التاريخ وعلم الطبقات، ومعرفة الفرق بين موضوعيهما وغايتهما، ويضيف: والحق عندي أنهما بحسب الذات يرجعان الي شئ واحد وبحسب الاعتبار بتحقق ما بينهما من التغاير، فيجتمع علم التاريخ وعلم الطبقات في التعريف بالرواه، وينفرد التاريخ بالحوادث والطبقات.

ويؤكد ابن حزم في كتابه مراتب العلوم: العلوم القائمة اليوم سبعة أقسام عند كل أمة وفي كل مكان وزمان، أهمها علم الشريعة وعلم أخبارها يعني المتضمن لفن التاريخ.

وهكذا نري أن الرؤية الإسلامية في تفسير التاريخ قد اتضحت خلال المناهج التي وضعها المؤرخون المسلمون، وكلها تتفق علي أن المؤرخ هو المثبت للحقائق والوقائع والأحوال التي تقع في عصره فهو يراها ويعايشها ويسجلها ويحللها ويناقشها وفق شروط وقوانين محددة استقاها من الواقع الإسلامي والحياة الإسلامية، وأهم من ذلك كله استقاها في بداية الأمر من منهاج المحدث المسلم الذي ربط نفسة بمنهج قاس من التدقيق والتحري والبحث وصولاً إلي أسلم طريق لتسجيل أحاديث رسول الله ﷺ.

المؤرخ المسلم:

إن وقفة أمام التراث التاريخي الضخم الذي خلفه لنا المؤرخون المسلمون

---

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. ص٤.

علي اختلاف أنماط كتاباتهم تحتم علينا أن نتساءل عن المؤرخ المسلم ومكانته في المجتمع، وكيف كان يوائم حياته في خضم الحياة السياسية التي كان يعاصرها.

إن كثيراً من المؤرخين المسلمين وقفوا حياتهم وكرسوا جهودهم لكتابة التاريخ وقضوا سنوات حياتهم عاكفين علي العلم والدرس والكتابة والإملاء مما يرجع أن العصور التاريخية المختلفة شهدت مؤرخين محترفين كان عملهم الأساسي هوكتابة التاريخ، لكننا يجب أن نقرر أن العمل بكتابة التاريخ في تلك العصور لم يكن يعتبر من الأعمال التي يمكن أن تكفل لصاحبها مستوي من المعيشة بما يحصل عليه من كتابته للتاريخ ومن ثم نجد أن عدداً لا بأس به من المؤرخين كانوايعملون في المناصب الحكومية وخدمة الخلفاء، وتألقوا في شئون الحكم والسياسة ومن ثم ظهرت طبقة من هؤلاء يمكن أن نطلق عليهم اصطلاح مؤرخي البلاط أو مؤرخي الدولة.

وفي هذا السياق يقول فرانز روزنتال **Franz Rosenthal** : إن التاريخ من حيث العموم ونظراً لمكانته في التربية الإسلامية لم يكن علماً يمكن أن يجني منه صاحبه الرزق والقوت ومن هنا مارس معظمهم الكتابة التاريخية بجانب عمله الرسمي. وهنا يلح السؤال القائل: هل كتب تاريخ المسلمين مؤرخو الدوله؟

وللإجابة علي هذا التساؤل وانطلاقاً من محاولة لتحديد الأبعاد الفكرية والثقافية بالإضافة إلي التجارب العلمية للمؤرخ المسلم نقول:

لقد وضع أسس الكتابة التاريخية مؤرخون علماء لم يكن لهم هم ولا شاغل سوي العلم والكتابة والتدوين والتسجيل لأحداث عصرهم، وقد كان هؤلاء أصلا هم المفسرون لكتاب الله عز وجل، والمحدثون بأحاديث رسول الله ﷺ، ثم اضافوا إلي عملهم كتابة التاريخ، وأخبرونا بأهدافهم من ذلك، وتحدثوا عن فوائد مثل ذلك العمل في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة.

ولهذا نجد أنفسنا مطمئنين إلي ما كتب المؤرخون المسلمون الأول خاصة من كتب المغازي وأخبار الجهاد، وهذا الصنف من المؤرخين ظل يعمل عن كثب خلال

العصور التاريخية المختلفة، إلا أننا نجد من بين هؤلاء من استطاع أن يكسب ثقة الحاكم أو الأمير أو الخليفة أو الوالي لورعه او لرجاحة عقله أو لحكمته أو لخبرته الطويلة فكان أن ولوهم بعض المناصب الإدارية أو القضائية أو السياسية، فالمؤرخون المحترفون كانوا نادرين وقد سد معظم المؤرخين حاجاتهم المادية من الاشتغال بعلوم اللغة والأنساب والمناصب الحكومية ومختلف فروع العلوم الدينية.(١)

لقد ظهر في العصر العباسي من المؤرخين من كانوا رجالاً في الدولة لهم مكانتهم ودورهم في بلاط الخليفة ويؤكد ذلك ما يرويه البلاذري باعتباره من رجال البلاط العباسي وشهود العيان لحكم الخليفة العباسي المتوكل فقد كان نديماً له، وقام بالإضافة إلي ذلك بتدوين التاريخ لتلك الفترة، ولم يقتصر شغل هذه الوظيفة علي البلاذري، وإنما كانت من الوظائف الثابتة في الدولة العباسية، لكن المهم في ذلك أن هؤلاء قد مارسوا التدوين والكتابة بل والتأريخ أيضاً.

والسؤال المنطقي هنا هو هل كان المؤرخون المسلمون موظفين في الدولة مهنتهم الكتابة؟ أم أنهم شغلوا مَناصب حكومية إدارية أو سياسيةكالقضاء أو الحسبة او قيادة الجيوش أو الوزاره إلي غير ذلك ثم مارس التدوين وهذا علي أية حال لا يقدح في أمانتهم، ولا يقلل من قيمة ما قدموا لنا من كتب في تاريخ الأمة والدولة والسياسة والنظم والإدارة والأموال وغير ذلك.

بل إننا نستطيع أن نقرر أن ثمة فائدة عظمي في تدوين هؤلاء لتاريخ الاسلام والمسلمين ذلك أنهم قد اطلعوا خلال عملهم علي كثير من الأوراق الرسمية والوثائق والمعاهدات، وأحوال الناس ومشكلاتهم مما يجعل لهذه الكتابات قيمة تاريخية عظيمة إذ اعتمد أصحابها علي مصادر أوليه وأصول صحيحة لكثير مما كتبوا.

لكننا نعود فنقول لما كان المؤخ بشراً ككل البشر، له ميوله وأهواؤه وأهدافة

---

(١) روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ترجمة صالح العلى ، ص ٧٨

فقد تأثر بعض المؤرخين بتلك الميول والأهواء مما ظهر في كتاباتهم، وهذا لا يغيب عن الباحث المدقق والمؤرخ الخبير الذي يمكنه أن يميز بين الزيف والحقيقة، ويمكنه أن يرجح الرأي المنطقي أو ذلك المبني علي الهوي والغرض ومع ذلك، ومهما يكن أمر تلك الكتابات فهي في واقع الأمر تقدم نوعاً من الكتابة التاريخية أو السياسية التي لا يخلو منها عصر من العصور.

ويري روزنتال: إن تأليف الكتب التاريخية كان من واجب الشخصيات السياسية الكبري. ومعني ذلك أن هناك من رجال الدولة من كان واجبه الأساسي هو تدوين التاريخ، لكنه يعود فيقول: إنه من الصعب أن نقرر ذلك ويضرب مثلاً لذلك فيقول: إن الوزير الجويني ألف في القرن الثالث عشر كتابه العظيم عن التاريخ، لكنه لا يستطيع القطع إن كان هذا العمل الذي قام به ذلك الوزير إشباعاً لهوايته في التأليف أم أنه قد صنفه كجزء من أعماله الرسمية.(١)

وعلي أية حال لقد شهدت المدارس التاريخية المختلفة أعداداً من المؤرخين الذين شغلوا مناصب رسمية في الدولة سواء في دمشق أو بغداد أو القاهرة أو غير ذلك من العواصم الإسلامية الأخري، فقد تولي كل من الصابي ومسكويه والصفدي والقاضي الفاضل والعماد الكاتب وابن خلكان وابن خلدون والمقريزي والعيني وأبو الفدا وغيرهم مناصب هامة في الدولة وتنوعت تلك المناصب وبالتالي تنوعت كتاباتهم التاريخية.

لكننا في ذات الوقت نجد من أعلام مدارسنا التاريخية رجالاً وقفوا حياتهم واهتمامهم علي الكتابة التاريخية من هؤلاء كان الطبري الذي أوقف حياته كلها علي الكتابة والتصنيف ولم يعرف عنه أنه قيد نفسه بقيود وظيفية أو حصل علي رزق من وال أو أمير أو حكومة، كذلك المؤرخ المصري ابن زولاق ذلك الرجل الذي كرس وقته وجل جهده للكتابة والتدوين والتأليف.

ومن الجدير بالملاحظة أن يفرق الباحثون بين أصناف المؤرخين علي غرار ما

---

(١) روزنتال مرجع سابق ص ٧٩.

فعل العلماء المسلمون ذلك أنهم فرقوا بين المؤرخين الثقاة الحفاظ وبين عوام المؤرخين أو اشباه المؤرخين ولعل السخاوي يؤكد هذا في كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التايخ فيقول: إنهم أي المؤرخين وضعوا من أناس أورفعوا أناساً ووضح أسباب ذلك فيما يلي:

١ ـ الجهل.

٢ ـ التعصب.

٣ ـ الاعتماد علي النقل ممن لا يوثق به.

٤ ـ غير ذلك من الأسباب.

ثم أضاف الشمس السخاوي نقلاً عن التاج السبكي أن الجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل ويقول: لا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ليس بينهما من الصداقة ما يحملة علي التعصب له ولا من العداوة ما يحمله علي الغض منه. (١)

ويقتضي البحث التاريخي أن يتخصص بعض المؤرخين في التاريخ القديم ومن ثم فهؤلاء هم مؤرخو التاريخ القديم، وآخرون يهتمون بدراسة التاريخ الاسلامي فهم مؤرخو التاريخ الإسلامي أو الوسيط، وفريق ثالث هم المتخصصون في التاريخ الحديث.

وظهرت أنواع أخري من التخصصات وظهر مؤرخون جدد هم مؤرخو التاريخ السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو مؤرخو التاريخ العسكري، والمهتمون بالعملة والمسكوكات إلي غير ذلك من التخصصات كتاريخ الأديان واللاهوت.

ويبدو أن المؤرخ القديم لم يشغل باله بتلك التقسيمات ومن ثم كان مؤرخاً عاماً أو مؤرخاً موسوعياً يكتب ما يراه ويسجل ما يشاهده ويأتي المؤرخ الاسلامي الذي كتب التاريخ العام والتاريخ المحلي إلي غير ذلك.

---

(١) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ، ص ٧٣

الشـروط الـواجب توفرهـا في المؤرخ:

يري المؤرخون المسلمون أن هناك شروطاً أسـاسية يجب أن تتوفر في المؤرخ يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ الصدق وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعني والا يكون ما نقله مما أخذه من الذاكرة ثم كتبه وأن يسمي المنقول عنه.

٢ ـ أن يكون عارفـاً بحال المترجم علمـاً وديناً وغيرهما من الصـفات وهذا عزيز جداً.

٣ ـ أن يكون حسن العـبارة عارفاً بمدلـولات الألفاظ حسن التصـور بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص.

٤ ـ الا يغلبه الهوي فيخيل له هواه الأطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره.

٥ ـ أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويسلك معه طريق الأنصاف.

٦ ـ التجرد

٧ ـ العلم.

وقد تحدث الصفدي في وفيـاته عن هذه الشروط ووضعها تحت عنوان: في أدب المؤرخ، وينسب ذلك الي العـلامة حجـة الاسلام قاضي القـضاة تقي الدين السبكي. (١)

وجاء تصنيف المؤرخين المسلمين علي النحو التالي:

١ ـ مؤرخو السيرة النبوية المطهرة وقصص الأنبياء.

٢ ـ مؤرخو المعاجم وكتب الأعيان والوفيات وهؤلاء الذين اقتصروا علي فن مخصوص.

٣ ـ مؤرخون يهتمون بدولة مخصوصة.

٤ ـ مؤرخون يهتمون بالكتابة عن شخص مخصوص.

---

(١) الصفدي الوافي بالوفيات جـ ١ ص ٤٦

٥ ـ مؤرخون قصروا كتاباتهم علي أهل بلد مخصوص.

وإذا وضعنا هذه التقسيمات في إطار يشمل المؤرخين المسلمين علي اختلاف تخصصاتهم واهتمامهم : فانها سوف تتضمن التقسيمات الأربع التالية:

١ ـ كتاب التاريخ العام.

٢ ـ كتاب التراجم والطبقات والمعاجم ومنها تراجم الأدباء والوفيات والتراجم الذاتية.

٣ ـ كتاب التاريخ المحلي لبلد أو إقليم أو منطقة.

٤ ـ كتاب النظم الإسلامية.

وكتاب التاريخ العام كثيرون وهم لا يدخلون تحت حصر ومن أشهرهم الطبري وابن الأثير وابن خلدون والمقريزي وغيرهم. ومن أشهر كتاب الطبقات والتراجم نذكر ابن سعد وابن خلكان والذهبي والصفدي والفوطي وياقوت الحموي.

أما كتاب التاريخ المحلي فقد ظهر منهم ابن القلانسي وابن العديم وابن الشحنة وأبو يعلي وأبو شامة وأما كتاب التراجم الخاصة فنذكر منهم ابن زولاق وابن عبد الظاهر وابن شداد والعماد الكاتب ومن بين كتاب النظم ظهر الماوردي وأبو يعلي وابن مماتي والقلقشندي.

ويمكننا القول أن هناك أنواعاً من المؤرخين الذين تميز انتاجهم التاريخي، من ذلك مؤرخ الدولة الذي يطلب إليه أن يكتب تاريخاً رسمياً لدولة من الدول أو لحاكم من الحكام أو لأمير من الأمراء وغالباً ما تغيب الموضوعية والحيدة في كتابته، فابن الأثير صاحب كتاب الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية عمد إلي إبراز مكانة تلك الدولة وتأكيد دورها في الجهاد متجاهلاً بذلك دور صلاح الدين في مصر وربما كان ذلك ارضاء للملك القاهر أو تفادياً لإيقاع الدولة الأتابكية في الحرج.

وقد ظهر المؤرخ المحايد بين المؤرخين المسلمين فمنهم من حقق في كتاباتة

قدرا كبيرا من التجرد والموضوعية ومن أمثال هؤلاء محمد بن شهاب الزهري من رجال القرن الثاني الهجري وعبد الرحمن الجبرتي صاحب عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ولقد استطاع الجبرتي فيما دون من أخبار أن يتحري الصدق والدقة ويتوخي الحق فلم يكن يتحيز لطائفة أو لدولة أو لإنسان مهما عظم نفوذه.

الفصل الرابع

المدارس التاريخية الإسلامية
في
الشام والحجاز والعراق

مدرسة المدينة

مدرسة الشام

مدرسة العراق

المدارس التاريخية الإسلامية
في
الحجاز والشام والعراق

مدرسة المدينة :

صاحب قيام الدولة الإسلامية في المدينة وتأسيس النظام السياسي الإسلامي نهضة علمية عظيمة واكبت إنتشار الاسلام ذلك أنه كان لا بد لهذا الدين الجديد من رجال مفكرين علماء يعرفون الناس دقائق أمور دينهم ويفقهونهم في أحواله تأسياً برسول الله ﷺ.

كانت المدينة المنورة هي المركز الأول للإشعاع الفكري والحضاري للإسلام، وفيها كانت النشأة الأولي لمدرسة المدينة الجامعة التي شملت علوم المسلمين إذ لم تقتصر مدرسة المدينة علي كونها مدرسة للتاريخ السلامي وحسب وإنما وكما أشرنا سابقاً كانت هي المدرسة الجامعة التي عني رجالها وأساتذتها ومفكروها وأقطابها من صحابة رسول الله ﷺ عناية فائقة بالتفسير والحديث والفقه ثم تلي ذلك عنايتهم بالتاريخ ومن هنا كانت مدرسة التاريخ في المدينة المنورة هي الابنة البكر لهذه المدرسة الجامعة.

كما تعد مدرسة المدينة المنورة المدرسة الأولي في التاريخ وهي المدرسة التي ارتبطت منذ نشأتها بدراسة مغازي رسول الله ﷺ وسلم ومن ثم يكون اصطلاح مدرسة المغازي مرادفاً لاصطلاح المدرسة التاريخية الأولي في المدينة المنورة. (١)

ومما لا شك فيه أن هذه المدرسة قد قامت بدور أساسي في نشأة وتطور علم

---

(١) قارن عبد العزيز الدوري نشأة علم التاريخ عند العرب المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠، ص ٦١ وانظر شاكر مصطفي التاريخ العربي والمؤرخون ـ جـ١، ص ١٤٩

التاريخ عند المسلمين فلا يمكن أن ننكر الدور الهام الذي قام به رجال تلك المدرسة المؤسسين في تسجيل الأحداث وتدوينها جنباً إلي جنب مع اهتمامهم الأول بالتفسير للقرآن الكريم وتدوين أحاديث رسول الله ﷺ.

إن الخطوات الأولي لاستقلال مدرسة التاريخ عن المدرسة الجامعة الأولي في المدينة المنورة يعد تطورا في العقلية الإسلامية والفكر الإسلامي، حقيقة أن مدرسة المدينة قد اهتمت بالدرجة الأولي بالتفسير وذلك علي يد مؤسسها عبد الله بن عباس رضي الله عنه، لكنه عني إلي جانب ذلك بالفقه والحديث والتاريخ وترك وراءه تراثاً حافلاً فيه.

إن عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان من أقطاب هذه المدرسة، فهو صحابي من الذين توسم فيهم رسول الله ﷺ الخير الكثير ودعا له بالبركة فيخبرنا ابن سعد في طبقاته عن القاسم بن مالك المزني عن عبد الملك بن عطاء عن ابن عباس قال: دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مرتين.

كما روي أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب، كما ذكر أن رسول الله ﷺ دعا له الله فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

وشهد رجال المدينة له بالتفقه في الدين وسعة العلم فقد كان يفتي في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما إلي أن مات رضي الله عنه، وقد سماه أصحابه وتلامذته من أهل المدينة ترجمان القرآن وكانوا إذا اختلفوا في شئ ردوه إليه ومع ذلك فيظهر دور ابن عباس في وضع أسس الرواية التاريخية إذا قارنا مدي اعتماد محمد بن جرير الطبري عليه حيث يلمس المؤرخ دوره بشكل جلي في الرسل والملوك. (١)

ويمكننا القول أن البدايات الأولي لعلم التاريخ عند المسلمين تعود إلي هذه المرحلة وعلي الرغم من أن كتابات ابن عباس التاريخية لم تصل إلينا مباشرة إلا أن مآثره وأفكاره وماكتب قد وصل إلينا عبر الرواة الكثيرين من تلامذته. وقدمون تلامذة

---

(١) انظر شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون . جـ١، ص ١٥٠ .

ابن عباس فيما نقلوا عنه وذلك لتوفر عدد من الشروط التي تؤهلهم لمكانة خاصة توازي منزلية صدق النقل والرواية فقد كان بعضهم من أبناء صحابة رسول الله ﷺ ممن ولدوا في عصر النبوة ونشأوا وشبوا في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الفكر الإسلامي

ومن هؤلاء سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي، وسهل بن خيثمة المدني الأنصاري وسعيد بن المسيب المخزومي وإبان بن عثمان بن عفان وإن اعتبره البعض ممثلاً لمرحلة بين دراسة الحديث وبين التدوين التاريخي. (١) وعروة بن الزبير بن العوام الذي يعد بحق المؤسس الأول لعلم التاريخ عند المسلمين وقد ظهرت أعماله كأساس لما دون الطبري في كتاباته وقد أوضح هروفيتش أن بداية التدوين التاريخي الإسلامي تعود إلي عروة بن الزبير وبالتحديد إلي زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٢)

والمعروف أن عروة بن الزبير قد نشأ في المدينة ودرس علي شيوخها ثم أقام في مصر في بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري حيث استقر فيها.

وتردد عروة علي العواصم الإسلامية فزار دمشق والتقي بعلمائها، وقد نشأ محباً للعلم زاهدا في الدنيا فقد روي عنه ابن هشام أنه كان يصوم الدهر كله إلا يومى الفطر والنحر وتوفي وهو صائم.

ومما يضفي أهمية كبري علي كتابات عروة بن الزبير حياده التام واستقلاليته فهو لم يشترك في الأحداث السياسية الي عاشتها الأمة الإسلامية في عصره، وكان يعتزل أهل الجور في زمانه. (٣)

وقد كان لعروة بن الزبير عدداً من الأعمال التاريخية فقد سجل بعث رسول الله ﷺ ونزول الوحي عليه وهو يتعبد في غار حراء وذكر الهجرة إلي الحبشة

---

(١) شاكر مصطفي المرجع السابق ،جـ١،ص ١٥٢

(٢) عبد العزيز الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٦٣

(٣) ابن سعد كتابات الطبقات الكبري جـ٥، ص ١٣٤

ومقاومة قريش للمسلمين وهي من أهم أحداث العصر المكي وحدث عن الهجرة من مكة إلي المدينة.

كما يشير إلي بعض أحداث العصر المدني الذي ابتدأ بهجرة رسول الله ﷺ إلي المدينة، وسرية عبد الله بن جحش وغزوة بدر الكبري، وغزوة بني قينقاع وبئر معونه وغزوة بني المصطلق وزواج رسول الله ﷺ من جويرية بنت الحارث، وحديث الأفك، وصلح الحديبية وغزو خيبر وحنين الطائف، ورسل الرسول عليه الصلاة والسلام إلي الملوك ثم المرحلة النهائية للعصر المدني، كما تناول أيضاً عصر الخلفاء الراشدين وصولاً إلي عصر عبد الملك بن مروان الذي عرفه عروة في صباه وكان يجتمع إليه في المسجد الجامع بالمدينة المنورة.

الجدير بالإشارة أن عروة اهتم إلي جانب الرواية الشفوية بالوثائق المكتوبة، كذلك أخذ عروة في رواياته الشفوية عن ثقات الرواة مما يضيف إلي قيمتها التاريخية فقد روي عن عائشة رضي الله عنها وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي ذر الغفاري.(١)

ولعل الرأي الذي قدمه الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه عن نشأة علم التاريخ يوضح الدور الذي كان لعروة بن الزبير في نشأة المدرسة التاريخية إذ بجهوده في هذا المجال أصبح للدراسة التاريخية بداية قائمة بذاتها وكان لهذا الدور مكان الريادة بل رآه البعض الأساس الذي بني عليه من جاء بعده من رجال المدرسة التاريخية في المدينة وخاصة محمد بن شهاب الزهري.(٢)

ولقد سبق شهاب الزهري عدد من الرجال كان لهم دور مشهود في مدرسة المدينة وهم عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمرو بن قتادة وأبو روح يزيد ابن رومان الأسدي المدني، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي وقد جمع هؤلاء منهج واحد وهو الرواية القائمة علي الإسناد.

---

(١) عبد العزيز الدوري - بحث في نشأة علم التاريخ - ص ٧٤.

(٢) المرجع نفسه ص ٧٦.

وتختلف الأراء حول مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة وهناك من يجعل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري مؤسساً للمدرسة التاريخية في المدينة أو في المدينة والشام معاً. وقد قال عنه مالك بن أنس: (أول من دون العلم ابن شهاب) (١)

محمد بن شهاب الزهري ٥١: ١٢٤هـ / ٦٧١: ٧٤١م

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أحد الفقهاء المحدثين. راي عشرة من صحابة الله ﷺ، وروي عن مالك بن أنس وعن سفيان بن عيينه وسفيان الثوري وعنه قال عمرو بن دينار: (ما رأيت مثل هذا الفتي القرشي قط). (٢)

ويعد الزهري أول من دون التاريخ عند المسلمين إذ كتب في مغاري رسول الله ﷺ، وعصر خلفائه الراشدين حتي بداية العصر الأموي. (٣) وتميزت كتاباته بالدقة والاعتماد علي الرواية المسندة وذلك لكونه بالدرجة الأولي محدثا وهذا المنهج يجعل لكتاباته قيمة تاريخية عظيمة فهذا بمثابة التوثيق للتاريخ، كما أن ابن شهاب الزهري اهتم بالتسلسل الزمني للأحداث وهذا يدل أيضا علي أن تدوين التاريخ الإسلامي في تلك المرحلة سار علي أسس علمية سليمة. (٤)

وعلي الرغم من أن كتابات الزهري عن مغاري رسول الله ﷺ لم تصل إلينا كاملة إلا أن مقطفات من هذا العمل الجليل يمكن تلمسها عند ابن اسحق والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس.

لقد تأثر الزهري بأحداث عصرقوتفاعل مع التجارب التي مرت خلالها الأمة الإسلامية وخاصة في عصر الخلفاء الراشدين، كما لاحظ الظواهر السياسية

---

(١) شاكر مصطفي التاريخ العربي والمؤرخون ج ١، ص ١٥٧

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان جـ ٤، ص ١٧٨

(3) H. A. R. Gibb Studies on IsLamic Civilization Tarikh. 109

(٤) عبد العزيز الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٧٦

والتغيرات التي طرأت علي المجتمع الإسلامي والتيارات الخارجية التي وفدت عليه مما كان له أبلغ الأثر في نشأة المدرسة التاريخية في المدينة وبالتالي في نشأة الكتابة التاريخية.

إن الروايات التي يقدمها محمد بن شهاب الزهري إنما تمثل الإتجاه العام في المدينة ومن ثم تمثل مصدراً أساسيا للرواية التاريخية الاسلامية التي تلت ذلك بل إنها تمثل الخط التاريخي الذي سارت عليه مدرسة المدينة التي كان لها دور ملحوظ في التأثير في بدايات المدارس اللاحقة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الزهري كان علي درجة كبيرة من الحيدة والموضوعية في ذكر الأحداث التي وقعت في المدينة عقب انتقال رسول الله ﷺ إلي الرفيق الأعلي ومن ثم تعد رواياته أصلاً للمؤرخين اللاحقين أمثال الطبري فيما يتعلق بتلك المرحلة الزمنية الهامة في تاريخ المسلمين وهو في ذلك يمثل وجهة نظر الرأي العام في المدينة خاصة فيما يتعلق بالأحداث المصيرية التي صاحبت عصري عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وقد أقام محمد بن شهاب الزهري زمناً طويلاً في المدينة المنورة وكان يرتحل أحياناً إلي دمشق إلي استقر في أواخر حياته في فلسطين مما جعله يقوم بزيارات متتالية إلي مقر الخلافة الأموية.(١)

ويذكر لنا ابن خلكان أنه كان يحضر مجالس خلفاء بني أمية، عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك إلي أن استقضاه يزيد بن عبد الملك.(٢) وعلي الرغم من تلك العلاقة إلا أنه استمر علي استقلاليته وحيدته فلم يقع تحت تأثير بني أمية.(٣)

ولذلك نستطيع القول أن مدرسة المدينة المنورة وذلك من خلال عالمها الجليل

---

(١) كانت علاقته بخلفاء بني امية علاقه طيبه ويبدو انه استقر في دمشق علي خلافة كل من عبد الملك وهشام.

(٢) ابن خلكان: فيات الأعيان. جـ٤، ص ١٧٨.

(٣) د. عبد العزيز الدوري: المرجع السابق. ص ١٠٠.

محمد بن شهاب الزهري قد أسهمت في وضع اللبنات الأولي في كتابة التاريخ الإسلامي وذلك إضافة إلي تدوين ذلك وتوثيقه.

لقد أكسب الزهري الكتابة التاريخية قيمة حقيقية وجعل لتدوين الأخبار مدلولاً حقيقياً وتعد شهادة الإمام مالك بن أنس علي ذلك دليلا يدعم هذا الرأي إذ يقول: (أول من دون العلم ابن شهاب) .(١).

إن فضل الزهري لا ينكر علي مدرسة المدينة ويعود ذلك إلي المنهج الذي اتبعه في كتاباته وإليه يرجع السبق في:

١ ـ تحديد المعالم الأساسية لكتابة السيرة النبوية المطهرة.

٢ ـ ضبط أحاديث المدينة ورواياتها.

٣ ـ وضع أسس دراسات المغازي.

٤ ـ حفظ الروايات الأولي ومن ثم تحديد معالم الطريق للدراسات التاريخية.

وقد ترك محمد بن شهاب الزهري عدداً من التلامذة الذين حملوا أمانة الكلمة من بعده وساروا علي نهجه ومن أهم هؤلاء.

موسي بن عقبة الأسدي المدني ٦٠:١٤١هـ / ٦٧٩: ٧٥٨هـ:

أكمل رسالة الزهري فكتب في المغازي وعصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وتابع ذلك بالكتابة في تاريخ دولة بني أمية.

واعتمد موسي بن عقبة الأسدي المدني في مصادره علي كتب ابن عباس ويقال إنها كانت وفيرة. وكانت كتابات موسي بن عقبة مصدراً لمن جاء من بعده مثلما كانت مصدرا لمعاصريه كابن اسحق والواقدي ومحمد بن جرير الطبري.

وقد أضاف موسي إلي المدرسة التاريخية في المدينة منهجية جديدة هي أنه راي أن يرتب أسماء صحابة رسول الله ﷺ ممن هاجر إلي الحبشة وكذا المشاركين

---

(١) ابن الجوزي: صفوة الصفوة جـ٢، ص ٧٨

في بيعة الرضوان، بالإضافة إلي اتباع التسلسل الزمني. (١)

وازدادت قيمة كتابات موسي بن عقبة في انها عاشت في القرون التالية ففي القرن الخامس استخدمها ياقوت الحموي ومن بعده ابن قاضي شهبةفي القرن الثامن ثم ابن حجر العسقلاني في القرن التاسع وتظهر كتاباته واضحة في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة.

وما تزال أجزاء من كتاب المغازي لموسى بن عقبة مخطوطة في مكتبات ألمانيا لم تنشر بعد. (٢)

معمر بن راشد البصري : ٩٦ : ١٥٤ هـ / ٧١٤: ٧٧٠ م

ويعد معمر بن راشد البصري المولود في البصرة والمتوفي في صنعاء من كتاب المغازي الذي تأثروا بالزهري منهجاً وأسلوباً، وهو من المعدودين من تلامذته الذين اختصوا بإضافات جديدة في التدوين التاريخي وعنه أخذ كل من الواقدي والبلاذري وابن سعد والطبري ومما يذكر بالفضل لمعمر بن راشد البصري أنه وصل مدرسة العراق بمدرسة اليمن.

والملاحظ أن معمر لم يتبع الترتيب الزمني مثلما فعل أستاذه محمد بن شهاب الزهري بل اتبع الترتيب الموضوعي ولكونه محدثاً اتبع نفس الأسلوب في تبويب الأحاديث الشريفة. (٣)

محمد بن اسحق ٧٥: ١٥١ هـ / ٦٩٤ : ٧٦٨ م

ومن تلامذة ابن شهاب الزهري محمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية

---

(١) شاكر مطلفي : التاريخ العربي والمؤرخون .جـ١، ص ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) نشر أجزاء منها سخاو ١٩٠٤ وتوجد في مكتبة برلين.

(٣) نشر جزء من كتاب معمر حيث قامت علي ذلك نبيهة عبود وما تزال أجزاء من هذا الكتاب الهام مخطوطة ومحفوظة في دمشق واستانبول والرباط.

الشهيرة التي اختصرها ابن هشام، ويري بعض المؤرخين أن محمد بن اسحق هو أهم رجال المدرسة التاريخية في المدينة وأبرز كتابها.

ويتميز ابن اسحق في أسلوبه بأنه جمع بين طريقة المحدثين وطريقة الإخباريين، وقد تعددت وتنوعت مصادر ابن اسحق في كتابه السيرة فقد اعتمد علي العارفين أو أهل العلم من أهل الكتاب. فكثيراً ما نري في رواياته عبارة «حدثني بعض أهل العلم من أهل الكتاب».

ويلمس الدارس كذلك اطلاع محمد بن اسحق علي الكتب السابقة عليه مثل كتاب وهب منبه الذي روي عنه فكثيراً ما نجد ابن اسحق يقول: «حدثني فلان عن فلان عن وهب ابن منبه اليماني أنه حدثه عن كذا.». (١)

ويذهب بعض المؤرخين إلي القول بأن كتابات ابن اسحق تعكس ميوله فيبدو أنه كان يميل إلي التشيع ولم يكن هواه مع الأمويين، كما كان علي خلاف في مذهبه مع مذهب الإمام مالك في الحديث والرأي. (٢)

ولقد استطاع ابن اسحق أن يوسع مجال السيرة النبوية فابتدأ بالخلق معتمداً علي روايات سابقيه، ووصل في كتاباته إلي تاريخ السيرة النبوية والخلفاء الراشدين ومن بعدهم بني أمية مما يظهر واضحاً في الكتب التي اعتمد أصحابها علي رواياته ومن أهم تلك الكتب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري.

محمد بن عمر الواقدي ١٣٠ : ٢٠٧هـ / ٧٤٥: ٨٢٣م

كما قدمت مدرسة المدينة محمد بن عمر الواقدي وهو ممن تتلمذوا علي يدي مالك بن أنس في المدينة في الفقه وسفيان وابن جريج في الحديث.

والواقدي هو أحد الأعمدة الرئيسية التي أثرت مدرسة المدينة التاريخية فقد كان علي اتصال وثيق بالعباسيين وخلال حياته الطويلة في بغداد وقيامه بالأعمال الإدارية لخلفاء بني العباس اكتسب خبرة عظيمة فقد تولي القضاء بشرقي البصرة

---

(1) H.A.R Gibb. Studies on Islamic Civilization. Tarikh. 10

(٢) انظر شاكر مصطفي : التاريخ العربي والمؤرخون . جـ١ ، ص ١٦١ .

وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي وهي المحلة التي كانت تعرف بالرصافة وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته.[1] وللواقدي مؤلفات كثيرة فيعددها ابن النديم في كتابه الفهرست ويخبرنا أنها بلغت ثمانية وعشرين كتاباً.[2] ضاعت في معظمها ولم يصلنا سوي كتب الفتوح الخاصة بمصر والشام وكذا كتاب المغازي.

وينسب إلي الواقدي ولعله صحيحاً كتاب تاريخ طبقات المحدثين وهو أقدم كتاب ألفه صاحبه في الطبقات، ويبدو أن ابن سعد سار في تأليفه للطبقات الكبري علي غراره.

وعلي أية حال فهناك من المؤرخين من يعتبر الواقدي المؤرخ الأول في مدرسة المدينة وتعد كتاباته أكثر وضوحاً وأكثر دقة من أستاذه ابن إسحق.

وثمة قضية يجب التوقف عندها وهي التشكيك في الواقدي وتضعيف رواياته مع أن هناك من المحدثين من أهل المدينة من يشهد له بالعدالة من ذلك قول ابن سلام الجمحى عنه: (محمد بن عمر الواقدي عالم دهره) وأن الإمام مالك كان يسأله إذا أشكل عليه أمر.[3]

فالواقدي يدعم كتاباته بذكر المصادر التي اعتمد عليها ثم هو يحدد تواريخ الأحداث التي يتناولها بالإضافة إلي استعماله لمناهج المحدثين في الإسناد كما كان الواقدي يهتم بتحديد الأماكن والمواضع التي يتحدث عنها في كتاباته.

ويبدوا أنه كان علوي الميول حتي أن هناك من المؤرخين من يتهمه بالتشيع وعلي أية حال فالواقدي من المؤرخين الثقاة وإن لم يكن كذلك بالنسبة لأهل الحديث لكننا يجب أن نؤكد أنه كان من المؤرخين ذوي الإدراك لمهمة المؤرخ وقيمة وظيفته.

---

(١) ابن خلكان: فيات الأعيان. جـ٤، ص ٣٤٨.

(٢) ابن النديم: الفهرست : ص ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبري. جـ١، ص ٢١.

محمد بن سعد كاتب الواقدي ١٦٨ : ٢٣٠ هـ / ٧٨٤:٨٤٥ م.

عاش محمد بن سعد حقبة طويلة من عمره في المدينة ثم انتقل إلي بغداد حيث اتصل بالواقدي وارتبط به لرتباطاً وثيقاً وعلي الرغم من أن ابن سعد قد تتلمذ علي شيوخ غير الواقدي إلا أنه التصق به حتي وفاته.

وابن سعد هو صاحب كتاب الطبقات الكبري وهو من أهم وأتم الكتب التي ألفت في السيرة النبوية والطبقات.

ويذكر ابن خلكان أن ابن سعد صنف (كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلي وقته فأجاد فيه وأحسن وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة) كما أن له طبقات أخري صغري وكان صدوقاً ثقة.(١)

وهناك من يحاول أن يقول أن مؤلفات ابن سعد إنما أخذت من كتابات الواقدي لكننا حين نقرأ كتاب الطبقات نجد أن مصادر ابن سعد المباشرة هي: الكلبي وابن اسحق وابن هشام.

ولقد كان ابن سعد علي اتصال وثيق بأكبر شيوخ الحديث في عصره ومنهم سفيان بن عيينه وأبي الوليد الطيالسي ومحمد بن سعد الضرير، ووكيع بن الجراح وسليمان بن حرب وهم من الرجال العدول الذين لا يتطرق الشك إلي عدالتهم وقد وصفه الخطيب قائلاً: (محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل علي صدقه فانه يتحري في كثير من رواياته).(٢)

ووصفه ابن حجر فقال: أحد الحفاظ الكبار الثقاة المتحرين، وكما كان ابن سعد تلميذاً للواقدي فقد تتلمذ علي يديه كثيرون منهم أحمد بن عبيد وابن أبي الدنيا والبلاذري والحارث بن أبي أسامة والحسين بن فهم وغيرهم.

والخلاصة أن ابن سعد هو الذي اختتم العصر الأول لمدرسة المدينة وكان كتابه مصدراً أساسياً لفحول المؤرخين والمحدثين أمثال ابن عساكر والذهبي وابن

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ،جـ٤، ص ٣٥١.

(٢) المرجع ذاته ، جـ٤ ،ص ٣٥٢

كثير وابن حجر وابن تغري بردي والمقريزي.

ومن الإنصاف أن نقول أن سعد قد تحري في كتاباته وأثبت المعلومات من مظانها الأولي وسجل الأحداث في أسلوب سهل مبسط ولغة جزلة رصينة في كثير من التجرد والحيدة والموضوعية.

مدرسة الشام:

تتصل مدرسة الشام اتصالاً وثيقاً بمدرسة المدينة المنورة، بل إن رجالها الأوائل هم رجال التاريخ في المدنية، وهم الذين أرسوا جذورها في دمشق يوم كانت الاتصالات دائمة وقوية بين هؤلاء الرجال وبين بني أمية وإن لم يكتبوا لهم تاريخاً بالمعني المفهوم ذلك أن ابن شهاب الزهري وهو مؤسس مدرسة المدينة لم يكتب لبني أمية تاريخاً وإنما سجل ودون كتاباته باستقلالية تامة عن الحكم والحكام في زمانه.

وتعود نشأة المدرسة الشامية إلي اهتمام معاوية بن أبي سفيان الذي استدعي إلي بلاطة عبيد بن شرية الجرهمي اليمني حيث كلفه بكتابة تاريخ للعرب أسماه كتاب الملوك وأخبار الماضيين.

ومع ازدهار الكتابة التاريخية في القرن الثاني الهجري تأثرت دمشق وغيرها من المراكز الثقافية الإسلامية بما كان يجري حولها إلا أن مدرسة الشام لم تواكب ركب الكتابة التاريخية بما كان متوقعاً لها في العصور الإسلامية الأولي وذلك للظروف السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية، ومع ذلك فلا يمكننا أن نغمط حق المدرسة الشامية ودورها في تطوير الكتابة التاريخية الإسلامية بوجه عام.

وقد أسهم كثير من المدن الشامية في تغذية المدرسة التاريخية في بلاد الشام بعدد من الرجال الذي وضعوا لبنات هامة في صرح العمل الثقافي في هذه المرحلة لا سيما تدوين التاريخ.

لكن المؤسف حقاً هو اندثار النتاج العلمي لمؤرخي الشام في القرون الثلاثة الأولي أو ندرته بين المصنفات التاريخية اللاحقة.

ولعل ما يؤكد ذلك إنتقال الجذب الحضاي إلي بغداد وازدهار الحضارة فيها في كافة جوانبها الأمر الذي كان له الأثر الكبير الذي افقد دمشق وبلاد الشام الأخري الاهتمام والعناية في القرون الثلاثة الأولي ثم تلحق مدرسة الشام بالركب الحضاري الإسلامي حيث يظهر فيها عدد من المؤرخين العظام الذين استووا في المنزلة العلمية مع غيرهم من مؤرخي بغداد الكبار في المرحلة التالية.

ومن الجدير بالإشارة أن مدرسة الشام سارت علي نفس النهج الذي سارت فيه الكتابة التاريخية منذ نشأتها لكنها اتخذت طابعاً خاصاً بها وهو التخصص أن جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير وذلك انسجاماً مع الوضع الإقليمي لهذه المدرسة.

لكننا نجد من العدالة أن تعطي هذه المدرسة حقها بين المدارس الأخري في إثراء الفكر الإسلامي بالكتابة التاريخية بماقدم رجالها من أعمال هامة تعد مصادر أساسية لها قيمتها التي لا تقدر في التأريخ لبلاد الشام بصفة خاصة وبلاد الإسلام بشكل عام.

ولقد شهدت المدن الأساسية في بلاد الشام نشاطاً ملحوظا شمل الحياة الفكرية والثقافية بما في ذلك الكتابة التاريخية والتدوين والتوثيق. وكان لدمشق وحلب اليد الطولي في هذا المجال، وإن اشتركت معهما مدن شامية أخري مثل القدس وبانياس وحمص وحماة وصفد وعسقلان وطبرية وبيسان وغيرها.

وشهدت مدرسة الشام أقصي نشاط لها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ويمكن أن يعزي هذا التحول الكبير إلي تمتع الشام في تلك الفترة بنوع من الأهتمام من الحكام الزنكيين ومن بعدهم الأيوبيين حقيقة إن هذه البلاد لم تتمتع بوحدة سياسية نظراً لوضعها الجغرافي ولغلبة الأمراء والحكام والأسر العربية علي الحكم فيهاوتنوع الانتماءات السياسية والعقدية والمذهبية بعد سقوط الدولة الأموية إلا أنها خلال حكم الزنكيين شهدت تغييراً في الأوضاع العامة نتج عنه

ظهـور عدد مـن العلماء والـفقـهـاء المحدثين والمؤرخـين ممن كانوا بحـق العمـد الرئيسية لهذه المدرسة

وإن امتـاز الإنتاج العلمي لهـؤلاء الرجال بالتخـصص والإقليمـية إلا أنهم شاركوا مع غيرهم من رجال المدارس الإسلامية الأخري في أنواع الكتابات المعروفة فمنهم من كان موسوعـياً في كتابته ومنهم من كان محلياً كـتب تاريخاً لإقليمه أو لمدينتـه أو كـتب ترجمـة لحـاكم أو أمـير أو كـتب تاريخـاً لدولة أو كـتب النظم الإسلامية أو ترجم للأعلام والنبلاء والفقهاء والعلماء

لقد كانت بلاد الشام مركزاً للتيارات السياسية والفكرية والتنافر بين القوتين الأعظم في تلك الفترة الدولة العباسية والدولةالفاطمـية وكانت معبراً وممراً للتجارة العالمية كما كانت طريقاً للقبائل العربية ذهاباً وإياباً إلي الشمال وإلي الجنوب.

وخلال القرنين السـادس والسابع الهجريين شهدت بلاد الشام أحداثا سياسية هامة في تاريخ المسلمين فقد تعرضت المنطقة بأكملها إلي غزو صليبي شامل اكتسح بلاد الشام من شماليـها إلي جنوبها، استطاع خلاله الصليبيون أن يقـيموا إماراتهم اللاتينية في أرض الإسـلام مهددين بذلك المقـدسات الإسلامـية ومتحـدين القوة السياسية علي اختلاف مذاهبها في المنطقة بأسرها

إن المرحلة التي حكم فـيها أتابكة الشـام ومن بعدهم الأيوبيـون جعلت من هذه المنطقة مـحور اهتمـام إسلامي شامـل، ذلك أن التحدي الأوروبي المسـيحي للمسلمين هز العـقلية الإسلامية من أسـاسها، كما غـير من نوعية المواجـهة لهذا الخطر الداهم الذي تهدد الأمة الإسلامية كلها.

ومن هنا كان ظهور التفـكير الجدي في وحدة إسلاميةصلبـة تتصدي للعدو الصليبي علي أرض الإسلام، وكان هذا التفكير في حد ذاته سبباً في ظهور كتابات تاريخـية علي مـسـتـوي عظيم توازي في قـيمتـها خطورة الموقف التي تعـرض له الإسلام والمسلمون.

إن الوحدة السياسـية التي شهدتها مصر والشـام علي أيام نور الدين محمود

وصلاح الدين الأيوبي غيرت كثيراً من المفاهيم وحولت بلاد الشام إلي مركز ثقافي يتأجج بالإنتاج المتنوع، فـفي هذه المرحلة ظهرت كتابات تاريخية ضـخمة لعل من أهمهـا كتابات ابن أبي طئ التي وصلت إلـينا عن طريق معاصـريه ومن بعده من تلامذته، وياقـوت الحموي الذي تفوق علي مـعاصريه بكتابيـه المعجمين مـعجم البلدان ومعجم الأدباء، وعـرفت بلاد الشام أيضاً مؤلفات ابن أبي اصيـبعة وسبط ابن الجوزي والعظيمي وغيرهم

ومن المفيد أن نوضح في هذا المقام أعـمال المؤرخين الأساسين لمدرسة الشام في قرون الاحـتكاك الحضاري والتـصارع المذهبي والجهـاد ضد الصليبين، وبصـفة خاصة أولئك الذين ظهورا في دمشق وحلب والقدس

ابن القلانسي حمزه بن أسد أبو يعلي ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م

من مؤرخي مـدينة دمشق بلدته ومسقط رأسـه وموطن أجداده فقـد كانت أسرته من العائلات الأصيلة في بلاد الشام تمتـدجذوها إلي قبيلة تميم العربية، ولذا فقـد توفر له المناخ الملائم لتلقي العلم والتـفوق فيه، ولقـد تنوعت ثقافتـه فدرس الفقه والحديث والأدب، وتعلم فنون الحساب ودرس اللغة الفارسية.

ولقد مـهدت هذه المؤهلات والمهـارات لابن القلانـسي السـبيل إلي الديوان الحكومي في دمشق فتـقلد منصب كاتب ديوان الرسائل وتميز في عـمله حتي صار من أنبه كتاب عصره وتقلده منصب عميد الديوان.(١)

وكان لخبرته واطلاعه علي كثـير من الوثائق والأوراق الرسمية للدولة بحكم عمله الأثر الواضح في كتابه ذيل تاريخ دمـشق أو مذيل تاريخ دمشق. وقد وضع ابن القـلانسي كـتـابه ليكون تكمـله لكتـاب ابن هلال الصـابئ الذي توفي عـام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م. (٢)

---

(١) المقصود بالديوان هنا ديوان الرسائل.

(٢) انظر Gibb ., The Damascus chronicle of the Crusades London , 1932

وعلي الرغم من الاختلاف في المنهج بينهما إذ كان كتاب هلال الصابى تاريخاً عالمياً فإن ابن القلانسي اتجه اتجاهاً اقليمياً في ذيله.

وعلي أية حال فإن كتابات ابن القلانسى تتميز بأنها مستمدة من مصادر أصلية تعود إلي اتصالاته برجال ديوان الرسائل بالإضافة إلي خبرته الشخصية من ناحية وإلي الروايات الشفوية التي كان يستقيها من شهود العيان الذين كانوا يصفون له الأحداث وخاصة أحداث الحرب الصليبية الأولي.

وعلي الرغم من أن ابن القلانسي لا يشير في كتاباته إلي وثائق إلا أن الباحث يستطيع أن يلحظ مادة وثائقية خلال الذيل ومما يدل علي ذلك استخدامه صيغة المضارع في معظم الأحيان.

ويوضح ابن القلانسي منهجه في كتابة فيقول: إنه أكمل عمله ورتبه وفق السنوات واتخذ من الاحتياط ما يجنبه الوقوع في خطأ أو يجعله يصدر أحكاماً متسرعة علي بعض الأحداث كما يوضح أيضا أنه استمد معلوماته من أفواه الثقاة من الرجال ولم يكتف بذلك بل حاول التنقيب عن تلك الأحداث للوقوف علي أصح الروايات

وتكمن أهمية ذيل تاريخ دمشق في أنه المصدر الأصلي لمعظم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا بعده عن الحرب الصليبية الأولي، ولقد استخدمه بشكل تفصيلي كل من سبط بن الجوزي وابن الأثير في كتابيهما في التاريخ العام، وكذلك أبو شامة في كتابه الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية.

ومن الجدير الإشارة إلي أن هذا الكتاب يشتمل مع كتاب كمال الدين بن العديم الذي جاء بعده تاريخاً متكاملاً لأهم امارتين شاميتين خلال الصراع بين المسلمين والصليبين في بلاد الشام.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد ترجم جزئياً إلي الانجليزية بعنوان:

The Damascus Chronicle of the CrusadeS وتوفر علي هذا العمل واحد من كبار المستشرقين هو السير جب أستاذ الدراسات العربية في جامعة لندن في بداية

الثلاثينيات من هذا القرن. (١)

وعلي ذلك فيظل ذيل تاريخ دمشق من أهم المصادر الإسلامية التي تؤرخ لدمشق مركز الأحداث خلال الاعتداء الصليبي الأول علي أرض الإسلام.

وقد ظهر بعد ابن القلانسي في بلاد الشام عدد من المؤرخين المسلمين من أهمهم العظيمي المتوفي عام ٥٥٨هـ / ١١٦٣م وهو من أجل أهل حلب الذين شاركوا في الأحداث السياسية خلال الفترة السلجوقية. (٢)

وفي أواسط القرن السادس الهجري تعيش مدرسة الشام نهضة فكرية كبيرة إذ ظهر عدد من رجال التاريخ المتميزين كان أولهم :

المؤرخ الفقيه ابن عساكر ٤٤٩ : ٥٧٢ هـ / ١٠٠٥ : ١١٧٦ م).

وابن عساكر هو الفقية الشافعي الدمشقي الذي تعلم في بلاد الشام ورحل يطلب المزيد من العلم فزار المدينة المنورة ومكة المكرمة وتنقل بين بلاد العراق وإيران و صل إلي نيسابور ومرو وهراة ثم حط عصاه في دمشق بعد رحلة طويلة ليعلم الحديث فيها فترة قاربت نصف القرن.

وقد ألف ابن عساكر كتابه الكبير في تاريخ دمشق ويبدو أنه كان يريد أن يسير علي نهج الخطيب البغدادي في كتابة تاريخ بغداد فلم تكن دمشق أقل أهمية عند ابن عساكر من بغداد عند الخطيب البغدادي.

عكف ابن عساكر علي تأليف كتابه تاريخ دمشق ما يزيد علي ثلاثين عاماً تحدث فيه عن دمشق وغيرها من مدن الشام إلا أنه خصص لدمشق الجزء الأكبر من المجلد الأول فذكر الشام وفضائلها وخططها ومساجدها وحدائقها ومكتباتها وحماماتها وقصورها وكنائسها وأسواقها وترجم لرجالها من العلماء والفقهاء والقضاء والرواة والنحويين والشعراء وغيرهم.

---

(1) The Damascus Chronicle of the Crusades. Extracted and translated from the Chronicle of Ibn Al- Qalanisi . Translated by H.A.R.Gibb. London . 1932

(٢) شاكر مصطفي المؤرخون ـ جـ٢ ، ص ٢٣٩.

ويعد كتاب ابن عساكر من المصادر الأساسية في تاريخ بلاد الشام وهو ما يزال مخطوطاً في مجملة فلم يحقق منه سوي الجزءان الأول والعاشر وبعضاً من الثاني ولذا فهذه دعوة إلي إخراج هذا العمل العظيم إلي النور ليفيد منه الباحثون والعلماء والمؤرخون.(١)

القاضي الفاضل ٥٢٩: ٥٩٦ هـ / ١١٣٤: ١١٩٩ م(٢)

وكان لمدينة بيسان بفلسطين اسهاماتها في إمداد مدرسة الشام برجال التاريخ فكان القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار.

ترجم للقاضي الفاضل أصحاب التراجم وعلي رأسهم ابن خلكان في وفياته فيخبرنا أنه وزر لصلاح الدين وتمكن منه غاية التمكن وبرز القاضي الفاضل في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين، وقد كتب القاضي الفاضل كثيراً من الرسائل يصفها بعض الثقاة بأن مسوداتها لو جمعت ما قصرت عن مائة مجلد. (٣)

والحقيقة أن القاضي الفاضل قد أرخ لعصرين هامين في تاريخ المسلمين ذلكم العصر الفاطمي والعصر الأيوبي فقد كان أحد المسئولين الإداريين في دولة الفواطم ثم باعتباره أحد الوزراء في عصر صلاح الدين،وقد اكتسب خلال عمله في ديوان الانشاء كثيراً من خبرات الإدارة المصرية فقد عمل مع ابن الخلال رئيس ديوان الانشاء الفاطمي وتتلمذ علي يديه.

وفي مصر انتقل القاضي الفاضل من القاهرة إلي الأسكندرية حيث اتصل بابن حديد قاضي الثغر وتعلم منه فنون الكتابة والانشاء، وقد لاقي القاضي الفاضل كثيراً من المعاناة قبل أن يصل إلي العمل في دواوين الفاطمين علي عهد الخليفة الظافر الذي قربه إليه بعد أن أوشك أن يقطع يديه لكنه وقد شفع له قاضي الثغر ابن حديد فقربه إليه واستكتبه، واتصل بعد ذلك القاضي الفاضل برئيس

---

(١) قارن شاكر مصطفي :المرجع السابق . جـ٢، ص ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) انظر ترجمته في ابن خلكان :وفيات الأعيان - جـ٣ ، ص ص ١٥٨: ١٦٣.

(٣) انظر فتحية النبراوي: إنشاءات القاضي الفاضل. دراسة وتحقيق وتعليق القاهرة ١٩٨٠.

ديوان الانشاء الأثير بن بنان الذي مهد له الطريق إلي رئاسة الديوان.

ويخبرنا المقريزي أن القاضي الفاضل خدم في ديوان الجيش في وزارة العادل رزيك بن الصالح طلائع. [1] فلما مات ابن الخلال الموفق عام ٥٦٦هـ / ١١٧٠م عينه شاور رئيسا للديوان، ولما ملك اسد الدين شيركوه واحتاج إلي كاتب أحضر الفاضل فأعجبه اتقانه ونصحه فاستكتبه حتي تولي صلاح الدين الأيوبي حكم مصر فاستعان به وجعله وزيره ومشيره. [2]

ومن أهم ما تجب الإشارة إليه من أعمال القاضي الفاضل بعد استقراره في مصر أنه اتخذ إلي جانب داره مدرسة بناها ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م وقفها علي فقهاء الشافعية والمالكية، وفيها عمل الإمام محمد الشاطبي ناظم الشاطبية وتلميذه أبو عبد الله القرطبي، كذلك قام بالتدريس فيها الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن سلامة الأسكندراني، وكلف بتدريس فقه المذهبين.

ومن المعروف أن القاضي الفاضل قد وقف علي هذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب النفيسة في العلوم المختلفة يقدرها المقريزي بمائة الف مجلد. [3] ويخبرنا المقريزي أيضا: أن هذه الكتب قد بددت في عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٦ م وذلك في سلطنة الملك العادل كتبغا المنصوري حيث وقع الغلاء بمصر ومس الناس الضر ومن بينهم طلبة المدرسة الفاضلية الذين باعوا مجلدات الكتب كل مجلد برغيف خبز حتي ذهب معظم ما كان فيها.

وقد استمرت خدمة الفاضل في مصر بعد وفاة صلاح الدين فعمل مع العزيز عثمان وتقلد الأمور في الديوان وظل يمارس أعماله حتي وصول الملك العادل أبو بكر للأخذ بناصية الأمور في مصر فقد خرج مع الأفضل لقتال العادل

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان. جـ٣، ص ١٦٢.

(٢) المقريزي: الخطط. جـ٢، ص ٣٦٦.

(٣) المقريزي المصدر السابق جـ ٢، ص ٣٦٦.

فمات منكوباً عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م. [١]

وتحدثنا المصاد الإسلامية عن زهد الفاضل وتعففه، كما يتحدثون عن مصادر دخله وعن اهتمامه بالعلم والكتابة، فمن ذلك أن دخله في كل سنة كان خمسين ألف دينار من إقطاع ورباع ضياع سوي متاجره للهند والمغرب.

وكان القاضي الفاضل يقتني الكتب في كل فن وعلم ويأتي بها من كل مكان وكان له نساخ لا يفترون ومجلدون لا يكفون عن العمل.

العماد الكاتب الأصفهاني ٥١٩: ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ : ١٢٠١م

تعلم العماد الكاتب الأصفهاني في بغداد في سن مبكرة إذ التحق بالمدرسةالنظامية فيها فهو من أبنائها وخريجيها، وفي العراق تدرج في وظائف الدولة حتي شغل منصب نائب الوزير ابن هبيرة في البصرة ثم في واسط.

خرج العماد الكاتب من العراق لأسباب كثيرة قاصداً بلاد الشام حيث وصل إلي دمشق، وهناك استقبله قاضي المدينة كمال الدين الشهرزوري وقدمه إلي نور الدين محمود الذي أحسن وفادته وقربه إليه وعينه مدرساً في المدرسة النورية في دمشق التي عرفت فيما بعد باسم المدرسة العمادية. وشغل العماد الكاتب مناصب إدارية في دمشق حيث كان كاتباً للانشاء ثم مشرفاً علي ديوان الإنشاء كله. [٢]

واتصل العماد الكاتب بعد وفاة نور الدين محمود بصلاح الدين الأيوبي ومن ثم بدأت فترة جديدة في حياته اتصل خلالها بالقاضي الفاضل وعن طريقه تعمقت الصلات بينه وبين صلاح الدين ولم يلبث أن اختاره سكرتيراً خاصاً له.

وكان لعمله مع صلاح الدين أثر كبير في اطلاعه علي كثير من الوثائق الهامة في الدولة مما يعطي لكتاباته فيما بعد أهمية كبيرة.

---

(١) انظر المقريزي: عن المدرسة الفاضلية، ونشأة المدارس وأول ما بني منها، الخطط جـ٢، ص ص ٣٦٢ : ٣٦٧.

(٢) الفتح علي البنداري : سنا البرق الشامي : تحقيق فتحية النبراوي ، القاهرة ، ١٩٧٩، ص ٢.
وانظر : الطبعة الثانية . الرياض ١٩٨٩.

العماد الكاتب ويستمد شهرته من كونه أهم كتاب تلك الفترة لكنه مع ذلك برع كواحد من أهم مؤرخي المدرسة الشامية، فقد كان لأعماله التاريخية أهمية بالغة في التأريخ لمرحلة هامة في تاريخ المسلمين الا وهي مرحلة إحياء الوحدة الإسلامية وبعث الجهاد للوقوف في جبهة صلبة واحدة ضد الغزو الصليبي.

ومن أهم كتب العماد الكاتب التاريخية: كتاب تاريخ آل سلجوق وكتاب البرق الشامي الذي ألفه لصلاح الدين بعد وفاته والكتاب قد ضاع في مجموعة فيما عدا القسمين الثالث والخامس واللذين تحفظهما مكتبة البودليان في أكسفورد بانجلترا (١). وقد لقي هذا الكتاب عناية خاصة من أحد مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي وهو الفتح بن علي البنداري الذي قام بتلخيص ستة أجزاء منه وأسماه سنا البرق الشامي، وقد حقق الكتاب أكثر من مرة وتكمن أهمية هذا العمل العلمي في أن سنا البرق قد حفظ لنا البرق الشامي الأصل وهو الآن بين أيدي المؤرخين والباحثين في العصر الأيوبي وتاريخ صلاح الدين والجهاد الإسلامي ضد الصليبين. كذلك فإن الفتح القسي في الفتح القدسي من الكتب الخاصة التي ألفها العماد الكاتب الأصفهاني عندما انتصر المسلمون نصراً مؤزراً علي الصليبيين ونجحوا في ضربهم في حطين ومن ثم استرداد بيت المقدس.

ولم يقتصر عمل العماد الكاتب علي تأليف الكتب التاريخية فله مؤلفات نفية في الأدب أهمها: خريدة القصر وجريدة أهل العصر وهي تمثل مع غيرها من مؤلفات العماد التاريخية المنهج الذي سلكه في التأليف حيث تظهر فيه الصنعة اللغوية التي غلب عليها التعقيد البالغ الذي تؤثر علي المعلومات التي يود المؤرخ إيرادها في كتبه ومع ذلك فلا تزال معلومات العماد في مؤلفاته التاريخية من المصادر الموثوق فيها لتاريخ الفترة التي تغطيها كتاباته. (٢)

---

(1) Bodilan Library, oxford: Vol. 3, Bruce 11. VoLV Marsh 425.

٢ ـ خريدة القصر وجريدة أهل العصر . شعراء العراق تحقيق بهجت الأثري جزءان. بغداد ١٩٥٠

شعراء الشام تحقيق شكري فيصل ، جزءان. دمشق ١٩٩٥

شعراء مصر تحقيق أحمد أمين سوقي ضيف . جزءان . القاهرة ١٩٥١

شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقي. تونس ١٩٦٦

وقد كانت كتب العماد الكاتب مصدراً أوليا لكثير من مؤرخي عصره من المؤرخين اللاحقين عليه. أما أهم المصادر التي اعتمد كاتبها اعتماداً كلياً علي كتب العماد فكان الكامل في التاريخ الذي استعان بها بشكل كبير دون الإشارة إليها وهناك اعتقاد سائد بين المؤرخين بأن عدم الإشارة إلي العماد وكتبه في الكامل تبدو وكأنها متعمدة من ابن الأثير نظراً لظروف وملابسات كثيرة منها موقف كل من الرجلين من صلاح الدين الأيوبي.

ومن الجدير بالملاحظة أن هناك من يعد العماد الكاتب من الكتاب الذين أدلوا بدولهم في علم التاريخ أو في كتابة التاريخ ونحن نميل إلي الفريق الذي يقول بأن العماد الكاتب لم يكتب فقط أدبا تاريخياً وإنما كتب تاريخاً موثقاً اتصف بشكل واضح بالحيدة والموضوعية مما يجعل العماد الكاتب مؤرخاً من كبار مؤرخي المدرسة الشامية.

ومدرسة الشام مثل غيرها من المدارس الإسلامية لم يقتصر التأليف التاريخي فيها علي فن واحد أو نموذج واحد فإلي جانب التاريخ المحلي وتاريخ السير الذاتية أو تاريخ الدولة الواحدة فهناك من كتب المعاجم وألف التراجم ونسقها علي حروف المعجم. ومن أهم رجال مدرسة الشام الذين عنوا بهذا الفن في الكتابة التاريخية:

ياقوت الحموي ٥٧٤ :٦٢٦ هـ/ ١١٧٨ : ١٢٢٨ م :

ويصفه ابن خلكان فيقول: الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار (١) وياقوت الذي استطاع أن يحقق لنفسه شهرة واسعة بين مؤرخي الإسلام يعود أصله إلي بلاد الروم، بيع وهو صغير وجاء إلي بلاد الشام حيث اشتراه أحد تجار حماه وهو عسكر بن نصر ابراهيم، وكان أمياً فأخذ الغلام ومنحه لقبه واعتني به وعلمه ليكون كاتباً له يتخذه عوناً له في تجارته.

وقد أحسن خدمة سيده وتفاني في الإخلاص له وناب عنه في تجارته

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان .جـ٦، ص ١٢٧.

وأسفارة إلي أن نال حريته بأن اعتقه سيده عام ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠م فاستقل بحياته وبدأ يضع منهاجاً يسير وفقه ليكسب قوته فعمل في نسخ الكتب والتجارة فيها.

وكان ياقوت متعصبا علي علّي بن ابي طالب رضي الله عنه، وكان يقرأ في كتب الخوارج وفي عام ٦١٣ هـ /١٢١٦ م ذهب ياقوت إلي دمشق وجلس في بعض أسواقها واشترك في مناظرة مع بعض الرجال ممن يتعصبون لعلي بن أبي طالب مما أدي إلي ذكره عليا رضي الله عنه بما لايسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه لكنه استطاع الفرار من دمشق وتتبعه والي البلد فلم يقدر عليه وتمكن من الوصول إلي الموصل.

ومن العراق سافر ياقوت إلي المشرق وانتهي إلي مدينة خراسان فطفق يتاجر بها إلي أن استقر به النوي في مدينة مرو ثم خرج إلي خوارزم وهناك صادف خروج المغول لغزو العالم الإسلامي وذلك ٦١٦هـ/١٢١٩ م ففر بنفسه حتي عاد إلي العراق مرة أخري بعد أن صادف من المشاق والمتاعب الشئ الكثير ثم وصل بعد ذلك إلي حلب وظل مقيماً بظاهرها حتي توفاه الله.[1]

ومن أهم مصنفات ياقوت الحموي كتابة إرشاد الألباء لمعرفة الأدباء ويصفه صاحب كتاب وفيات الأعيان بأنه يدخل في أربع جلود كبار يعني أربع مجلدات ويذكر في أوله: (وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إلّي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين، والإخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونه وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفا أو جمع تأليفاً، مع إيثار الاختصار والاعجار في نهاية الايجاز، ولم آل جهداً في إثبات الوفيات وتبين المواليد والأوقات، وذكر تصانيفهم، ومستحسن أخبارهم، والأخبار بانسابهم، وشئ من أشعارهم في ترادي في البلاد، ومخالطتي للعباد وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعاً وإجازة، إلا أنني قصدت صغر الحجم وكبر

(١) قارن ترجمة ياقوت في ابن خلكان وفيات الأعيان جـ٦، ص ص ١٢٧ - ١٢٨

النفع، وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم والمرجوع في صحة النقل إليهم).[1]

وهنا نجد ياقوت الحموي يوضح منهجه في الكتابة فهو يتبع الأسلوب العلمي الأمين في البحث، فنجده يقول إنه يذكر مصادره ويبين مواطن نقله من تلك المصادر فهو لا ينسب لنفسه شيئاً لم يكتبه، ويوضح أنه لا يختصرالأسانيد إلا عند الضرورة. وهذا المنهج الواضح يضع ياقوت الحموي في مركز ممتاز بين المؤرخين الشاميين الذين كان لهم باع طويل في التأليف والتصنيف المبني علي قواعد سليمة واضحة.

ومن مؤلفاته أيضاً معجم البلدان، ومعجم الشعراء، وكتاب المشترك وضعا المختلف صنعا، وكتاب المبدأ والمال في التاريخ وكتاب الدول وغير ذلك.[2]

ومن المفيد أن نذكر أن ياقوت قد وقف كتبه علي مسجد الزيدي بدرب دينار ببغداد، وسلمها إلي الشيخ عز الدين بن الحسن علي بن الأثير صاحب التاريخ الكبير.

وأسهمت حلب أيضاً في إثراء المدرسة التاريخية في بلاد الشام فقدمت رجلين من رجالها هما ابن طي وكمال الدين بن العديم.

أما الأول وهو ابن أبي طئ فهو من أبرز رجال المدرسة الشامية وهو من مدينة حلب ومن ثم فيكون ممثلاً لهذه المدينة فيمن أسهموا من مؤرخي بلاد الشام في الكتابة التاريخية والتدوين التاريخي.

وقد ولد ابن أبي طئ عام ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩ مُ أي خلال احتدام النزاع المسلح بين المسلمين والصلبيين بالإضافة إلي أن نشأته في بيت شيعي أثر علي عقليته وتفكيره مما اتضح أيضاً في انتاجه التاريخي، ولم يقتصر ابن أبي طى في كتاباته علي التاريخ وإنما ألف كثيراً في الفقه والأدب واللغة والنحو، ومع ذلك فلم يصل إلينا.

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان: جـ٦، ص ١٢٩.

(٢) ابن خلكان : المصدر السابق. جـ ٦، ص ١٢٩.

أي من كتبه إلا خلال إشارات متناثرة في ثنايا الكتب التي استخدم أصحابها أعماله وخاصة ما اقتبسه أبو شامة فيما يتعلق بتاريخ صلاح الدين.

وابن أبي طى من المؤرخين المشهود لهم بالدقة والحيدة يبرهن علي ذلك موقفه - علي الرغم من الاختلاف المذهبي - من صلاح الدين الأيوبي ذلك أن خلاف المذهب وكما يتضح من المقتطفات التي حفظها لنا أبو شامة لم يؤثر علي كتاباته عن عصر صلاح الدين، كما لم يؤثر علي حكمه علي الأحداث علي الرغم مما تعرضت له أسرته من اضطهادات في أوقات مختلفة.

إن كتابات ابن أبي طى عديدة ومتنوعة فمنها ما هو مؤلف علي حروف المعجم ومنها ما هو موسوعي، وهو لم يختلف عن مؤرخي عصره فقد صنف بالأشكال التي كانت معروفة آنذاك في التصنيف فكتب السيرة الذاتية وكتب التاريخ المحلي.

ومن خلال الكتب التاريخية المختلفة عن تلك المرحلة يمكننا أن نعدد بعضاً من مؤلفات المؤرخ الشيعي الحلبي ابن أبي طى:

١ - كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين.

٢ - سلك النظام في تاريخ الشام.

٣ - عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر.

٤ - سيرة ملوك حلب.

ويستطيع المؤرخ من خلال النظر إلي مؤلفات ابن أبي طى يري التنوع الواضح في مؤلفاته وفي ذات الوقت يمكننا أن نؤكد انخراط ابن أبي طى في إطار التأليف الذي كان شائعاً في تلك الفترة.

وأما المؤرخ الحلبي الثاني فهو كمال الدين بن العديم المولي الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله المتوفي عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م.

وقد نشأ كمال الدين في بيت فضل وعلم، فلما شب عمل بالتدريس وارتحل إلي البلدان فخالط العلماء وجالس الفقهاء وتعلم علي أيديهم مما كان له

أثره الملموس فيما أخرج من مصنفات نفيسة،وابن العديم من رجال العصر الأيوبي في بلاد الشام وهو من شهود العيان لمرحلة هامة من مراحل التاريخ الإسلامي، أما عن الفترة السابقة لمولده فقد سمع أخبارها من أبيه الذي كان من رجالات العصر، وإليه يجتمع الأمراء والحكام مما يدلل علي أن للرجل دوراً بارزا في الدولة في ذلك الوقت.

وكان ابن العديم من الرجال المقربين لذوي السلطان، فقد كان يحضر مجالس الشوري ويقوم بالسفارات بين الملوك ويقضي في الأمور الهامة في البلاد كما كان يقوم بالصّلح بين الملوك .(١)

قام كمال الدين بن العديم بالسفارات بين الملوك والأمراء في عصره وهو يروي أخبار سفاراته تلك، ويتحدث عن أخبار الخلاف بين هؤلاء الأمراء والملوك، ومن ثم فإن ابن العديم يتفرد بذكر روايات لم يستطيع غيره الحصول عليها ومما يزيد من قيمة تلك الروايات أنه كان من شهود العيان لبعض الأحداث التي يكتب عنها باعتباره ممن كانوا يطلعون علي كثير من الأحوال والشئون الخاصة بالدوله والسياسة في عصرة، مما يظهر في كتاباتة مؤكدة صدق هذا المؤرخ ودقته في تصوير الأحوال في بلاد الشام في ذلك الوقت وبصفة خاصة في مدينة حلب.

ومن المؤرخين الشاميين الذين كان لكتاباتهم دور هام في تصوير أحداث المنطقة ابان الحروب الصليبية وخاصة خلال حكم الدولة النورية والدولة الصلاحية المؤرخ الدمشقي أبو شامة صاحب كتاب الروضتين.

وشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي:من أهل دمشق ولد فيها وشب وتعلم ولم يغادرها إلا في زيارة للحج أو زيارة للقدس أو لمصر حيث جلس إلي علمائها في القاهرة ودمياط والأسكندرية، وكان جد أبي شامة إماماً للمسجد الأقصي في بيت المقدس وقد استشهد خلال الغزو الصليبي للقدس.

ودرس أبو شامة في المدرسة العزيزية بدمشق وعين مدرسا بالمدرسة الركنية

---

(١) كمال الدين بن العديم :زبده الحلب جـ٣، تحقيق سامي الدهان ، ص ١١، من مقدمة المحقق.

في ٦٦ هـ/ ١٢٦١م ثم انتقل منها إلي المدرسة الأشرفيه في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٢م وأضيف إليه مهمة الاقراء بالتربة الأشرفية، وظل يشغل هاتين الوظيفتين إلي أن وافاه الأجل عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٥م.

لم يظهر أبو شامة في الحياة السياسية في دمشق، ولم يشغل وظائف إدارية حكومية ربما لأنه كان يتعفف عن ذلك شأنه في ذلك شأن استاذه علم الدين السخاوي الذي صحبه أبو شامة أكثر من ثلاثين عاماً وقد كان السخاوي هذا متعففاً زاهدا في صحبة رجال السلطة.

وأبو شامة من تلامذة العز بن عبد السلام الذي ترك دمشق أو أخرج منها حيث استقر في مصر وذلك في عام ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م، والعز بن عبد السلام كما يصفه علماء عصره شيخ الإسلام والمسلمين وسلطان العلماء، وربما كان السبب المباشر لاخراجه من بلاد الشام هو اسقاطه اسم الملك الصالح اسماعيل أمير دمشق من الخطبة عندما استعان الأخير بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا.

وقد مكث أبو شامة يصحب هذين العلمين العالمين الجليلين علم الدين السخاوي والعز بن عبد السلام فتأثر بهما أيما تأثر. (١)

ومن اعلام المدرسة الشامية الصفدي خليل بن أيبك ٦٧٩ : ٧٦٤هـ / ١٢٩٧ : ١٣٦٢ م

والصفدي صاحب التاريخ الكبير المسمي بالوافي بالوفيات صنفه في نحو ثلاثين مجلدة ، درس علي شيوخ الشام الأجلاء الذهبي وابن كثير والحسيني وغيرهم.

ذكره الذهبي فقال: الأديب البارع الكاتب، شارك في الفنون وتقدم في الانشاء وجمع وصنف.

وتحدث عنه ابن كثير فقال: كتب ما يقارب من مائتي مجلدة، تولي عددا من الوظائف الإدارية في مصر والشام، فتقلد كتابة الدرج في صفد ثم بالقاهرة،

---

(١) انظر مقدمة المحقق لكتاب الروضتين أ . د . محمد حلمي احمد يرحمه الله ، ص ص ٧ - ٨.

وباشر كتابة السر بحلب والرحبة، كما تولى التوقيع في دمشق ووكالة بيت المال.
والصفدي من رجال القرن الثامن فقد ولد في صفد عام ٦٧٩هـ / ١٢٩٧م وتوفي بدمشق عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م (١).

ونجب الاشارة الي أن الوافي بالوفيات قد حوي تقسيما هاما للتواريخ، وأسماء المؤلفات التاريخية، فيذكر أسماء كتب التواريخ المؤلفة عمن تقدم من أرباب هذا الفن

فيذكر تاريخ المشرق، وتاريخ مصر، وتاريخ المغرب، وتاريخ اليمن والحجاز. والتواريخ الجامعة، وتواريخ الخلفاء، وتواريخ الملوك وتواريخ الوزراء والعلماء، وتواريخ القراء، وتواريخ الشعراء وأردف بتواريخ مختلفة

أولا : تاريخ المشرق وبلاده:

١ـ تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر

٢ ـ الذيل للسمعاني .

٣ ـ الذيل عليه لابن الدبيثي.

٤ ـ الذيل عليه لابن القطيعي.

٥ ـ الذيل لمحب الدين بن النجار.

٦ ـ الذيل لابن بكر بن المارستاني .

٧ ـ الذيل لابن الساعي.

٨ ـ تاريخ البصرة لابن دهجان.

٩ ـ تاريخ الكون لابن مجالد.

١ ـ تاريخ واسط للدبيثي.

١١ ـ تاريخ واسط لابن بحشل.

١٢ ـ الذيل عليه لابن الجلابي.

١٣ ـ تاريخ العراق لابن القاطولي.

١٤ ـ تاريخ العراق لابن اسفنديار الواعظ.

١٥ ـ تاريخ العراق لأحمد ابن أبي طاهر وهو أول من وضع لبغداد تاريخا.

١٦ ـ أخبار الموصل.

١٧ ـ تاريخ حران لمحاسن بن خليفة الحراني.

١٨ ـ المشرق في أخبار أهل المشرق لابن سعيد المغربي.

١٩ ـ تاريخ ميافارقين لابن الأرزق.[١]

٢٠ ـ تاريخ إربل لابن المستوفي.

٢١ ـ تاريخ دنيسر لعمر بن اللمش.

٢٢ ـ التاريخ الخاص لتكريت.

٢٣ ـ تاريخ الأنبار لابن الأنباري.

٢٤ ـ تاريخ الموصل لابن باطيس.

٢٥ ـ تاريخ سمرقند للادريسي.

٢٦ ـ الذيل عليه لابن حفص للنفس.

٢٧ ـ تاريخ خوارزم للمطهر الكاشي.

٢٨ ـ تاريخ خراسان للابيوري.

٢٩ ـ تاريخ خراسان للحاكم.

٣٠ ـ تاريخ مرو لابن سيار.

٣١ ـ تاريخ مرو للسمعاني.

٣٢ ـ تاريخ بيهق لعلي بن زيد.

٣٣ ـ تاريخ جرجان للسهمي.

٣٤ ـ تاريخ جرجان لعلي بن محمد الجرجاني.

٣٥ ـ تاريخ ابيورد لأبي الفتيان الشاعر.

٣٦ ـ تاريخ استرباد لأبي سعد.

٣٧ ـ تاريخ مازندران لابن ابي مسلم.

٣٨ ـ تاريخ استراباد لحمزة السهمي

٣٩ ـ تاريخ الري لابن منصور الآبي

٤٠ ـ تاريخ أزربيجان لابن الهيجاء الراودي

٤١ ـ تاريخ اصبهان لحمزة.

٤٢ ـ الطبقات الأصفهانية للشيخ ابن حبان

٤٣ ـ تاريخ قزوين لإمام الدين الرافعي.

٤٤ ـ تاريخ همذان لشيروية.

٤٥ ـ تاريخ همذان لصالح بن أحمد الحافظ

٤٦ ـ طبقات همذان لعبد الرحمن بن أحمد الأنماطي.

٤٧ ـ تاريخ مراغة لابن المثني.

٤٨ ـ تاريخ نسف للحافظ المستغفري النسفي.

٤٩ ـ تاريخ أرّان للبرذعي.

٥٠ ـ تاريخ هراة لابن اسحق البزاز.

٥١ ـ تاريخ هراة لابن النضر الفامي.

٥٢ ـ تاريخ بخارا للحافظ عنجار.

٥٣ ـ تاريخ شيراز لابن عبد الله القصار.

٥٤ ـ تاريخ شيراز لهبة الله بن عبد الوارث الشيرازي

٥٥ ـ تاريخ دمشق للحافظ القاسم بن عساكر.(١)

٥٦ ـ ذيل تاريخ دمشق.

٥٧ ـ ذيل الذيل لصدر البكري.

٥٨ ـ ذيل تاريخ دمشق لعمر بن الحاجب.

٥٩ ـ تاريخ أبي شامة الدمشقي.

٦٠ ـ ذيل تاريخ أبي شامة للبرزالي.

---

(١) وصفه الصفدي بأنه تاريخ عظيم في ثمانية مجلدات الصفدي الوافي بالوفيات جـ١ ص ٤٨

٦١ـ تاريخ حلب للصاحب كمال الدين بن العديم

٦٢ ـ تاريخ حمص لابن عيسى

٦٣ ـ تاريخ حمص لعبد الصمد بن سعيد

٦٤ ـ معادن الذهب في تاريخ حلب لابن أبي طى

ثانيا : تاريخ مصر :

١ ـ تاريخ مصر لابن يونس

٢ ـ تاريخ مصر للأمير المسبحي.

٣ ـ الذيل عليه لابن ميسر.

٤ ـ تاريخ مصر لابن عمر الكندي.

٥ ـ أخبار مصر الكبير للموفق عبد اللطيف البغدادي.

٦ ـ الإفادة في أخبار مصر لعبد اللطيف البغدادي.

٧ ـ تاريخ مصر لقطب الدين عبد الكريم.

٨ ـ تاريخ القاهرة لأبي الحسن الكاتب.

٩ ـ تاريخ أسوان لابن الزبير.

١٠ ـ تاريخ مصر لابن أبي طي.

١١ ـ تاريخ الصعيد لعلي بن عبد العزيز الكاتب.

١٢ ـ تاريخ مصر لمحمد بن عبد العزيز الادريسي.

ثالثا: تاريخ المغرب وبلاده:

١ ـ المقتبس لابن حيان يدخل في عشرة أسفار.

٢ ـ المتين في تاريخ الاندلس أيضا للمذكور ويدخل في ستين مجلدا.

٣ ـ تاريخ الأندلس للحافظ الحميدي.

٤ ـ تاريخ ابن الفَرَضي.

٥ ـ كتاب الصلة لابن بشكوال

٦ ـ الذيل علي ابن بشكوال لابن فرتون

٧ ـ الذيل لابن الأبار.

٨ ـ الذيل لابن جعفر بن الزبير الغرناطي.

٩ ـ التاريخ الصغير لأحوال الأندلس لابن بشكوال

١٠ ـ تاريخ قرطبة للزهراوي.

١١ـ تاريخ صقلية لابن زيد العمري.

١٢ـ تاريخ الاندلس لابن عبد الله الخُشَني القيرواني.

١٣ـ تاريخ القيروانيين لابن عبد الله الخُشَني القيرواني.

١٤ـ تاريخ المصامدة ولمتونه وصنهاجة.

١٥ـ تاريخ القيروان لابن رشيق.

١٦ـ تاريخ القيروان لأبي العرب الصنهاجي.

١٧ـ تاريخ القيروان لابراهيم الرقيق.

١٨ـ تاريخ إفريقية لأبي محمد المالكي.

١٩ـ تاريخ بلنسية لمحمد بن الخلف الصدفي.

٢٠ـ المغرب في أخبار المغرب لأبي سعيد المغربي

٢١ـ المعجب في أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي المراكشي.

رابعا: تاريخ اليمن والحجاز:

١ ـ تاريخ اليمن للحميري.

٢ ـ تاريخ الرشيد للحميري.

٣ ـ تاريخ تاج الدين عبد الباقي اليمني.

٤ ـ تاريخ عمارة اليمني.

٥ ـ أخبار تهامة والحجاز لأبي غالب.

خامسا: التـــواريخ الجامعة :

١ ـ تاريخ ابن جرير الطبري.

٢ ـ الذيل علي تاريخ الطبري لأبي محمد الفرغاني.

٣ ـ تاريخ المسعودي.

٤ ـ تجارب الأمم لابن مسكويه.

٥ ـ الذيل علي تاريخ الأمم لمحمد بن عبد الملك الهمذاني.

٦ ـ الكامل لابن الأثير.

٧ ـ الذيل علي الكامل لابن أنجب.

٨ ـ المنتظم لابن الجوزي.

٩ ـ مرآة الزمان لسبط بن الجوزي.

١٠ ـ الذيل علي مرآة الزمان لليونيني.

١١ ـ الجامع لابن الساعي.

١٢ ـ ترجمان الزمن لجمال الدين بن المهني العلوي.

١٣ ـ الدول لعلي بن فضال المجاشعي النحوي.

١٤ ـ جمله تاريخ الاسلام للحافظ الحميدي.

١٥ - جامع التاريخ للقاضي غياض.

١٦ ـ التعريف بصحيح التاريخ لأحمد بن الجزار الطبيب القيرواني

١٧ ـ درة الاكليل لابن الجوزي.

١٨ ـ المعارف لابن قتيبة.

١٩ ـ تلقيح فهوم الأثر اهل لابن الجوزي علي نمط المعارف.

٢٠ ـ تاريخ ابن هلال الصابئ.

٢١ ـ الدول المنقطه لابن ظافر.

٢٢ - عيون السير في محاسن البدو والحضر لابن عبد الملك الهمداني.

٢٣ ـ تاريخ ابن القلانسي.

٢٤ ـ تاريخ ابن العميد الكاتب.

٢٥ ـ شرح قصيده ابن عبدون لابن بدرون.

٢٦ ـ التاريخ المظفري للمظفر بن الأفطس.

٢٧ ـ المبدأ والمآل لياقوت الحموي.

٢٨ ـ تاريخ ابراهيم بن أبي الدم الحموي.

٢٩ ـ تاريخ اسماعيل بن علي الخطبي.

٣٠ ـ تاريخ ابن زولاق.

٣١ ـ تاريخ ابن قانع المرتب علي السنين.

٣٢ ـ تاريخ الأشراف الكبير للهيثم بن عدي.

٣٣ ـ تاريخ الأشراف الصغير للهيثم بن عدي.

٣٤ ـ تاريخ البلاذري.

٣٥ـ الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصبهاني يقال إنه جمعه في خمسين سنه.

٣٦ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان.

٣٧ ـ تاريخ الاسلام لشمس الدين الذهبي.

٣٨ ـ تاريخ الشيخ علم الدين البرازلي

٣٩ ـ تاريخ الدوادار.

٤٠ ـ تاريخ شمس الدين الجزري.

سادسا: تواريخ الخلفاء:

١ ـ أخبار الخلفاء للذهبي.

٢ ـ تاريخ العجم وبني أمية للهيثم بن عدي.

٣ ـ أخبار الأمويين لعلى بن مجاهد.

٤ ـ أخبار الأمويين لابن عبد الرحمن خالد بن هشام الاموي.

٥ ـ الإيناس في تواريخ بني العباس.

٦ ـ الأوراق للصولي.

٧ ـ الدولة العباسية لأبي محمد بن صالح بن النطاح.

٨ ـ أخبار العباسيين لأحمد بن يعقوب المصري.

٩ ـ سيرة الخلفاء لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب.

١٠ ـ سيرة المأمون.

١١ ـ سيرة المعتصم.

١٢ ـ سيرة القاهر.

١٣ ـ سيرة المستضيء لابن الجوزي.

١٤ ـ سيرة الناصر.

١٥ ـ سيرة المستنصر.

١٦ ـ تواريخ الخلفاء للقضاعي.

١٧ ـ من احتكم من الخلفاء إلى القضاة لأبي هلال العسكري.

١٨ ـ تاريخ الخلفاء لابن الكردبوس.

١٩ ـ تاريخ الخلفاء للدولابي.

٢٠ ـ تاريخ الخلفاء لابن أبي الدنيا.

٢١ ـ تواريخ الملوك.

٢٢ ـ سيرة الملوك للثعالبي.

٢٣ ـ أخبار الديلم.

٢٤ ـ نصرة الفطرة وعصرة القطرة في أخبار السلجوقية للعماد الكاتب.

٢٥ ـ كتاب اليميني للعتبي.

٢٦ ـ سيرة السلطان جلال الدين خوارزم شاه.

٢٧ ـ سيرة صلاح الدين بن أيوب للقاضي بهاء الدين بن شداد.

٢٨ ـ الفتح القدسي للعماد الكاتب.

٢٩ ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة.

٣٠ - مفرخ الكروب في دولة بني أيوب للقاضي جمال الدين بن واصل الحموي.

٣١ - المعلم الأتابكي لابن أنجب.

٣٢ - تاريخ الموحدين لابن الحجاج يوسف بن عمر الاشبيلي.

٣٣ - تاريخ الموحدين لابن صاحب الصلاة.

٣٤ - سيرةأحمد بن طولون لابن الداية.

٣٥ - سيرة خمارويه.

٣٦ - سيرة الملك الظاهر طغرلبك السلجوقي لعلي بن أبي الفرج البصري.

٣٧ - سيرة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس.

٣٨ - سيرة الظاهر بيبرس لابن شداد عز الدين.

٣٩ - سيرةالملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحي لمحي الدين.

٤٠ - الصالحي صاحب مصر والشام للقاضي محي الدين بن عبد الظاهر.

٤١ - سيرة الملك الأشرف صلاح الدين خليل لمحي الدين.

سابعا: تواريخ الوزراء والعمال:

١ - الوزراء للصولي.

٢ - الوزراء للصابيء.

٣ - الوزراء لابراهيم بن موسي الواسطي.

٤ - الوزراء للصاحب بن عباد.

٥ - الوزراء لعلي بن أنجب.

٦ - الوزراء لأبي الحسن علي بن الماشطة.

٧ - الوزراء لابن الهمداني.

٨ - أخبار البرامكه لابن الجوزي.

٩ - سيرة آل الفرات.

١٠ ـ الوزراء للمطوق علي بن أبي الفتح.

١١ ـ تاريخ عمال الشُرَط لامراء العراق للهيثم بن عدي.

ثامنا ـ تواريخ القضـاة :

١ ـ أخبار القضاة لابن المندائي.

٢ ـ أخبـار قضـاه مصـر لابن زولاق ذيلا علي كتـاب محـمد بن يعـقوب الكندي.

٣ ـ أخبارقضاة قرطبة لابن بشكوال.

٤ ـ أخبار القضاة ببغداد وعدولها لعلي بن أنجب.

٥ ـ أخبار قضاة دمشق للشيخ شمس الدين الذهبي.

تاسعا: تواريخ القراء :

١ ـ أفواج القراء لابن الحسين بن المنادي.

٢ ـ طبقات القراء لأبي عمرو الداني.

٤ ـ طبقات القراء لابن علي الهمداني في عشرين مجلدا.

٥ ـ طبقات القراء للشيخ شمس الدين الذهبي.

عاشرا: تواريخ العلماء :

١ ـ الطبقات لابن سعد .

٢ ـ طبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي.

٣ ـ أخبار العلماء لابن عبدوس.

٤ ـ أخبار علماء خراسان لابن نصر المروزي.

٥ ـ طبقات أصحاب الشافعي لابن باطيش.

٦ـ طبقات الفقهاء للشيخ أبي اسحق.

٧ ـ طبقات الفقهاء لعبد الملك بن حبيب القرطبي المالكي .

٨ ـ طبقات الفقهاء لابن عاصم محمد العبادي الشافعي .

٩ ـ تاريخ علماء نيسابور للحاكم .

١٠ ـ جذوة المقتبس في علماء الأندلس للحافظ الحميدي .

١١ ـ الخطب والخطباء لأبي عبد الله الحذاء القرطبي .

١٢ ـ أخبار الفقهاء الثلاثة لابن عبد البر .

١٣ ـ طبقات الفقهاء الشافعيةللشيخ محي الدين النووي .

١٤ ـ طبقات الفقهاء المالكية للقاضي عياض .

١٥ ـ طبقات الفقهاء الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلي الفراء .

١٦ ـ طبقات الفقهاء الحنفية لصلاح الدين بن المهندس .

١٧ ـ تاريخ العلماء لابن أبي طي .

حادى عشر : تواريخ الشعراء :

١ ـ البارع في أخبار الشعر لهارون بن المنجم .

٢ ـ أخبار الشعراء مرتب علي المعجم للصولي .

٣ ـ شعراء الجزيرة لابن القطاع .

٤ ـ طبقات الشعراء لصاحب حماه .

٥ ـ طبقات الشعراء لابن المرزبان .

٦ ـ الشعر والشعراء لابن السراج النحوي .

٧ ـ شعراء الأندلس لابن الفرضي .

٨ ـ طبقات الشعراء لمحمد بن سلام البصري .

٩ ـ طبقات الشعراء لابن قتيبة .

١٠ ـ النساء الشواعر لابن الفرج الشلحي العكبري الكاتب .

١١ ـ النساء الشواعر لأبي الفرج الأصفهاني .

١٢ ـ معجم الشعراء لياقوت الحموي.
١٣ ـ الإشارة في أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر.
١٤ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز.
١٥ ـ يتيمة الدهر للثعالبي.
١٦ ـ دمية القصر للباخرزي.
١٧ ـ زينة الدهر للحظيري
١٨ ـ الخريدة للعماد الكاتب.
١٩ ـ ذيل الخريدة.
٢٠ ـ قلائد العقيان.
٢١ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام.
٢٢ ـ أنموذج الشعراء لابن رشيق.
٢٣ ـ تحفة القادم لابن الأبار.
٢٤ ـ الحديقة لابن الساعي.
٢٥ ـ روضة الازهار لابن قلاقس.
٢٦ ـ عقود الجمان لابن الشعار.
٢٧ ـ جني الجنان لابن الزبير.
٢٨ ـ شعراء المائة السابعة لابن عبد الظاهر.
٢٩ ـ الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة لابن القرطبي.
٣٠ ـ أخبار شعراء الشيعة لابن أبي طيء.

ثاني عشر : تواريخ مختلفة.

١ ـ حلية الأولياء لابي نعيم الحافظ ولخصه ابن الجوزي وسماه صفوة الصفوة.

٢ ـ طبقات النساك لسعيد بن الأعرابي.

٣ ـ طبقات الصوفية لابن عبد سعيد النقاش.

٤ ـ طبقات الصوفية لابن عبد الرحمن السلمي.

٥ ـ أخبار صلحاء الأندلس لابن الطيلسان القرطبي.

٦ ـ تاريخ الوعاظ لناصح الدين الحنبلي الواعظ.

٧ ـ عباد إفريقية لمحمد بن تميم الافريقي.

٨ ـ طبقات أهلها.

٩ ـ تاريخ الأطباء لابن أبي أصيبعة.

١٠ ـ طبقات الحكماء لابن القاسم بن صاعد القرطبي.

١١ ـ أخبار الأطباء لابن الداية

١٢ ـ أخبار المنجمين لابن الداية.

١٣ ـ تواريخ الخوارج للهيثم بن عدي.

١٤ ـ الأوايل للعسكري.

١٥ ـ أخبار النحاة لابن دستورية.

١٦ ـ أخبار النحاة للمرزباني.

١٧ ـ أخبار النحاة لابن الانباري.

١٨ ـ أخبار النحاة للصابي.

١٩ ـ أخباره النحاة واللغويين بالشرق والمغرب لأبي بكر الزبيدي.

٢٠ ـ أخبار المتكلمين للمرزباني.

٢١ ـ طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار.

٢٢ ـ الفهرست في أخبار الأدباء لمحمد بن اسحق النديم.

٢٣ - نزهة الألباء في طبقات الادباء لابن الانباري.

٢٤ - تحفة الألباء في أخبار الأدباء لمحمد بن اسحق النديم.

٢٥ - الفهرست في تواريخ الأدباء لمحمد بن اسحق النديم

ويضيف صلاح الدين الصفدي: أما كتب المحدثين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم مثل:

الاستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة لابن الأثير، وغيرهما وكتب الجرح والتعديل والأنساب ومعاجم المحدثين ومشيخات الحفاظ والرواة فإنها شئ لايحصره حد ولا يقصره عد ولا يستقصيه ضبط ولا يستدنيه ربط، لأنها كاثرت الأمواج أفواجا، وكابرت الأدراج اندراجا، فلهذا لم أذكر منها ها هنا شيئا. (١)

إن مدرسة الشام قد شهدت الأحداث الجسيمة التي مر بها العالم الإسلامي فبعد أن تخلص من الغزو الصليبي إذ به يواجه الهجوم المغولي المدمر التي استقرت عصاه في بلاد الشام، وفيها كان خروج جيوش مصر إلي عين جالوت لتلقي العدو المغولي وتوقع به شر الهزائم، وتوقف ذلك الخطر الهائل الذي هدد حضارة الإسلام وبلاده وخلافته، ولم يفرق بين سكان المدن والجيوش، ولم يلق بالاً إلي ما كان يلقاه في طريقه، إلا أن الله قيض لهذا الخطر رجال مصر الذين استطاعوا أن يخلصوا بلاد الإسلام والمسلمين من شره.

ومن هنا كان لتلك الأحداث أثرها في مدرسة الشام، التي خرج رجالها إلي مصر الملجأ والملاذ، ليبدأوا بعضاً من نشاطهم في القاهرة التي استقبلتهم بكل ترحاب ومودة وقدمت لهم الوسائل، ومهدت لهم السبل حتي استطاعوا أن يثروا مجال الكتابة التاريخة مع زملائهم من رجال المدرسة المصرية في ذلك الوقت.

---

(١) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي: الوافي بالوفيات. جـ١ ص ٥٥.

مدرسة العراق :

صحب الفتح الإسلامي للعراق حركة حضارية وثقافية غيرت المفاهيم والقيم وعاد مردودها بدون شك علي نشأة المدرسة التاريخية فيه، كما كان تمصير الأمصار خطوة ايجابية في هذا المجال فقد أسهمت مجتمعات الكوفة والبصرة ومن استقر فيها من القبائل العربية بنصيب كبير في الحياة الفكرية في صدر الإسلام واستمرت في ممارسة هذا الدور المتميز خلال العصور الإسلامية المختلفة.

وكان لاهتمام الخلفاء الراشدين والأمويين منذ البداية باللغة العربية وخشيتهم عليها من اللحن أبلغ الأثر في ظهور بدايات التدوين والكتابة في القرنين الأول والثاني الهجريين، وقد أسهم ذلك في توفير مادة خصبة ساعدت المؤرخين فيما بعد علي تطوير الكتابة التاريخية عند المسلمين. (١)

وقد ظهر في تلك الفترة مجموعة من الرجال الذين عكفوا علي جمع الأخبار وتسجيل الأنساب وتتبع الأحاديث النبوية الشريفة وإلي هؤلاء يعود فضل تدوين الحديث النبوي والمغازي وسيرة رسول الله ﷺ ولعل من أهم هؤلاء عوانة ابن الحكم المتوفي ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م وأبي مخنف المتوفي عام ١٥٧هـ / ٧٧٤ م وسيف بن عمر المتوفي ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م والمدائني المتوفي عام ٢٢٥ هـ /٨٣٩م.

إن الأحداث السياسية العنيفة التي شهدتها البصرة والكوفة والتيارات الفكرية المختلفة التي عصفت بالحياة العامة فيهما كان لها أبلغ الأثر في قيام المدرسة التاريخية في العراق، وإن المدارس الكثيرة التي نشأت تباعاً للغة والحديث ومن وفد عليها من علماء ومفكرين ومحدثين وكتاب ورحالة أثري بشكل واضح عملية الكتابة التاريخية وتواصل عملهم مع عمل المؤرخين المسلمين في الحجاز والشام والعراق واليمن.

وسايرت الكتابة التاريخية في العراق أحداث الأمة الإسلامية خلال العصر الأموي ثم كان لقيام بغداد العاصمة العباسية دور بارز في اجتذاب العلماء

---

(١) قارن عبد العزيز الدوري المرجع السابق : ص ص ١٢٠ - ١٢١.

والمحدثين والكتاب ومن ثم نشأت المدرسة التاريخية في العراق.

وبغداد بحكم موقعها الجغرافي المتميز كانت ملتقي العلماء من الشرق والغرب علي السواء، بالإضافة إلي اهتمام خلفاء بني العباس بالعلوم والفنون والثقافة مما جعل عاصمتهم مركز جذب شديد لطالبي العلم والباحثين عن المعرفة ومن هنا كانت كثرة وتنوع الكتابة التي أنتجتها هذه المدرسة.

لقد ازدهرت الكتابة التاريخية في بغداد، وظهر عدد كبير من المؤرخين المسلمين مما جعل بعض المؤرخين يطلقون عليها المدرسة الأم وهي تستحق ذلك علي كل حال فقد استطاع رجالها أن يثروا الكتابة التاريخية بما قدموه من التواريخ العامة والتواريخ المحلية وكتب الخراج والأموال، وكتب البلدان والجغرافيا والمسالك والممالك والرحلات والتراجم والأحكام السلطانية والحسبة والقوانين.

إن المؤرخين المسلمين الذين ألفوا تواريخ في بغداد ووضعوا تصانيفهم العديدة قد أطلقوا لأنفسهم العنان، ولم يحصروا طاقاتهم الفكرية أو أعمالهم الأدبية والتاريخية في فن واحد من الفنون، وإنما تنوع إنتاجهم، وظهرت مواهبهم وتعددت مؤلفاتهم، ولقد كانت الصلة الدائمة بين هؤلاء الرجال علي اختلاف اهتمامهم وبين مواطنهم الأصلية أكبر الأثر في النتاج الضخم الذي ارتبط بانتماءاتهم لتلك الأقاليم، وقد أسهم ذلك أيضاً في كثرة التصانيف والمؤلفات التي ميزت مدرسةالعراق.

كما أن حرارة التنافس بين أولئك العلماء، وحرصهم الشديد علي الإسهام في الحركة العلمية كان مهدا للعطاء الوفير الذي قدمه المؤرخون والعلماء المسلمون علي كافة تخصصاتهم خاصة الفقه والحديث اللذين كانا المنهل الذي نهل منه مؤرخو الإسلام فما كان منهم إلا محدثاً أو فقيهاً أو مفسراً، او عالماً بالأحكام مبرزاً فيها.

وكان من هؤلاء أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة النعمان، والقاضي يحيي ابن آدم القرشي، والقاضي أبو عبيد البغدادي بن سلام، وشيخ المؤرخين في بغداد محمد بن جرير الطبري الفقيه المحدث صاحب المذهب الفقهي،

وصاحب المنهج التاريخي المميز الذي ظهر واضحاً في كتابه تاريخ الرسل والملوك والذي ظل من أهم الكتب التي ارتبطت بالمدرسة التاريخية في العراق.

ومع أن هذه المدرسة ظلت علي مدي قرون طويلة المدرسة الأم فإن هناك مدارس أخري ارتبطت بها وتواصلت معها مثل مدرسة الشام ومدرسة اليمن ومدارس المشرق الإسلامي، ومن المهم أن نوضح أن الاتصال بين تلك المدارس أثر تأثيرأعظيماً في تطور الكتابة التاريخية بما أضافه رجال التاريخ في المدارس الإقليمية التي تطلعت إلي بغداد باعتبارها مصدر العلوم والمعارف، وكانت الرحلة إليها لطلب العلم هدفاً يتطلع إليه من أراد أن يستزيد.

لقد عاشت بغداد مراحل من الاستقرار والرخاء أثبت فيه خلفاء بني العباس قدرتهم علي قيادة العالم الإسلامي في ذلك الوقت، كما استطاعوا أن يجعلوا من بغداد حاضرة الدنيا دون منازع.

وشهدت بغداد كذلك ثورات وانتفاضات عنيفة خرج فيها أصحابها علي الخلافة فكانت ثورات الزط والزنج، إلي حركات غذتها الفرق ذات الأهداف والمبادى الهدامة، وعلي الرغم من ذلك ظلت بغداد مركز العلم والعلماء حتي في المراحل التي تواري فيها سلطان الخلفاء، وظهرت سيطرة الأمراء والوزراء، وحين تصارع الفرس والترك في قلب الدولة الإسلامية علي السيادة والزعامة كانت مدارس بغداد ملاذاً للعلم والعلماء وقلاعاً للثقافة والحضارة ومراكز للإبداع والفن.

وإذا كان القرنان الأول والثاني الهجريين قد مهدا السبيل للتدوين التاريخي فإن القرن الثالث الهجري قد شهد استكمال المهمة واستطاع رجاله أن يطورروا الكتابة التاريخية.

ومن المهم الإشارة إلي أن القرنين الثالث والرابع الهجريين قد شهدا درجة عظيمة من النضوج الفكري والعلمي للمسلمين فقد أرسيت أسس المذاهب الأربعة في الفقه، وجمع الحديث وظهرت الكتب الصحاح، وألفت المصنفات في النحو واللغة،وقامت العديد من المراكز الثقافية التي انتشرت في الشرق والغرب بدورها

في النهضة العلمية والفكرية التي تزعمتها بغداد.

لقد ظهر كثير من شيوخ الفقه والحديث والأدب والتاريخ مما شحذ همم الرجال في الإبداع والتطوير، وبرز دور المؤرخين الذين استخدموا مناهج المحدثين في كتاباتهم فكانوا يدعمونها بالإسناد ويتثبتون من الروايات والأخبار حتي يأتي عملهم موثقاً مدعماً بالادلة.

وقد كانت هذه المرحلة هي مرحلة البناء الحقيقي للكتابة التاريخية وخلالها ترسخت أقدام المدرسة التاريخية في العراق تلك المدرسة التي تواصل عطاؤها وإسهاماتها في خدمة علم التاريخ فظهر كتاب التراجم والتواريخ المحلية وتواريخ البلدان إلي غير ذلك مما حظيت به بغداد من المؤلفات والتصانيف.

إن القرن الثالث يعد مرحلة انتقال بين ما كان في القرنين الأول والثاني وبين ما ظهر من علوم وفنون فى القرون التالية، فلم يعد العلم بعد ذلك غير مقنن أو دون أصول وقواعد، وإنما أصبح العلماء يتطلعون إلي التخصص، وفي ذلك يقول ابن قتيبة: (من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم). (١) ومن هنا يمكننا أن نستنبط أن علماء المسلمين قد عرفوا التخصص بل أكثر من ذلك عرفوا تقنين العلوم والآداب والفنون بحيث أصبح لكل علم من العلوم منهج خاص به، ومن ثم انفصلت العلوم، فأصبح الفقه مستقلاً بذاته ونهض علم الكلام، وظهر الفقهاء والعلماء والكتاب والمتكلمين والصوفية والرحالة وغيرهم، ولا يعني ذلك عدم الاهتمام بعلوم الدين فقد شهد القرن الرابع إقبالاً شديداً علي دراسة القرآن الكريم والحديث، ففي هذا العصر ظهرت قضية إجازة رواة الحديث وهناك من يرجع هذا إلي القرن الثاني الهجري، ورأي البعض ضرورة أن تكون هناك إجازة مكتوبة تخول لصاحبها حق الرواية، ومن هنا كان المحدثون يعدون أعظم العلماء شأناً، بل كانوا من أعظم رجال الإسلام ومنهم كان أشهر مؤرخي المسلمين.

---

(١) قارن آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع جـ ١ ، ص ٣٠١.

ومما لا شك فيه أن الأحداث السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عن تنوع عناصر السكان بمالهم من أفكار وعادات وتقالد وتطلعات وأهداف، والقضايا الفكرية العنيفة التي فجرتها الظروف السياسية في ذلك الوقت، كل ذلك كان له لأثر الواضح في الكتابات التاريخية المختلفة التي ظهرت في مدرسة العراق وعلي غرارها كتب المؤرخون المسلمون فيما بعد.

لقد ظلت بغداد تقدم للمسلمين نماذج عظيمة من الكتابات التاريخية، وأنواعاً من المؤرخين الكبار حتي سقطت أمام الغزو المغولي الذي أتي علي ما كان فيها من كنوز وذخائر علمية نفيسة، ومن هنا نزح من استطاع من علمائها ومؤرخيها إلي دمشق ومنها إلي القاهرة لتلقاهم عاصمة مصر وتفتح لهم قلبها وذراعيها ليواصلوا مسيرتهم العلمية العظيمة التي أينعت ثمارها في مصر وازدهرت فيها المدرسة التاريخية ذات الباع الطويل والصيت الشهير في كتابة التاريخ.

كانت كتب الخراج والأموال من أوائل المصنفات التي ظهرت في بغداد بعد كتب السير والمغازي، وحظيت المدرسة العراقية بعدد من الرجال الذين عنوا بهذا الموضوع عناية فائقة، والذين كانوا عوناً لحكام المسلمين، يضعون أمامهم الأحكام المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ،درءاً للظلم عن الرعية.

وكتب الأموال والخراج من المصادر التاريخية الهامة، وهي في ذات الوقت تمثل خطوة جادة موفقة تحسب للمدرسة التاريخية في العراق فهذا النوع من الكتابة ذات الطابع الفقهي لا غني عنها لمؤرخ في كل وقت وعصر، كما أنها في ذات الوقت تمثل مرحلة من مراحل التدوين عند المسلمين.

القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ١١٣ : ١٨٢ هـ / ٧٣١: ٧٩٨م:

كان من أوائل من صنفوا في هذا النوع من الكتابة، فكتابه الخراج الذي كتبه لخليفة المسلمين في أوائل العصر العباسي هارون الرشيد يعد مصدراً أساسيا من المصادر الإسلامية في ذلك المجال، وهو يعكس موقف العلماء والمفكرين وأصحاب الرأي

والمشورة من حكام المسلمين.

يقول أبو يوسف: إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجوالي وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم، وفق الله أمير المؤمنين، وسدده وأعانه علي من تولي من ذلك، وسلمه مما يخاف ويحذر، وطلب أن أبين له ما سألني عنه عما يريد العمل به، وأفسره وأشرحه، وقد فسرت ذلك وشرحته». (١)

إن أبا يوسف بعد أن أتم كتابة قواعد الخراج التي ضمنها مصنفه النفيس وجه خطابه إلي أمير المؤمنين هارون الرشيد في حرص العالم الإمام الفقيه علي حسن الصلة بين الحاكم والمحكومين، وبين الحاكم وبين شعبه أولاً وأخيراً ليعدل في رعيته ويرعي حقوق الله بين العباد.

يقول أبو يوسف: «إن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه وجعل لهم نوراً يضئ للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم وبين ما اشتبه من الحقوق عليها، وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة حدود الله ورد الحقوق إلي أهلها بالتثبيت للأمر البين، وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعاً، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت وجور الراعي هلاك للرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة. فاستتم ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها، فإن الله تبارك يقول كتابه العزيز: ﴿لئن شكرتكم لأزيدنكم ولئن كفرتم فإن عذابي لشديد﴾ (٢)

ويروي أبو يوسف عن كثير من رجال الحديث الذين يوضحون الأمر عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم استناداً علي أحاديث رسول الله ﷺ، من ذلك

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج :ص ٣.

(٢) أبو يوسف: كتاب الخراج : ص ص ٥-٦ سورة إبراهيم: آية رقم ٧ ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتكم لأزيدنكم ولئن كفرتم فإن عذابي لشديد﴾.

حديث محمد بن إسحق عن عبد السلام عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قام رسول الله ﷺ بالخيف من مني فقال: نضر الله إمرء سمع مقالتي فأداها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلي من هو أفقه منه، ثلاث لايغل عليهم قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائه. (١)

ويتضح من روايات أبي يوسف اتصال إسنادها مما يدعم كتاباته ويقويها ويدلل علي علمه وتفقهه في الدين.

فهو ينقل لنا عن الفاروق عمر رضي الله عنه عن عبد الله بن علي عن الزهري عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لا تعترض فيما لا يعنيك واعتزل عدوك، واحتفظ من جليسك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله شئ ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تفش إليه سرك، واستشر في أمرك من يخشون الله». (٢)

وقد كانت نظرة أبي يوسف شاملة ترمي بالدرجة الأولي إلي رفع الظلم عن الرعية، خاصة وأن جباة الجزية والخراج قد تزيدوا في بعض الأقاليم علي الناس، وواجب الحاكم أن ينظر في المظالم ليرفع الجور عن رعيته يقول أبو يوسف: «لقد ظل عمر بن عبد العزيز شهرين مقبلاً علي بثه وحزنه لما تولي من أمر الناس،». لقد عرف عنه أنه كان شديد الاهتمام بالرعية، كان ينظر في المظالم ويرد الحقوق إلي أصحابها، ولقد كان شديد الخشية لله حريصاً، علي إقامة الحدود وقضاء حوائج المسلمين، ومن هنا كانت وثيقة الخراج التي كتبها أبو يوسف لخليفة المسلمين هارون الرشيد تؤكد حرص علماء المسلمين علي إسداء النصح لحكامهم.

وضمّن أبو يوسف كتابه أحكام قسمة الغنائم والفئ والخراج، ووضح الأسس التي وضعها الفاروق رضي الله عنه في معاملة أهل السواد، وموقف

---

(٣) أبو يوسف. كتاب الخراج. ص ١٠.

(١) أبو يوسف نفس المصدر. ص ١٥.

الإسلام من الأرض، ما افتتح منها صلحاً وما كان فتحه عنوة، وموقف الفقه الإسلامي من الصوافي والقطائع، والحكم في الأرض الموات، وفيما يخرج من البحر، وفي الصدقات، وفيمن تجب عليه الجزية والحكم في المرتد عن الإسلام، والحكم في قتال أهل الشرك والبغي إلي غير ذلك من الأحكام الفقهية التي يحتاج إليها الحكام هدفاً إلي إقرار العدالة في الرعية ورفع الجور والظلم عن المسلمين.

القاضي يحيى بن آدم القرشي ١٤٠: ٢٠٣ هـ/ ٧٥٧: ٨١٨ م:

وهو صاحب كتاب الخراج الذي يعترف له العلماء بأنه لم يكن مقلداً، بل كان من الأئمة حفاظ الحديث، ولم يكن صاحب هوي ولا عصبية، وقد وصفه النووي أنه كان من العلماء المصنفين، وأشار إليه الذهبي بأنه صاحب التصانيف. وقد أدرك يحيى بن آدم القرشي عصر الخليفة المأمون لكنه لم يدرك فتنة العلماء التي ظهرت في عصره في عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧ م وامتحن بها كثيراً من علماء السنة.

ولم يذكر لنا من عرف يحيى بن آدم أنه كانت له صلة بأهل الحكم والسياسة، ولم يعبأ بأمورهم بل أفني حياته طلباً للعلم والحرص علي تعليمه، وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الثامنة، وأخبرنا بأنه روي عن سفيان الثوري وغيره وكان ثقة.(١)

وقد سار علي النهج الذي رسمه أبو يوسف، لكنه لايذكره ولا ينقل عنه. وكتاب الخراج الذي وضعه يحيى بن آدم فيه تفصيلاتٍ أكثر مما لدي أبي يوسف مما يتضح في مقارنة للكتابين، ولعل يحيى قد أفاد من تجربة أبي يوسف في كتابة الخراج فجاء الكتاب الثاني أشمل وأعم.

ناقش كتاب الخراج الغنيمة والفئ وأرض الخراج وأرض العشر وقسم الفئ، ومعاملة أهل الذمة، ووصية عمر الفاروق رضي الله عنه للخليفة من بعده، والرفق بأهل الذمة، والتخفيف علي دافعي الخراج إن كانوا لا يطيقون دفع ما هو محدد عليهم، والزكاة والتجارة إلي غير ذلك من القضايا الفقهية الخاصة بالأموال وكيف

---

(١) ابن سعد - الطبقات الكبري. جـ٦ ، ص ٤٠٢.

حدد الفقه الإسلامي للمسلمين سبل التعامل فيها.

أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفي في مكة عام ٢٢٤ هـ / ٨٤٨ م.

عده ابن سعد من فقهاء بغداد والمحدثين بها من الطبقة الثامنة فقال: وهو من أبناء أهل خراسان، وكان مؤدباً صاحب نحو وعربية، وطلب الحديث والفقه، وولي القضاء بطرسوس علي عهد ثابت بن نصر بن مالك. ولما قدم بغداد أقام بها وفسر غريب الحديث وصنف كتباً عديدة من أهمها كتاب الأموال [١]

وأكد من ترجم لأبي عبيد أنه من علماء بغداد النحويين علي مذهب الكوفة ورواة اللغة والغريب والعلم بالقرءات. وكان ذا مذهب حسن وقد روي عنه الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً في القرآن الكريم والفقه وغريب الحديث إلي غير ذلك من المصنفات.

وعرف عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه كان يُقيم الليل فيصلي ثلثة وينام ثلثة ويصنف في الثلث الباقي، وكان يقول: المتبع للسنة كالقابض علي الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله .

وذكره علماء عصره فقالوا: كان ثقة مأموناً، يتنزه عن طلب الحكام، ووصفه ابن حبان فقال: كان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس، جمع وصنف واختار وذب عن الحديث ونصره وقمع من يخالفه.

وينقسم كتاب الأموال إلي أربعة أجزاء بدأ فيه بباب في حق الإمام علي الرعية وحق الرعية علي الإمام، ثم ناقش قضايا غاية في الأهمية تتعلق بالأموال التي يليها الأئمة للرعية وأصول ذلك في الكتاب والسنة.

وأوضح ابن سلام ما كان لرسول الله ﷺ من الأموال وهي الفئ والصفى

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبري جـ٧، ص ٣٥٥.

والخمس. (١)

وقد شرح ابن سلام المسائل والقضايا الي تخص الأرض وموقف الإسلام منها ومن أصحابها وملاكها، وهو بذلك يغني الباحثين في هذه المسائل إذ يوضح لهم الأسس التي وضعها الإسلام في تفصيلات تلك المسائل.

وتحدث عن العطاء وما فرض من الفئ بعد أن دون عمر الفاروق رضي الله عنه الدواوين، وأثبت اجتهادات الأئمة والفقهاء في هذه القضايا المهمة في حياه الناس فعرض للغنيمة والجزية، وما قام به كل من عمر الفاروق رضي الله عنه،وعمر بن عبد العزيز وهو في كل ذلك يعود إلي أقضية رسول الله ﷺ، وما ثبت به دليل من الكتاب والسنة .(٢)

وكتاب الأموال يعد من أهم الكتب في الخراج والزكاة والجزية والعشور والتجارة ،وهو أشمل من كتابي الخراج السابقين عليه لكل من أبي يوسف ويحيي ابن آدم، وزاد ما غاب عنهما من أحكام وأقضية للمسائل الاقتصادية والمالية الإسلامية.

ابن قتية الدينورى ٢١٣ : ٢٧٦ هـ / ٨٢٨: ٨٨٩ م

وهو عبد الله بن مسلم: بن قتيبه أبو محمد: صاحب كتاب أدب الكتاب ومشكل القرآن، وفضل العرب علي العجم، وكتاب الأشربة، وكتاب الرد علي الشعوبية.

ترجم له ابن خلكان فقال: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب الكتاب، كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن علماء أجلاء هم اسحاق بن راهويه وأبي اسحق ابن ابراهيم سليمان بن أبي بكر عبد الرحمن بن زياد بن ابيه الزيادي وأبي حاتم

---

(١) الصفي هو ما يستصفيه الإمام من الغنيمة قبل القسمة وقيل أن صفية رضي الله عنها كانت من الصفي. ابن سلام :الأموال . ص ١٩.

(٢) انظر : كتاب أقضية الرسول عليه الصلاة والسلام.

السجستاني وتلك الطبقة. [1].

وعدد من كتبه: غريب القرآن الكريم وغريب الحديث وعيون الأخبار ومشكل القرآن، ومشكل الحديث وطبقات الشعراء، والأشربة، واصلاح الغلط، وكتاب التفقيه، وكتاب الخيل، وكتاب أغرب القراءات، وكتاب الأنواء، وكتاب المسائل والجوابات، وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك.

روى ابنه أبو جعفر أحمد بن عبد الله كتب أبيه المصنفة كلها وتولي القضاء بمصر وذلك مثل أبيه الذي كان قد تولي القضاء في الدنيور مدة فنسب إليها.

ومن كتبه الهامة كتاب أدب الكاتب الذي اختلف الناس حوله، وكان قد ألفه لأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد علي الله ابن الخليفة المتوكل العباسي وقد شرح الكتاب بعد ذلك أبو محمد بن السيد البطليوسي شرحاً وافياً ونبه إلي مواضع الخطأ فيه وسماه الاقتضاب في شرح أدب الكتاب.

وكتابه التاريخ أو تاريخ الخلفاء المعروف بالإمامة والسياسة من الكتب الهامة التي ارخت في القرن الثالث الهجري لنظام الحكم في الإسلام وطريق المسلمين إلي إرساء دعائمه وتثبيت أصوله منذ بداية عصر الخلفاء الراشدين وحتي وفاة الرشيد موضحاً المشكلات التي صادفت المسلمين خلال تلك المرحلة.

والكتاب في جزءين يبدأ الأول باستخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد ذكر فضائله وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وينتهي بعهد يزيد وموقعة الحرة. [2]

ويبدأ الجزء الثاني بذكر اختلاف الرواة في موقعة الحرة وخبر يزيد حتي نهاية خلافة هارون الرشيد وفيه يقول ابن قتيبة: فقد تم بعون الله تعالي مابه ابتدأنا، وكمل وصف ما قصصنا من أيام خلفائنا أئمتنا وفتن زمانهم وحروب أيامهم وانتهينا إلي أيام الرشيد، ووقفنا عند انقضاء دولته إذ لم يكن في اقتصاص أخبار

---

(1) انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ٣، ص ص ٤٢ ـ ٤٣

(2) ابن قتيبة الامامة والسياسة. تحقيق د. طه الزيني، جزءان في مجلد واحد. بدون سنة نشر.

من بعده، ونقل حديث مادار علي أيديهم وما كان في زمانهم كبير منفعة، ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضى أمرهم وصار ملكهم إلي صبية أغمار غلب عليهم زنادقة العراق، فصرفوهم إلي كل جنون وأدخلوهم إلي الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة، واشتغلوا بلهوهم واستغنوا برأيهم. (١)

وهكذا نري ابن قتيبة ينهى كتاب الإمامة والسياسة برأي ساخط رافض للأوضاع التي آلت إليها أحوال المسلمين في أواخر أيامه، وأنه قد أنهي كتابه بنهاية حكم هارون الرشيد ووفاته، قالها في شجاعة العلماء وقوة الفقهاء فقد كان ابن قتيبة قاضياً يعلم أمور الدين، عالما يترفع بنفسه عن الصغائر، وهذا ولا شك يعكس المناخ الذي تمتع به علماء المسلمين قبل أن يسيطر عليهم طغيان الحكام والساسة.

محمد بن جرير الطبري ٢٢٤ : ٢١٠ هـ / ٨٣٨ : ٩٢٢ م:

هو أبوجعفر بن جرير بن يزيد الطبري، الفقيه المحدث المؤرخ، من أعلام المدرسة البغدادية، استقر ببغداد بعد ترحاله الكثير طلباً للعلم حيث زار الرى والكوفة وبلاد الشام ومصر التي قضي فيها بضع سنين.

وفي القاهرة جالس الطبري رجالات العلم والفقه والحديث، فأخذ الفقه الشافعي علي يدي الربيع والمزني وأبناء ابن عبد الحكم، وأخذ القراءات علي شيخ الإقراء يونس بن الأعلي الصرفي الذي درسه قراءة حمزة وورش. (٢)

وعاد الطبري بعد ذلك إلي بغداد وقرر الاستقرار بها يشاهد ويعاين ويروي ويناقش ويعارض علماء وفقهاء عصره.

وفي بغداد انقطع محمد بن جريرللكتابة والتأليف، وعزف عن الحياة العامة، ورفض أن يتولي مناصب حكومية إمعاناً في الانقطاع للعلم والكتابة وزهدا في حياة الحكم والسياسة، فقد عرضوا عليه القضاء فرفض، وعرضوا عليه

---

(١) ابن قتية :الإمامة والسياسة - جـ٢، ص ١٧٣.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ ١،ص ٨.

المظالم فرفض أيضا حتي عاتبه أصحابه علي ذلك. وفي بغداد سكن الطبري برحبة يعقوب، وعكف علي العبادة والقراءة والإملاء والتصنيف حتي قيل فيه: كان كالقارئ لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث لا يعرف إلا الحديث، وكالفقية لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب لا يعرف إلا الحساب، وكان عالماً بالعبادات عالماً جامعاً للعلوم، وإذا جمعت كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً علي غيرها. (١)

وكتابه النفيس تاريخ الرسل والملوك من أوائل المصنفات التاريخية الكاملة، بني علي ما سبقة من كتابات المؤرخين المسلمين الأوائل كالواقدي وابن سعد واليعقوبي والبلاذري، وعليه أضاف المسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وغيرهم.

وكان الطبري قد أسس له مذهبا خاصاً ففي عصره تأكد أن الفقه ليس علماً نظرياً بل هو علم يتناول الأسس والأحكام التي تمسّ جوانب الحياة الإسلامية، ومهما يكن من أمر فيجب الإشارة إلي أن المذاهب الفقهية قد توطدت أركانها واستقرت أوضاعها بين الفقهاء علي النحو الذي نجده اليوم.

وقد أثار منهج الطبرى أو لعلنا نقول مذهبه خلافاً بين العلماء والفقهاء أدي بهم إلي تأليف الكتب للرد عليه، من ذلك ما صنفه القاضي عبد الله بن محمد ابن الخصيب المعروف بالقاضي الخصيبي المتوفي عام ٣٤٧ هـ/٩٥٨م وقد ذكر ذلك السبكي في طبقاته. (٢)

وتتحدث المصادر أن الطبري الفقيه المفسر المحدث المؤرخ قد اتخذ له مذهبا، لكنهم لا يفصلون حول هذا المذهب، ويبدو أنه كان شافعي المذهب، فقد أفتى به في بغداد عشرين سنة، لكنه مع ذلك وفي نهاية حياته وبعد البحث والتقصي واستجلاء الأمور الغوامص والاجتهاد اتخذ له مذهباً خاصاً به يظهر في كتبه وخاصة كتاب لطيف القول. كما أن الطبري لم يقتصر عمله علي كتابة التاريخ بل

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك - جـ١، ص ١١.

(٢) السبكي : الطبقات - جـ ٢، ص ١٣٩.

صنف في الآراء الفقهية وجمع تلك الآراء في كتابه المسمي اختلاف الفقهاء الذي عرض فيه أراء فقهاء الإسلام الائمة مالك،وأبى حنيفة والإمام الشافعي، وسفيان الثوري والأوزاعى وغيرهم. ولم يقتصر علي مجرد عرض آرائهم بل فندها وناقشها ووازن بينها ورجح ما راي فاتخذه منهجاً.

ولقد تبعه بعض العلماء الفقهاء، وصنفوا مؤلفات عن مذهب الطبري، ومن أشهر هؤلاء أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم صاحب كتاب المدخل إلي مذهب الطبري ومنهم أبو الفرج المعافي بن زكريا النهروانى الذي عرف بالجريري نسبة إلي محمد بن جرير الذي ذكر عنه ابن النديم في فهرسه أنه هو الذي نشر مذهب الطبرى وحفظ كتبه وقام بشرح كتابه الخفيف.(١)

وللطبري مؤلفات عديدة غير كتابه تاريخ الرسل والملوك منها البصير في معالم الدين ويسمي أيضاً التبصير، وهو رسالة للرد علي مذاهب أهل البدع، وكتاب جامع البيان عن تأويل آى القرآن وهو من التفاسير الجليلة الشأن،والخفيف في الفقه وكتاب طرق الحديث.

ويذكر ابن خلكان أنه: كان إماماً في فنون كثيرةمنها التفسير والحديث والفقه والتاريخ. (٢)

وكان الطبري ثقة في نقله، ويرى كثير من المؤرخين والعلماء أن تاريخه أصح التواريخ وأثبتها،وقد أخبرنا الخطيب البغدادي أن الطبري مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة، وتوفي الطبري في بغداد وقت المغرب ليومين بقيتا من شوال سنة عشر وثلثمائة وصلي علي قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، وزاره خلق كثير من أهل الدرس والأدب رحم الله محمد بن جرير الطبرى.

---

(١) انظر محمد بن جرير الطبري . تاريخ الرسل والملوك جـ ١. ص ١١،مقدمة المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان . جـ ٤. ص ص ١٩١ ، ١٩٢

المسعودي : أبو الحسن بن الحسين بن علي المتوفي ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م

قدمت مدرسة العراق المؤرخ العلامة المسعودي الذي وصفه صاحب الفهرست بأنه مصنف لكتب التاريخ وأخبار الملوك ومن أشهر كتبه مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك وكتاب ذخائر العلوم وما كان في سائر الدهور، وكتاب الاستذكار كما مر في سالف الأزمان، وكتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم.

ويذكر المسعودي في مقدمته أنه أسرع في تصنيف كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في خلافة المتقي لله أمير المؤمنين وهي سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م. (١)

والمسعودي صاحب فكر خاص دعاه إلي تأليف كتابه فيقول: وكان ما دعاني إلي تأليف كتابي هذا في التاريخ وأخبار العالم وما مضي في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والأمم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء وأن يبقي للعالم ذكراً محموداً، وعلماً منظوماً عتيداً، فإنا وجدنا من مصنفي الكتب في ذلك مجيداً ومقصراً، ومسهباً ومختصراً، ووجدنا الأخبار زائدة مع زيادة الأيام حادثة مع حدوث الأزمان، وربما غاب البارع منها علي الفطن الذكي، ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته، ولكل إقليم عجائب يقتصر علمها علي أهله، وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره علي قطع الأقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخرج كل دقيق من معدنه، واستخراج كل نفيس من مكمنه. (٢)

والمسعودي من المؤرخين الرحالة ذكره ابن النديم في الفهرست فقال: يعرف بأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي من ولد عبد الله بن مسعود، لكنه مع ذلك يعد في البغدادين ومن ثم ذكرناه واحداً من كبار مؤرخي المدرسة

---

(١) المسعودي مروج الذهب ٤ اجزاء تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة ـ القاهرة ١٩٦٤

(٢) المسعودي مروج الذهب جـ ١، ص ١٢

العراقية. وأخبرنا عنه ابن شاكر في فواته أنه كان اخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر. وذكر له أيضا بعض الكتب مثل خزائن الملوك وسير العالمين، وكتاب المقالات في أصول الديانات، وكتاب البيان في أسماء الأئمة، وكتاب الخوارج، ولقد تكلف المسعودي كثيراً من المشاق في تحقيق أخباره وتوثيقها.

وذكر الصفدي في ترجمته: عداده في البغداديين، وأقام بمصر مدة، وكان إخباريا علامة صاحب غرائب وملح ونوادر. وله من التصانيف، كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الاشراف والملوك، وكتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور، وكتاب الرسائل والاستذكار لما مر في سالف الاعصار، وكتاب خزائن الملك وسر العالمين. (١).

الصولي الشطرنجي أبو بكر محمد بن يحيي المتوفي ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦م:

من مؤرخي العراق أبو بكر الصولي الكاتب المعروف بالشطرنجي المتوفي بالبصرة عام ٣٣٥ هـ وقيل سنة ٣٣٦ هـ /٩٤٦ م وهو أبو بكر محمد بن يحى بن عبد الله العباس بن محمد بن صول تكين. (٢)، كان من الفضلاء الأدباء المشاهير، نادم خلفاء بني العباس الراضي والمكتفي والمقتدر. له تصانيف كثيرة يذكر منها ابن خلكان: كتاب الوزراء وكتاب الورقة وكتاب أدب الكاتب، وكتاب أخبار القرامطة، ويذكر أنه كان ولعاً بلعب الشطرنج حتي نسب إليه أنه هو الذي وضعه.

وكان عمه ابراهيم بن العباس الصولي من رجال الدولة العباسية، اتصل بالفضل ابن سهل ذي الرياستين وتقلد ديوان الضياع والنفقات في مدينة سر من رأي.

اتفق المؤرخون علي تفننه في العلوم ويروي عنه أن بيته كان مملوءاً كتباً قد صفها، جلدوها مختلفة، صنفها مما سمع عن شيوخه، وتعرض الصولي في أواخر أيامه إلي ضائقة أخرجته من بغداد إلي البصرة حيث توفي بها.

وكانت كتب الأحكام السلطانية مما أثري مدرسة العراق ، فقد كانت هذه

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ٢١ ص ص ٦،٥

(٢) انظر تفصيلات ذلك في وفيات الأعيان : جـ١ ص ٤٥

الكتب لوناً فريداً من الكتابة الإسلامية تخصص أصحابها في تصنيف الأحكام، وقد ظهر هذا الفن من الكتابة في القرن الخامس الهجري وقد سبقه ولا شك كتب الأموال والخراج.

محمد بن حبيب البصري الماوردى(٣٦٤: ٤٥٠ هـ / ٩٧٤: ١٠٥٧م):

صاحب كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية (١). ويوضح لنا الماوردي أسباب تصنيفيه لهذا الكتاب يقول: (لما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصحفها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتاباً امتثلت فيه أمر من لزمت طاعته ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه وما عليه منها فيوفيه، توخياً للعدل في تنفيذه وقضائه، وتحريا للنصفة في أخذه وعطائه، وأنا أسأل الله تعالي حسن معونته، وأرغب إليه في توفيقه وهدايته، وهو حسبي وكفي).(٢)

والماوردي من وجوه الفقهاء الشافعية أخذ عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، والشيخ ابن حامد الأسفرايني ببغداد وروي عنه الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ووصفه بأنه كان ثقة.

ذكره الصفدي في وفياته ووصفه بأنه صاحب التصانيف المليحة الجيدة، ولي القضاء ببلدان كثيره، وكان عظيم القدر متقدما عند السلطان.

وللماوردي تصانيف عديدة منها تفسير القرآن الكريم، والنكت والعيون، وأدب الدين والدنيا، وقانون الوزارة، وسياسة الملك (٣) وكان شغوفاً ببلده البصرة وزارها عدة مرات حال استقراره ببغداد، ويذكر ابن خلكان أنه كان من أهل البصرة وما كان يؤثر مفارقتها فدخل بغداد كارهاً لها ثم

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية - الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٦.

(٢) الماوردي : نفس المصدر - ص ٣.

(٣) شاكر مصطفي : التاريخ والمؤرخون - جـ٢، ص ١٠١.

طابت له بعد ذلك ونسى البصرة فشق عليه فراقها. (١)

وتضمن كتاب الأحكام السلطانية عشرين باباً، تحدث في الأول عن عقد الإمامة، وفي الثاني عن تقليد الوزارة أما الثالث فخصصه للحديث عن تقليد الإمارة علي البلاد، والباب الرابع في تقليد الإمارة علي الجهاد، أما الخامس ففي الولاية علي حروب المصالح، والسادس في ولاية القضاء، والسابع في ولاية المظالم. أما الباب الثامن ففي ولاية النقابة علي ذوي الأنساب، وجاء الباب التاسع في الولاية علي إمامة الصلوات، والعاشر في الولاية علي الحج، والحادي عشر في ولاية الصدقات، والثاني عشر في قسم الفئ والغنيمة. والثالث عشر في وضع الجزية والخراج، والرابع عشر فيما تختلف أحكامه من البلاد، والخامس عشر في أحياء الموات واستخراج المياه، والسادس عشر في الحمي والإرفاق والباب السابع عشر في أحكام الإقطاع، والثامن عشر في وضع الديوان وذكر أحكامه، أما التاسع عشر ففي أحكام الجرائم، وخصص الباب العشرين والأخير لأحكام الحسبة. (٢)

ويبدو أن للماوردي كتاباً آخر في الحسبة ما زال مخطوطاً وعنوانه الرتبة في طلب الحسبة. (٣)

والماوردي الفقيه الكاتب المحقق قد أضاف بذلك إلي أنواع التأليف والتصنيف لمدرسة التاريخ الإسلامي بصفة عامة والمدرسة العراقيه بصفة خاصة ما يعد إسهاماً متخصصا في هذا المجال.

الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت:

وهو من أهم رجال مدرسة العراق توفي عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م ويصفه ابن

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان . جـ٣، ص ٢٨٣ . وقارن الصفدي. الوافي بالوفيات حـ ٢١٠ ص ٤٥٢

(٢) الماوردي :الاحكام السلطانية . ص ٤ .

(٣) شاكر مصطفي : التاريخ والمؤرخون . جـ٢، ص ١٠٢ .

خلكان بأنه كان من الحفاظ المتقنين المتبحرين ولو لم يكن له سوي التاريخ لكفاه.

قد صنف الخطيب البغدادي ما يقرب من مائة مجلد وقيل ستين وأخذ عنه كثير من العلماء والفقهاء، والخطيب البغدادي كان فقيهاً ثم غلب عليه الحديث والتاريخ.

ترجم للخطيب البغدادي كثير من كتاب التراجم فذكره ابن عساكر في تهذيبه وذكره السبكي في طبقاته كما ذكره ياقوت والصفدي وابن خلدون وغيرهم مما يدل علي فضله وعمله.

وكان الخطيب البغدادي رجل بر فقد أوصي أن يتصدق في مرضه بجميع ماله فوزع علي أرباب الحديث والفقهاء، والفقراء، وأوقف كتبه علي المسلمين.

وكان الخطيب قد طاف البلدان ورحل إلي فارس واستقر بعض الوقت في أصطخر وزار الهند والملتان وذهب إلي بلاد الصين وركب البحر كما زار مدغشقر وعمان وبلاد الشام واستقر زمناً بمصر ونزل الفسطاط عام ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م وتوفي في السنة التالية.

ابـن خلكـان: شمس الدين أحمد بن محمد : ٦٠٨: ٦٨١ هـ / ١٢١١: ١٢٨٢ م

هو أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكى الأربلي الشافعي ولد بإربل وتعلم بها وسمع فيها صحيح البخاري من علمائها أمثال الشيخ محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي، وأجاز له المؤيد الطوسى، وكان من أشهر رجال بغداد الذين تركوا بصماتهم علي الكتابة التاريخية الاسلامية.

زار بلاد الشام ودرس علي القاضي بهاء الدين بن شداد في حلب، ودخل مصر واستقر بها ،تولي نيابة القضاء عن بدر الدين السنجارى كما تولي القضاء في

الشام منفرداً ثم عزل عن القضاء عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م. ودرس بمدارس دمشق وكان كريماً جواداً ممدوحاً فيه ستر وحلم وعفو.(١)

وكتاب ابن خلكان وفيات الأعيان يعد من أهم كتب التراجم التي وصلت إلي أيدينا من القرن السابع الهجري وفيه يقول: هذا مختصر في التاريخ،دعاني إلي جمعه أني كنت مولعاً بالاطلاع علي أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم، ومن جمع منهم من كل عصر،فوقع لى منه شئ حملنى علي الاستزادة وكثرة التتبع فعمدت إلي مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له ما لم أجدة في كتاب، ولم أزل علي ذلك حتي حصل عندي منه مسودات كثيرة في سنين عديدة، وغلق علي خاطرى بعضه فصرت إذا احتجت إلي معاودة شئ منه لا أصل إليه إلا بعد التعب فرأيته علي حروف المعجم أيسر منه علي السنين فعدلت إليه.(٢)

وقد أحصي ابن خلكان عدداً ضخماً من كتب التواريخ في كتابه وفيات الأعيان مما ذكره أو رآه أو اعتمد عليه في كتابه وهي:

١ - تاريخ ابن أبي طى.

٢ - تاريخ ابن الأزرق الفارقي.

٣ - تاريخ ابن الدبيع.

٤ - تاريخ ابن الدبيثي.

٥ - تاريخ ابن الدهان الفرضى.

٦ - تاريخ ابن زبر.

٧ - تاريخ ابن زولاق.

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان .جـ١،ص ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) انظر ترجمته في مقدمته كتاب وفيات الأعيان: تحقيق د. إحسان عباس . ٨ مجلدات، بيروت، دار صادر

٨ - تاريخ ابن الطحان .

٩ - تاريخ ابن العديم.

١٠ - تاريخ العظيمي.

١١ - تاريخ ابن الفراء.

١٢ - تاريخ ابن قانع.

١٣ - تاريخ ابن القراب الهروى.

١٤ - تاريخ ابن القفطى.

١٥ - تاريخ ابن القلانسي.

١٦ - تاريخ ابن النجار.

١٧ - تاريخ ابن الهمدانى.

١٨ - تاريخ ابن يونس.

١٩ - تاريخ أبي شامة.

٢٠ - تاريخ ابن موسي العنزى.

٢١ - التاريخ الأتابكي.

٢٢ - تاريخ أربل لابن المستوفي.

٢٣ - تاريخ أصبهان لابن نعيم.

٢٤ - تاريخ الأطباء لابن جلجل.

٢٥ - تاريخ الأندلس لابن بشكوال.

٢٦ - تاريخ الأندلس لابن الفرضى.

٢٧ - تاريخ بغداد لابن النجار ولعله تاريخ ابن النجار.

٢٨ - تاريخ بغداد للخطيب.

٢٩- تاريخ ثابت بن سنان الصحابي.

٣٠ - تاريخ ثابت بن قرة.

٣١ - تاريخ جرجان للسهمي.

٣٢ - تاريخ حران لأبي يوسف الحراني.
٣٣ - تاريخ خليفة بن خياط .
٣٤ - تاريخ دمشق لابن عساكر.
٣٥ - تاريخ الدولابي.
٣٦ - تاريخ دولة بني أتابك (التاريخ الأتابكي).
٣٧ - تاريخ الدوله السلجوقية.
٣٨- تاريخ الدولة السلجوقية للعماد الكاتب.
٣٩ - تاريخ سبط بن الجوزي.
٤٠ - تاريخ صدقة بن الحسين الحداد.
٤١- التاريخ الصغير لابن الأثير.
٤٢ - التاريخ الصغير للعظيمي الحلبي.
٤٣ - التاريخ الصغير للفرغاني.
٤٤ - تاريخ الطبري.
٤٥- تاريخ العتبى.
٤٦- تاريخ الغرباء لابن يونس.
٤٧ - تاريخ الفرغاني.
٤٨ - تاريخ سيرة عبد المؤمن وحليته.
٤٩ - التاريخ الكبير لابن الأثير.
٥٠ - التاريخ الكبير لابن عساكر.
٥١ - تاريخ المأموني (هارون بن عباس).
٥٢ - تاريخ محمد بن هلال الصابئ.
٥٣ - تاريخ المسبحي.
٥٤ - تاريخ مصر لابن يونس.
٥٥ - تاريخ مصر للمسبحي.
٥٦ - تاريخ مصر المختص بالغرباء لابن يونس.

٥٧ - تاريخ المظفر الأندلسي.

٥٨ - تاريخ ميافارقين.

٥٩- تاريخ بيسابور للحاكم النيسابوري.

٦ - تاريخ هلال الصابى.

٦١ - تاريخ الوزراء لابن القادسي.

٦٢ - تاريخ الوزراء للجهشيارى.

٦٣ - تاريخ ولاة خراسان للسلامي.

٦٤ - تاريخ اليمن لعمارة.

٦٥ - تاريخ ابن الساعي.

٦٦ - تاريخ ابن الشعار.

٦٧ - تاريخ الأشراف الصغير للهيثم بن عدى.

٦٩ - تاريخ أصبهان لابن منده.

٧ - تاريخ أصبهان لأبي نعيم.

٧١ - تاريخ البخاري.

٧٢ - تاريخ البصرة لعمر بن شبه.

٧٣ - تاريخ العجم للهيثم بن عدى.

٧٤ - تاريخ القبائل لابن الأعرابي.

٧٥ - التاريخ الكبير للطحاوي.

ومن كتب الأخبار يعدد ابن خلكان ما يربوا علي خمسة عشر كتاباً من بينها أخبار البصرة وأخبار خراسان وأخبار القيروان وأخبار الوزراء وأخبار وزراء مصر لابن الصيرفي وغيرهم.

هذا بالإضافة إلي مئات الكتب والمصنفات في كافة فنون الكتابة التي عرفها المسلمون مما يؤكد علي مدي التطور الذي وصلت الكتابة التاريخية إليه في القرنين السادس والسابع الهجريين.

أبو الفرج بن الجوزي ٥١٠: ٥٩٧ هـ/ ١١١٦: ١٢٠٠م

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي يمتد نسبه إلي محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ،وهو معروف بالقرشي التميمى البكري البغدادي الفقيه الحنبلى .(١)

كان ابن الجوزي علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، وقد صنف العديد من الكتب والرسائل زادت علي أربعمائه كتاب من أهمها: كتاب المنتظم في التاريخ وهو كتاب كبير كتب فيه تاريخاً لبني العباس حتي نهاية القرن السادس الهجرى أوائل الثالث عشر الميلادي.

وقد تميز ابن الجوزي بوفرة مصنفاته وتعددها وتنوعها فكتب في التاريخ العام والتاريخ المحلي والسير والتراجم ويقول ابن خلكان إنه: صنف في فنون عديدة. ومؤلفات ابن الجوزي منها ما هو مطبوع ومنها ما يزال في عداد المخطوطات.

ومن أهم كتبه زاد المسير في علم التفسير وهو في أربعة أجزاء، وكتاب الفجر النورى، وكتاب المبرد الصلاحي، وكتاب شذور العقود في تاريخ العهود، وكتاب المصباح المضئ في فضائل المستضئ.

وله العديد من كتب الفضائل، منها فضائل بغداد، وفضائل القدس، وفضائل العرب وفضائل السودان والحبش إلي غير من ذلك من المؤلفات النفيسة.

ومن أهم كتبه كتاب الموضوعات في أربعة أجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع، ويخبرنا ابن خلكان أن كتب ابن الجوزي أكثر من أن تعد وأنه كتب بخطه شيئاً كثيراً.

وكان يجلس للوعظ في بغداد، كما كان يحسم الخلافات الفكرية والمذهبية بين أهل السنة والشيعة في بغداد فمن ذلك عندما دب النزاع بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، ووافق الكل بما يجيب

---

(١) ابن خلكان :وفيات الأعيان . جـ ٣، ص ١٤١ .

به الشيخ أبو الفرج بن الجوزي وخلف ابن الجوزي ابنا هو محى الدين أبو محمد عمل محتسباً في بغداد وقام بالتدريس في المدرسة المستنصرية، وصار أستاذ دار الخلافة، وكان يقوم بالسفارة بين الملوك

سبط بن الجوزي شمس الدين يوسف بن قرازغلو ٥٨٦ : ٦٥٤هـ / ١١٨٦ : ١٢٥٦م

هو سبط الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، نشأ ببغداد وتعلم بالموصل، وزار بلاد الشام واستقر بها حينا، كما زار مصر.

وقد تقلد رئاسة الوعظ، ويذكر ابن حكان أن له سيط وسمعةفي مجالس وعظه وقبول عند الملوك وغيرهم. كما يروي ابن خلكان انه رأي تاريخه الكبير بخطه، وهو تاريخ مرآة الزمان الذي ألفه السبط في أربعين مجلدة.

وعن سبط بن الجوزي اخذ كثير من المؤرخين والكتاب الذين جاءوا بعده. ولعل الصفدي الذي نقل عن السبط لا يخفي حسده له فيقول : وأنا ممن حسده علي تسميته مرآة الزمان.

ابن الأثير عز الدين أبو الحسن ٥٥٥ : ٦٣٠ هـ/ ١١٦٠ : ١٢٣٢م.

هو الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير الجزري وينسب إلي جزيرة ابن عمر بالقرب من الموصل، كان أبوه من كبار موظفي دولة الأتابكة حيث تولي رئاسة ديوان المدينة في عهد قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل.

لم يكن ابن الأثير مؤرخا وحسب، إنما كان إماماً ومحدثاً خبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم، ومن أهم مؤلفاته الكامل في التاريخ الذي اشتهر به رغم مؤلفاته العديدة القيمة، ومن بينها أسد الغابة في معرفة الصحابة، وتاريخ الدولة الأتابكية، واللباب في تهذيب الأنساب الذي اختصره عن الأنساب للسمعاني.

وقد التقي ابن الأثير بابن خلكان في حلب الذي ترجم له في كتابه وفيات

الأعيان، ويخبرنا أنه كان كثير الرحلة بين الموصل وبغداد وحلب ودمشق ومصر، وكان يلتقي خلال رحلاته بالعلماء والفقهاء والنحويين والمحدثين إلا أنه في السنوات الأخيرة استقر في الموصل، وكان بيته مجمعاً للفضل والعلم لأهل الموصل ومن وفد عليها من العلماء والطلاب.

وقد أنهى ابن الأثير كتابة الكامل بأحداث عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م وهو من المكتب الموسوعية التي يتضح فيها منهج ابن الأثير في كتابة التاريخ، وهو يعترف باعتمادة علي محمد بن جرير الطبري، لكنه خلص رواياته من سلسلة الإسناد التي ميزت منهج محمد بن جرير.

وابن الأثير لم ينقل الأحداث نقلاً حرفياً إنما اختار منها ما كان يراه معقولاً ومنطقياً ثم يضيف عليه، ويمكن القول أن كتابات ابن الأثير قد قطعت شوطاً بعيداً في تطور الكتابة التاريخية فقد كان يربط بين الأحداث وعللها ومسبباتها، مما يجعلنا نقول أنه كان مقدمة لما ظهر بعد ذلك من تطور في كتابات ابن خلدون الذي أدخل النقد التاريخي وطبقه في كتابة التاريخ.

ولم يقتصر ابن الأثير في مصادره علي الطبرى فهناك من المصادر الإسلامية الأخري الكثير مما يظهر في كتابه مثل البلاذرى والمسعودي والعماد الكاتب الأصفهاني الذي تظهر رواياته في الكامل في التاريخ وعلي كل حال فسيظل كتاب الكامل في التاريخ من أهم الكتب التاريخية سطرها شاهد عيان للأحداث في مرحلة هامة من مراحل تاريخ الأمة الإسلامية فهو يوضح لنا في مقدمة كتابه أنه أراد أن يؤلف كتاباً في التاريخ يكون جامعاً لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما.

وذكر صاحب الكامل أنه اطلع علي ما سبقه من المؤلفات النفيسة مثل التاريخ الكبير الذي صنفه الطبري إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه.(١)

---

(١) ابن الأثير: الكامل . جـ١ ، ص ٣.

كما اطلع أيضاً علي عدد من التواريخ وأخذ منها، وأضافه إلي ما أخذه عن الطبري إلا فيما يتعلق بما جري بين أصحاب رسول الله ﷺ فلم يضف إلي ما نقله عن الطبري شيئاً إلا ما فيه زيادة بيان أو اسم إنسان أو مالا يطعن علي أحد منهم في نقله، ويقول ابن الأثير وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقاً، الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً.(١)

وقد ظل ابن الأثير عاكفاً علي العلم والتصنيف في الموصل إلي أن توفاه الله في عام ٦٣ هـ/ ١٢٣٢م.

وتتوقف مدرسة العراق عندما تسقط بغداد أمام الغزو المغولي وينزح علماؤها إلي العواصم الإسلامية الأخري دمشق ثم القاهرة، ومدرسة العراق علي كل حال يعود لها الفضل في ترسيخ دعائم الكتابة التاريخية فعلي أيدي رجالها اتضحت معالم التاريخ وأرسيت قواعده وحددت أبوابه ومجالاته وعلي غرار ما قدم علماء العراق والمؤرخين سار من تبعهم، وعلي آثارهم العلمية أضاف رجال مدرستي الشام ومصر في القرون الثلاثة أو الأربعة التالية لسقوط بغداد.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ جـ ١، ص ٣.

الفصل الخامس

المدرسة التاريخية فى مصر

النشأة.

القصص والقصاصون.

المؤرخون الأول.

نماذج التأليف التاريخي.

الفصل الخامس

المدرسة التاريخية في مصر

النشأة.

القصص والقصاصون.

المؤرخون الأول.

نماذج التأليف التاريخي.

كتابات لشهود عيان.

ومع نشأة المدرسة التاريخية المصرية وظهور كتابات ابن عبد الحكيم عن تاريخ الفتح الإسلامي لمصر، يشهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عدداً من المؤرخين المسلمين الذين أدلوا بدلوهم في كتابة التاريخ وإن غلب علي كتاباتهم تدوين تاريخ الكنيسة، ومنهم سعيد بن البطريق ٨٧٦: ٩٦٠م، وهو كما وصفة المؤرخون كان عالماً في الطب والتاريخ وإن لم يخل تاريخه من بعض الأخطاء وساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين وهناك ما يشير إلي أن ساويرس لم يكن يعرف اللغتين القبطية أو اليونانية وكان يلجأ إلي من يقوم له بترجمة بعض الوثائق التي استخدمها في كتابه، وهذا يؤكد اضمحلال هاتين اللغتين في تلك الفترة، وأن اللغة العربية كانت هي لغة العلم والكتابة والتأليف في تلك المرحلة.(١)

القصص والقصاصون

بدأت الحركة العلمية في مصر تخطو خطوات حثيثة نحو النضوج والتطور منذ ان أسس مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، ومع هذه الحركة العلمية النشيطة ظهرت بدايات واضحة نحو وضع أسس علم التاريخ الذي بدأ في مصر شأنه شأن البلدان الأخري بالقصص.

ويخبرنا المقريزي نقلا عن القضاعي: روي نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يقص في زمن رسول الله ﷺ ولا في زمن أبي بكر ولا عمر ولا عثمان رضي الله عنهم وإنما كان القصص في زمن معاوية ..(٢)

بينما يقول عمر بن شبة أن القصص أحدث في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن أول القصاصين في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة كان تميم الداري، الذي استأذن عمر رضي الله عنه أن يذكر الناس فأبي عليه حتي كانت آخر

(١) ألفرد بتلر فتح العرب لمصر - ترجمة محمد فريد ابو حديد، ص ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) المقريزي. الخطط ج٢، ص ٢٥٣

ولايته فأذن له، وكان يذكر الناس يوم الجمعة، وفي عهد عثمان رضي الله عنه كان يذكرالناس يومين كل اسبوع. أما في مصر فكان أول من قص بها سليمان بن عتر التجيبي المصري فيقول المقريزي (يقال إن إول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبي في سنة ثمان وثلاثين سته وجمع له القضاء إلي القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد بالقصص وكانت ولايته علي القضاء سبعاً وثلاثين منهما سنتان قبل القضاء).(١)

ويختلف السيوطي مع المقريزي حول هذا الموضوع فيقول: إن سليم بن عتر التجيبي المصري أبو سلمة قاضي مصر وقاضيها وناسكها من الطبقة الأولي من التابعين شهد خطبة الفاروق عمر رضي الله عنه بالجابية، وهو أول من قص بمصر عام ٣٩ هـ/ ٦٥٩م وولاه معاوية القضاء بها أربعين سنة فأقام بها عشرين سنة (٢) كما يخبرنا أيضا أن سليم بن عتر التجيبي كان أول من أسجل بمصر سجلا في المواريث وتوفي بدمياط عام ٧٥هـ / ٦٩٤م ثم تولي القصص والقضاء في مصر من بعده وفي عام ٧٦هـ / ٦٩٥م عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني أو عبد الله المصري قاضي مصر روي عن ابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة، وكان عبد العزيز بن مروان والي مصر يرزقه في السنة ألف دينار فلايدخرها.(٣) ويروي أن المأمون رزق أبي العلاء عشرة دنانير علي القصص. (٣)

وتولي القضاء أيضاً أبو الخير مرثد بن عبد الله الحميري وكان قاضيا بالاسكندريه روي عن ثابت وابن عمر وأبي إمامة وعقبة بن عامر الجهني. قال ابن يونس: كان مفتي أهل مصر في زمانه، وكان عبد العزيز بن بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا، وتوفي عام ٩٠هـ/ ٧٠٨م (٤)

وتولي القضاء أيضاً بمصر عقبة بن مسلم الهمذاني وفي عا م ١١٨ هـ/

---

(١) - المقريزي: الخطط جـ٢، ص ص ٢٥٣: ٢٥٤

(٢) قارن السيوطي: حسن المحاضرة: حـ١، ص٢٩٥

(٣) نفس المصدر: حـ١، ص ٢٩٦

(٤) السيوطي حسن المحاضرة: حـ١، ص ٢٩٧

٧٣٦م تولي ثوبة بن نمير بن حرمل الحضرمي أبو محجن المصري قاضي مصر روي عن عفير عريف بن سويح، وقد جمع له القضاء والقصص بمصر وتوفي عام ١٢هـ/ ٧٣٧م واستمر هذا التقليد معمولاً به في مصر (١) روي الليث بن سعد أن القصص نوعان .قصص العامة وقصص الخاصة، أما قصص العامة فهو الذي يجتمع إليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم،أما قصص الخاصة فهو الذي أمر به معاوية وولي عليه من يقوم بأمره وكان يجلس بعد صلاة الصبح يقص علي الناس يعظهم ويذكرهم، وإلي جانب القصص والقصاصون الذين كانوا يعملون بالمسجد الجامع في الفسطاط كما كانت هناك زوايا يدرس فيها الفقه من أشهرها زاوية الإمام الشافعي الذي قام بالتدريس فيها. (٢)

ففي جامع عمرو بن العاص وكما تحدثنا المصادر كان صحابة رسول الله ﷺ يجلسون في المسجد لدعوة الناس إلي الإسلام مما عرف بمجالس القصاص، يقرأون عليهم القرآن الكريم ويحدثون بأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان أول من جلس في تاج الجوامع ليقص القصص علي المسلمين سليم بن عتر الصحابي وذلك في ولاية عمرو بن العاص، وذلك عملاً بما كان يتم في المسجد النبوي في المدينة

ويبدو أن القصص أصبح من الوظائف التي وضعها المسلمون ليواجهوا بها مجالس الخوارج والشيعة الذين كانوا يجلسون في المساجد محاولين التأثير علي الناس، ومن هنا نجد أن معاوية بن أبي سفيان قد جمع لسليم بن عتر التجيبي القضاء إلي جانب القصص إلي أن عزله عن القضاء، واختص منذ ذلك الوقت بالقصص. (٣)

وانتشرت مجالس القصص في مصر فكانت تعقد في مساجد الفسطاط والاسكندرية ودمياط، وتحدثنا مصادر التاريخ المصري عن عدد من هؤلاء

---

(١) المقريزي الخطط جـ٢. ص٢٥٤

(٢) نفسه

(٣) السيوطي حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٩٥

القصاص الذين اشتهروا في مصر من بينهم عقبة بن مسلم التجيبي، وثوبة بن نمير الحضرمي وخير بن نعيم الحضرمي، ومنصور بن عمار، وأبو رجب العلاء بن عاصم الخولاني والحسن بن الربيع بن سليمان وغيرهم.

كذلك حرص صحابة رسول الله ﷺ ممن حضروا إلي مصر وشهدوا الفتح علي رواية الأحاديث النبوية في مسجد عمرو بن العاص.(١) وعند الحديث عن نشأة المدرسة التاريخية الإسلامية في مصر، لابد وأن نؤكد علي حقيقتين هامتين الأولي: أن الفتح الإسلامي لمصر قد غير وجه التاريخ المصري، ذلك أن مصر قد عرفت بأن حضارتها تمصر كل داخل إليها، وظلت تحتفظ بأصول هذة الحضارة ومقوماتها فلم يتخل المصريون عنها علي مدي تاريخهم الطويل، أما الثانية: فقد صاحب الفتح الإسلامي لمصر اعتناق أهلها، للاسلام ورحبت مصر بالفاتحين، وتعلم المصريون لغة القرآن الكريم واصبحت لغة الدولة والشعب علي السواء، وكانت هذه هي المرة الأولي في تاريخ مصر أن يغير المصريون لغتهم، وأن يدخلوا في دين الله أفواجاً ليكونوا من أشد الكتائب دفاعاً عن هذا الدين، ولتشهد مصر بذلك تغييراجذريا اضاف إلي ملامح حضارتها لتنصهر معها وتظهر حضارة جديدة هي الحضارة الإسلامية في مصر الاسلامية.

ومع الفتح الإسلامي لمصر أسست الفسطاط، ومن جامعها تاج الجوامع انبعثت الأفكار التي حملها المسلمون معهم، والتقت مع التراث المصبري الذي التحمت فيه المؤثرات القديمة المصرية واليونانية والرومانية واليهودية والمسيحية لتذوب كلها أمام الفكر الجديد الذي حمله المسلمون معهم إلي عاصمة مصر.

وفي الفسطاط ظهرت بوادر الكتابة التاريخية علي أيدي رجال الفتح ومن بينهم بعض صحابة رسول لله ﷺ وبعض التابعين الذين أسهموا بشكل ملموس في نشأة هذة المدرسة ووضع الأسس التي قامت عليها.

---

(١) المقريزي: الخطط- حـ٢، ص٢٥٥.

(٢) در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ،السيوطي .حسن المحاضرة :حـ١،ص٩٩ وما بعدها

فقد حضر مع جيش الفتح الإسلامي لمصر الذي بلغ تعداده كما تشير المصادر التاريخية خمسة عشرة ألف مقاتل،عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ من قريش ومن غيرهم منهم الزبير بن العوام وعبد الله بن عمرو وخارجة بن حذافه العدوي وعبد الله بن سعد بن ابي السرح وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن العاص السهمي ونافع بن قيس الفهري والمقداد بن الأسود أبو عبد الرحمن بن يزيد أنيس الفهري وأبو رافع مولي رسول الله ﷺ وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة، وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد الأنصاري وأبوالدرداء عويمر بن عامر، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري وغيرهم.(١)

وتجدر الإشارة إلي أن صحابة رسول الله ﷺ وسلم الذين دخلوا مصر مع الفتح الإسلامي بلغ عددهم مائة ونيفا وأربعين صحابياً، ويخبرنا السيوطي أن الإمام محمد بن الربيع الجيزي قد ألف كتابا في مجلد واحد استوعب فيه أسماء صحابة رسول الله ﷺ وأكمل مافات علي كل من ابن عبد الحكم في تاريخة وتاريخ ابن يونس وطبقات ابن سعد وتجريد الذهبي وقد بلغوا عنده ما يزيد علي ثلاثمائة صحابي وهذا الكتاب قد لخصه السيوطي وأضاف عليه ورتبه حسب حروف المعجم وأسماه در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة.(٢)

ومن أشهر الذين جلسوا للحديث في الفسطاط عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر واختط فيها لنفسه داراً وهي التي دفن فيها بعد وفاته، وعرف عبد الله بن عمرو بن العاص بحفظه لاحاديث رسول الله ﷺ، خاصة وأنه دون من الأحاديث النبوية الشريفة ألف حديث اشتملتها صحيفته التي نقلها معه إلي مصر،ويخبرنا عبد الله بن عمرو يقول: (استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعت منه فأذن لي فكتبته) ويذكر ابن سعد بروايات إن عبد الله بن عمرو كان يسمي صحيفته تلك الصادقة. (١)

---

(١) المقريزي: الخطط: حـ١،ص ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة: حـ١٤،ص٩٩

وقد روي عمن رأي هذه الصحيفة عنده وقد سأله عنها فقال هذه الصادقه فيها ما سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم،ليس بيني وبينه فيها أحد (٢)

حضر عبد الله بن عمرو بن العاص مع أبيه إلي مصر بعدما ندم علي اشتراكه فيصفين، وروي عنه أنه قال مالي وصفين، ومالي ولقتال المسلمين وبعدما استقر فيها وذاع صيته جلس للتدريس في جامع عمرو بن العاص،وتحلق حوله التلاميذ واستمع له المشاهير من التابعين، ويمكن القول أن حلقة عبد الله بن عمرو كانت الأولي من نوعها في مسجد والده، وكان من بين الرجال الذين جلسوا إليه سويد قيس التجيبي وعبد الله سنين اليحصبي، ويزيد بن رباح وأبي عبيد بن عقبة بن نافع.

ويعد عابس بن سعيد المرادي من أشهر تلاميذه ويذكر لنا الكندي في كتابه الولاة والقضاة أن شهرة عابس قد ذاعت، وعرف عنه عدله وورعه فولاه عبد العزيز بن مروان القضاء والشرطة في الفسطاط. (٣)

ومن أشهر الرواة الذين رووا بالمدينة المنورة والفسطاط ابو بصرة الغفاري الذي عنه نقل ابن عبد الحكم عدداً من الأحاديث وهو من أصحاب النبي ﷺ نزل بمصر ودفن بها،ولا يمكن أن نغفل في هذا المقام الإشارة إلي أبي أيوب الأنصاري الذي حدث بالفسطاط وعنه أخذ الحديث ويخبرنا ابن سعد أن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى الذي صحب رسول الله ﷺ نزل بمصر وروي عنه المصريون، كذلك كان من بين من نزل مصر وروي بها أحاديث رسول الله ﷺ مسلمة بن مخلد بن الصامت.

ومن بين الرواة عبد الله بن عقبة بن لهيعة الذي حدث بمصر ايضاً لكنه لم يصل إلي منزلة الليث بن سعد، فيروي عنه ابن سعد لنه كان ضعيفاً وعنده حديث

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبري حـ٧، ص ٤٩٤: ٤٩٥

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبري .حـ٧ ص٤٩٤

(٣) - الكندي: الولاة والقضاة. ص ٣١١

كثير، وكان يقرأ عليه في مصر فلم يكن يصرح برأيه ويسكت عما ليس من حديثه وفي حلقته بالمسجد العتيق ظل يحدث ويدرس الحديث حتي وفاته عام١٧٤هـ/ ٧٩م في خلافة هارون الرشيد.(١)

وكانت الخطوة الإيجابية التي أسرعت بظهور المدرسة التاريخية في مصر، قيام المحدثين المسلمين بتدوين أحاديث رسول الله ﷺ حيث شجع عليه الخليفة الأموي عمربن عبد العزيز، وذلك لشدة حرصه علي الحفاظ علي الحديث.

وابن لهيعة هو أبو عبد الرحمن بن لهيعة بن عقبة الغافقي، وقيل الحضرمي، وهو من مشاهير قضاة مصر (١٥٥ ١٧٤هـ / ٧٧١ : ٨٧م)و هو من العلماء المصريين الذين ولدوا بالفسطاط وعاشوا بها، وكان شغوفاً بجمع الحديث فقد اشتهر بأنه من الكاتبين للحديث والجماعين للعلم والرحالين فيه وقد اشتهر بذلك حتي عرفه الناس بأبي خريطة حيث كان يعلق خريطةفي عنقه.(٢)

وقد اختلف في صدق رواياته فقد ووصف بالضعف وسوء المذهب ورمي بالتشيع، لكن الذهبي في ترجمته له يورد روايات لرجال وصفوه بالصدق والعلم، فقد روي عن زيد بن الحباب الذي روي عن سفيان قال «كان عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع».(٣)

اما الليث بن سعد فقد حدث بمصر، وقد عرف بين المحدثين بالثقة، وكان كثير الحديث صحيحه يروي ابن سعد: أنه استقل بالفتوي بمصر في زمانه، وكانت له مجالسه في جامع عمرو حيث بلغت أربعة، خصص منها مجلس للحديث.

ولد الليث بن سعد بقرية قلقشنده عام٩٤هـ/ ٧١٢م وسمع علماء المصريين والحجازيين، وروي عن عطاء بن رباح وابن أبي مليكة وشهاب الزهري، وحدث

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبري حـ٧ ص٥١٦

(٢) سعد زغلول عبد الحميد فتوح المغرب الأندلس رواية ابن عبد الحكم دراسات عن ابن عبد الحكم ص ص ١٧١، ١٧٢

(٣) المقريزي الخطط حـ٢، ص٢٥٥

عن هشيم بن بشير وعبد الله بن المبارك وعبد الوهاب بن وهب وعبد الله بن عبد الحكم ويحيي بن بكير.

زار العراق وتعلم علي شيوخها، ورحل إلي الحجاز لأداء فريضة الحج وهناك التقي بابن شهاب الزهري، وعنه قال ابن بكير: ما رايت أحداً أكمل من الليث بن سعد، كان فقيها عربي اللسان يحسن القرآن والنحو. (١)

وكان الليث بن سعد يعقد في كل يوم أربعة مجالس في الفسطاط، أما الأول فيجلس ليأتيه السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السطان فإن انكر من القاضي أو من السلطان أمرا كتب إلي أمير المؤمنين فيأتيه العزل، وكان يجلس لأصحاب الحديث، ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده. وعنه قال ابن وهب: لولا مالك والليث بن سعد لضل الناس وذهب العلماء والمحدثين بما يحفظون من أحاديث رسول الله. (٢)

وعندما حل الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن أدريس بالفسطاط ازدهرت حركة تدوين الحديث والتحري عن صحته وإسناده، فقد انتهز أهل الحديث في مصر وجود الشافعي بينهم فكانوا يتوافدون عليه في مسجد عمرو بن العاص حيث الشافعي رضي الله عنه يقضي الساعات الطوال من بعد صلاة الفجر حتي صلاة الظهر في المسجد محدثا وفقيهاً ونحويا يفيد الناس بعلمه الذي أفاءه الله عليه.

جاء الإمام الشافعي إلي مصر بعد ترحاله الطويل طلباً للعلم فقد طوف ببلاد فارس وما حولها من بلاد الأعاجم وزار بغداد ورحل إلي بلاد ربيعة ومضر، ووصل إلي شمال العراق، وزار جنوب بلاد الروم ثم عاد إلي بلاد الشام حيث قضي وقتا في حران، ومنها ذهب إلي فلسطين ثم اتجه إلي المدينة المنورة، حيث

---

(٢)ابن سعد: الطبقات الكبري حـ٧، ص٥١٧

(٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان. حـ٤، ص ص ١٢٩- ١٣٢

التقي بالإمام مالك وذلك في عام١٧٤هـ/ ٧٩٠م. وفي المدينة وصلته الأخبار بوفاة الليث بن سعد في ١٧٥هـ/ ٧٩١م فحزن عليه الشافعي حزنا شديداً، لكنه ظل بالمدينة المنورة في صحبة الإمام مالك يتعلم علي يديه وينهل من علمه وفضله حتي توفي الإمام مالك ودفن بالبقيع عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م.

ومن تلامذه الليث بن سعد المشهورين الفقيه المحدث المؤرخ سعيد بن عفير ولد بمصر عام ١٤٦هـ/ ٧٦٣م كما شب وتلقي علومه فيها ثم رحل إلي المدينة المنورة وهناك تعم علي يدي الإمام مالك، وزار بغداد وعاد الي مصر حيث التقي بابن عبد الحكم، ومما يؤحكد ذلك أن سعيد بن عفير كان من الرواة الذين ذكرهم ابن عبد الحكم في تاريخه.

وكان العلماء يتلقون عنه العلم في المسجد وعلي باب داره وكان من أهم تلامذته الربيع الجيزي، واسماعيل المزني، وحرملة التجيبي ومحمد بن عبد الله بن الحكم ، وكان من بين تلامذته نساء كثيرات منهم السيدة أخت المزني الذي أخذ عنها العلماء وأدرج أسمها في جدول كبار فقهاء الشافعية.

وفي عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م دخل الشافعي مصر وبدأ فيها حياته العلمية وأخذ يلقي دروسه في جامع عمرو. (١)

وظل الشافعي رضي الله يثري الحركة العلمية بفسطاط مصر في الحديث والفقه والفتيا والعلوم واللغة والكلام، والتدريس والتأليف والتصنيف حتي توفاه الله في رجب عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩م.

وفي الفسطاط التقي بالإمام الشافعي ابن هشام صاحب سيرة رسول الله ﷺ وهذا يؤكد لنا أن الحركة العلمية في مصر في ذلك الوقت كانت تتركز حول أقطاب كبار كان لهم باع كبير في تعميق جذورها، ومن هذا نخلص إلي أن هذه المقدمات كلها قد نتج عنها قيام المدرسة التاريخية المصرية التي انسلخت ولا شك من ذلك الصرح العظيم الذي شيده هؤلاء الرجال بما أسسوه من علوم الإسلام

---

(١) الشافعي. الأم. جـ١، ص ص ١١، ١٣.

والعربية.

وكان جامع احمد بن طولون مركزاً للعلم والتدريس ففيه أملي الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي، وذلك في حضور احمد بن طولون الذي دفع له كيساً من النقود فيه الف دينار ويبدو أن أحمد بن طولون كان يحضر هذا الاملاء واستمر التدريس في الجامع الطولوني حتي العصر المملوكي فيخبرنا السيوطي أن الأمير علم الدين سنجر رتب دروس التفسير والحديث والفقه علي المذاهب الأربعة هذا بالإضافة إلي القراءات والطب والميقات.(١)

كما أوقف علي الجامع أوقافاً وتولي نظر المسجد في عصر السلطان لاجين قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وفي أيام الناصر تولي نظره أميرمجلس.(٢)

ولدت إذن المدرسة التاريخية المصرية مع منتصف القرن الثاني الهجري لتصبح في القرن الثالث الهجري واضحة المعالم، ظاهرة الأهداف، تخدم علماً جديداً يقوم علي تأصيله وتعميق جذوره المؤرخون المحدثون أولاً ثم المؤرخون الذين تربوا في مدرسه الحديث وتعلموا فيها، لكنهم استطاعوا أن يجعلوا التاريخ تخصصاً وعلماً له سماته الخاصة وأهدافه الواضحة وأسلوبه المتميز، ومنهجه المستقل، ومجالاته المحددة فكتبوا السير والمغازي والفتوح، وألفوا في الرجال والطبقات ثم انتقلوا من ذلك إلي التاريخ الموسوعي العام، والتاريخ المحلي الخاص كما كتبوا في الرحلات والمسالك والممالك والبلدان، وصنفوا في التراجم والوفيات وتخصصوا في النظم الإسلامية فظهر أولئك الرجال الذين كتبوا في الخراج والأموال، وقوانين الدواوين، والفرق الإسلامية، والعملة والصكة والخطط والمدن، والتراجم الخاصة بالملوك والخلفاء والأمراء والسلاطين وذلك علي مراحل متتالية شهد فيها علم التاريخ تطورات جوهرية ظهرت في المؤلفات التي اختصت به كعلم قائم بذاته ولعل من أشهر تلك المؤلفات ما دونه المؤرخ المصري الشمس السخاوي.

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة. جـ٢ ص١٨٣

(٢) انظر السيوطي: حسن المحاضرة جـ٢، ص ص ١٨٢-١٨٣

المؤرخون الأول:

ومع النشاط العلمي والفكري الذي شهدته الفسطاط بدأت التدوين التاريخي الذي يعود إلي منتصف القرن الأول الهجري فقد ظهر من الرجال من دون تاريخ الفتح الإسلامي لمصر ومن هؤلاء الرواة تميم بن أوس الداري، وكان يقص القصص ويروي التاريخ في مسجد عمرو لكنة توفي ٤٠هـ/ ٦٦١م، ومن بعده جاء تبيع بن عامر الحميري الذي أسلم بعد الفتح وعمل بالفسطاط في تدوين الصحائف والأخبار وعنه أخذ أهل مصر وتوفي عام١٠١ هـ/ ٧١٩م. وتبع هؤلاء عروة بن الزبير الذي جلس في مسجد عمرو راوياً للمغازي والسير.

وبنهاية القرن الأول الهجري ظهرت التآليف والمدونات في أخبار الفتح الإسلامي لمصر وكان ذلك علي يدي أبي قبيل بن هانيء المعافري الذي يعد من أقدم الرواة في مصر وتوفي عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م، وكان ليزيد بن حبيب اهتمام ملحوظ بالرواية التاريخية، وما ترك من أعمال كانت مصادر أولية لكل من ابن عبد الحكم والكندي في مؤلفاتهما

وممن تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد عبد الله بن وهب الذي يمكن أن نعده من أهم الرجال الذين عنوا بالتاريخ وتدوينه والتأليف فيه، وقد ذكر لنا المقريزي أنه صنف كتاباً في التاريخ أسماه تاريخ مصر.

وقد ذكر المقريزي حسين بن شفى في حديثه عما إذا كانت مصر قد فتحت صلحاً أم أنها فتحت عنوة مما يدلل علي أن كتابة التاريخ قد بدأت في مصرمنذ القرن الأول.

ويمكن القول أن الإهتمام بالتدوين التاريخي قد سار جنباً إلي جنب مع الفروع الأخري للعلوم الإسلامية التي لاقت اهتماما كبيراً من العلماء والفقهاء والمحدثين المسلمين.

وكان لذلك التجمع الكبير للعلماء المحدثين والفقهاء والنسابة والإخباريين

واللغويين الأثر الأكبر في الاهتمام بالرواية التاريخية التي شهدتها الفسطاط سواء في مسجدها الجامع أو في مجالس العلماء في الاسكندرية التي عاشت هي الأخري نهضة علمية ملموسة قامت علي أيدي فقهاء المالكية بها.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه المقدمات قد أدت إلي مولد المدرسة التاريخية المصرية في كنف المدرسة الفقهية بها، ومولد علم التاريخ كعلم له أصوله وقواعده المستمدة من الأصول والقواعد والأسس التي وضعها المحدثون المسلمون لعلم الحديث، وبصفة خاصة الاسناد في الرواية التاريخية التي لازمت المؤرخين في كتاباتهم لمدة طويلة واتضحت بشكل كبير في كتابات الطبري.

وكان لعبد الله بن عبد الحكم والد المؤرخ الشهير عبد الرحمن بن عبد الحكم دور مشهور في هذا المجال وكانت تحت يديه المصادر الأولية التي كتبها سابقوه فنري المقريزي في خططه يروي عن أبن عبد الحكم الذي يروي بدوره عن الليث بن سعد، وعن يزيد بن حبيب كما يروي عن ابن لهيعة. ومع القرن الثالث الهجرى تبدأ المدرسة التاريخية المصرية مسيرتها الحقيقية التي جاءت علي يدي المحدث المؤرخ الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم ١٨٧ : ٢٥٧هـ/ ٨٠٣: ٨٧١م.

لقد كان للبيئة التي نشأ فيها عبد الرحمن بن عبد الحكم أثرها في اهتمامه بالتاريخ بل وقيامه بالخطوة الإيجابية الأولي في تدوين تاريخ مصر، ولقد أسس بكتابه فتوح مصر وأخبارها مدرسة مصر للتاريخ التي أكملها المؤرخون المصريون من بعده، وأصبح كتابه أقدم كتاب في تاريخ مصر الإسلامية. (١)

كما أصبح كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكيم المصدر الأساسي لكل من كتب من بعده من اللاحقين عن تاريخ مصر، فقد اعتمد عليه الكندي في الولاة والقضاة والحسن بن زولاق صاحب كتاب تاريخ مصر، وعز الدين المسبحي المؤرخ مؤلف كتاب تاريخ مصر والقضاعي المؤرخ والمقريزي وغيرهم.

---

(١) سيدة كاشف. المنهج التاريخي لابن عبد الحكم ص ٣٠

وكان لابن عبد الحكيم منهج سار عليه في تدوين التاريخ فعنه يقول ابن خلكان: (إنه عالم بالأحاديث والتواريخ وألف كتاباً في الفتوح وغيرها) [1] وابن عبدالحكم هو المحدث المؤرخ الذي طبق اصول تدوين الحديث في كتابة التاريخ وكان عبد الرحمن بن عبد الحكم محدثاً وفقيهاً تفقه في علم الحديث استطاع أن يوظف علمه ومهارته في الحديث لخدمة التاريخ واستطاع عبد الرحمن أن يستخدم الرواية الشفويه في تدوين تاريخ مصر، فقد روي عن والده، وعن الليث ابن سعد، وعبد الله بن صالح، وابن لهيعة ويزيد بن حبيب وغيرهم من محدثى القرن الثاني الهجري.

كذلك اعتمد الرواية المدونه وهذه قليلة وإن كانت مثبته وموجودة في كتابه فقد اعتمد علي بعض الرسائل المتبادلة بين خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين والي مصر عمرو بن العاص بشأن أمور إدارية في مصر وخاصة ما يتعلق بالخراج، هذا بالإضافة إلي ماكتبه سعيد بن عفير المصري١٥٤ :٢٢٣هـ/ ٧٦٣ : ٨٤١م، وابن بكير المخزومي ١٥٤ :٢٢٣هـ/ ٧٧٠ :٨٤٥م .

تخصص ابن عبد الحكم في كتابه تاريخ خاص لمصر وهو بذلك يبتدأ نموذجاً جديداً من نماذج التأليف التاريخي وهو التاريخ المحلي، وإن كان هناك ما يفيد من المصادر الإسلامية أنه كتب في هذا الصنف من التاريخ وفي غيره مما كان سائدا في ذلك الوقت وهو التاريخ العام.

نماذج التأليف التاريخي:

ينسب إلي ابن عبد الحكم أنه أول من أدخل في منهج التدوين التاريخي العناية بالخطط، وعلي هذا النحو سار مؤرخو مصر الإسلامية الذين ركزوا أعمالهم علي الخطط ومنهم الحسن بن زولاق والمسبحي والقضاعي والمقريزي وغيرهم [2].

ويعرف كتاب ابن عبد الحكم بكتاب فتوح مصر واخبارها، وايضاً فتوح مصر وأفريقية والأندلس كما ورد في بعض المخطوطات وقد طبع الكتاب لأول مرة

---

(١)- ابن خلكان وفيات الأعيان جـ٢ ص ٢٤.

(٢) - د. عبد الرحمن زكي خطط الفسطاط فيص ص ٤٩ - ٥

في ليون عام ١٩٢٠ بعناية الأستاذ تشارلز توري الذي تحدث في مقدمته عن الكتاب عن حياة أسرة ابن عبد الحكم ومكانة أبيه في مصر كشيخ للمالكية، ودور إخوانه، وما آلت إليه ظروفهم والمحنة التي تعرضوا لها علي أيدي الخليفة العباسي الذي أرسل من يقوم بالتفتيش علي بني عبد الحكم الذين كانوا قد تولوا علي الاستيفاء، لكن رسل الخليفة لم يجدوا شيئاً بل وجدوا الخزانة خاوية ومن ثم أوقعوا بهم أشد أنواع العذاب ، ومات إخوان ابن عبد الحكم من أثر ذلك التعذيب، ولما ثبتت براءة أسرة ابن عبد الحكم علي أيدي القضاء أطلق سراح الأخوين الآخرين لكن سمعة أسرة ابن عبد الحكم كانت قد خدشت وتأثرت بشكل كبير. (١)

ويقول محقق الكتاب إنه يبدو أن ابن عبد الحكم كان قد أملي كتابه علي بعض تلاميذه الذين كانوا يجتمعون معه لسماع ما يمليه، ويبدو أيضاًأن أجزاء كبيرة مما كان يمليه ابن عبد الحكم كان يدون في نفس الوقت مما تؤكده المخطوطات الموجودة في لندن وباريس وليون. (٢)

وقد استطاع ابن عبد الحكم أن يواصل الكتابة بالرواية المسندة مشيراً إلي بعض مصادرة مثل ابن بكير وابن لهيعة. (٣)

وعلي الرغم من أهمية كتاب ابن عبد الحكم فإننا لا نسمع عنه لفترة طويلة من الزمن حتي ظهر في كتابات الكندي، فهو أول من أفاد من كتاب ابن عبد الحكم بل وكتابات أسرته أيضاً. لكننا لا نستطيع أن نغفل الدور الذي قام به ابن قديد الأزدي الذي روي عن ابن عبد الحكم، والذي يبدو أنه استطاع الحصول علي نسخة من المؤلف الذي تركه ابن عبد الحكم وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري، وبهذا الطريق وصل إلينا كتاب ابن عبد الحكم الذي تناقلته تلامذة ابن

---

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها- المقدمة ص٣

(٣) ابن الحكم: فتوح مصر واخبارها المقدمة ص٢

(٤) انظر الكندي: الولاة والقضاء

قديد وهم أبو بكر بن الفرج القماح، وأبو الحسن علي ابن منير بن احمد الخلال، ثم أبو صادق مرشد بن يحيي المديني ثم جاء آخر الرواة الذين نقلوا كتاب ابن عبد الحكم وهو الطاهر السلفي الأصفهاني المتوفي عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م الذي يقول في أخبر الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبو طاهر احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي الأصبهاني قراءة عليه وأنا اسمع بثغر الأسكندرية حماه الله قال: أخبرنا الشيخ أبو صادق مرشد بن يحيي بن القاسم علي المديني بقراءتي عليه قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن منير الخلال في كتابه سنة خمس وثلاثين وأربعمائة اخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج القماح أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبدالحكم. (١) وهذا يوضح لنا كيف عاش الكتاب وكيف كانت رحلة مؤلف ابن عبد الحكم حتي وصل إلينا ،ومن حسن الحظ أنه لم يفقد خلال تلك الرحلة، فقد استطاع رجال الحديث الثقاة أن يحفظوا هذا العمل، وهذا يجعل المؤرخ يثق في صحة الكتاب الذي تلقاه الطاهر السلفي من شيوخه عن ابن قد يد الذي لم يلتق به ولم يدرس عليه فقد كان طفلاً عندما توفي عبد الرحمن بن عبد الحكم في عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م هذا من جهة ومن جهة أخري فيمكن القول أن ثمة نسخة أخري من كتاب ابن عبد الحكم قد وصلت مباشرة عن ابن قديد إلي الكندي الذي أشار إليها في كتاب الولاة والقضاة. (٢)

يقول ابن عبد الحكم: حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم حدثني رشدين بن سعد وحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا عبد الله بن وهب عن حرملة بن عمران التجيبي عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال: سمعت أبا ذر يقول: قال رسول الله ﷺ: إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحم.

وهذا يجعلنا نعتقد أن مؤرخنا عبد الرحمن بن عبد الحكم اعتمد علي ما

---

(١) ابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها ص٣

(٢) نظر الكندي الولاة والقضاة ص٤٦٥

ترك أبوه عبد الله من روايات ربما تكون قد دونت واستفاد منها عبد الرحمن بن عبد الحكم عند كتابته لتاريخه فتوح مصر وأخبارها.

وعلي هذا فاننا نعتبر عبد الرحمن بن عبد الحكم هو المؤسس الأول للكتابة التاريخية في مصر، وكتابه هو المصدر الأول الذي استقي منه المؤرخون المصريون الذين جاءوا من بعده مادتهم عن تاريخ مصر. فله اذن الفضل في تأسيس المدرسه التاريخية المصرية وفي وضع اللبنة الأولي في صرح التدوين التاريخي في مصر.

ومع القرن الثالث الهجري بدأت المدرسة التاريخية المصرية تشهد خطوات حثيثة نحو التقدم الملموس في الكتابة التاريخة فقد ظهر الكندي تلميذ ابن قديد، والذي قدم لنا كتابه الولاة والقضاة، وهو الحلقة التالية مباشرة لما قدمه عبد الرحمن بن عبد الحكم للمدرسة المصرية.

والكندي هو أبو عمر التجيبي الكندي ولد في فسطاط مصر عام ٢٨١هـ / ٨٩٧م وكان من العلماء والمحدثين المشهود لهم بالمكانة الخاصة، وكان من أعلم الناس بأحوال مصر وأهلها، وقد درس الحديث والسنة والفقه علي أئمة فحول، منهم أبي عبد الرحمن النسائي، ومن ثم فقد أعد الكندي ليستكمل الكتابة التاريخية في المجال الإداري ذلك أنه تناول تاريخ الولاة في مصر وتاريخ القضاة فيها وهو لا يقتصر علي ذلك بل يتناول من ولي الصلاة ومن ولي الحرب والشرطة ومن جمع له الحرب والصلاة كما يذكر في مقدمة كتابه

والكندي في واقع الأمر قد ألف كتابين الأول تسمية ولاة مصر وفيه ينتهي حتي بداية عصر الأخشيديين أما الثاني فهو تسمية قضاة مصر وفيه تناول قضاة مصر منذ أن فتحها المسلمون حتي منتصف القرن الثالث الهجري. لقد استطاع الكندي أن يطور ويضيف إلي التصنيف التاريخي، وأن يستخدم ما قدمه عبد الرحمن بن عبد الحكم بشكل جعله يستخرج نموذجاً جديداً من التأليف التاريخي وخاصة الخطط، وعنه يقول تقي الدين المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه أبو

عمر محمد بن يوسف الكندي.[1] كذلك يخبرنا السيوطي أن للكندي كتابا اسمه الخندق وذلك في ترجمتة لأحد الصحابة الذي شهدوا فتح مصر.[2] ويمكن القول أن الكندي قد أفاد ممن قبله وخاصة ابن عبد الحكم مؤسس هذا العلم الجديد أو هذا النوع الجديد من التصنيف.

وبهذا يكون القرن الثالث الهجري قد مهد الطريق لما شهده القرن الرابع من تطور في فن كتابة التاريخ وتحقيق استقلاليتة كعلم من العلوم الإسلامية الذي اضطلعت مصر فيه بعبء كبير لبنائه ووضع أسسه وتطوير مناهجه وتوسيع مجالاته حتي إذا أشرف القرن الرابع الهجري علي الانتصاف طالعنا مؤرخ مصري أمسك بزمام الموضوع ليسهم يمثل إضافة حقيقية لعلم التاريخ.

لقد ظهر ابن زولاق في مصر بعد أستاذه الكندي في العصر الي شهد نهاية حكم الطولونين وبداية حكم الأخشيديين كما عاصر تحول مصر إلي سلطنة الفاطميين، ولقد تأثر ابن زولاق بهذه التغيرات التاريخية الخطيرة في تاريخ مصر.

وقد وصفه ابن خلكان بأنه كان فاضلاً في التاريخ، وله فيه مصنف جيد وله أيضا كتاب في خطط مصر استقصى فيه.

وكتب ابن زولاق في أخبار القضاة وهو كتاب الذي ذيل به علي كتاب ابن عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي الذى ألفه في أخبار قضاة مصر وانتهي فيه إلي عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م، فأكمله ابن زولاق، وانتهي فيه إلي عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م ومن مؤلفات الحسن بن زولاق الهامة أيضا سيرة الإخشيد التي احتفظ ابن سعيد بقطعة وافرة منها في كتابه المغرب، وله أيضاً سيرة أحمد ابن طولون، وسيرة خمارويه.

---

(١) المقريزي . الخطط، ج١، ص٤

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة: ج١، ص٢٠١

وقد ضاعت معظم مؤلفات ابن زولاق إلاما حفظ منها خلال استخدام المؤرخين المسلمين لها ولقد عاشت كتب ابن زولاق حتي القرن التاسع الهجري حيث نجد أن السيوطي وابن حجر العسقلاني والسيوطي وابن تغري بردي والمقريزي يشيرون إلي ماكتب إشارات متفرقة عن كتب مختلفة. ونستطيع القول بأن الحسن بن زولاق قد وضع الأسس لأنماط جديدة من التاريخ تحسب للمدرسة المصرية فقد كتب في التاريخ الإداري وكتب في تراجم الحكام والخلفاء، أي أننا أمام مؤرخ للدولة كتب تاريخا اداريا ثم أفاض في الخطط وهو بذلك يضيف إلي من سبقه في هذا المضمار إضافات أكثر دقة وأكثر تنسيقا .(١)

كما كتب ابن زولاق أيضا تاريخاً للمعز لدين الله الفاطمي، فهو قد شهد دخول الفاطميين إلي مصر، وانتهاء حكم بني الأخشيد الذين عرفهم وخدم في دولتهم وألف لهم.

لقد اتصل ابن زولاق بالفاطميين أيضا، وكان من شهود العيان لعصر المعز وعصر ابنه العزيز، واتصل بالقائد جوهر الصقلي، وعلي الرغم من أن ما كتبه ابن زولاق عن سيرة المعز لدين الله الفاطمي لم يصل إلينا بشكله الأصلي إلا إننا نلمسه بوضوح في كتابات المقريزي وخاصة في كتاب اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الخلفاء.

ويتضح من استخدام المقريزي لما ألفه ابن زولاق عن الفاطميين أنه تطرق إلي النظم التي أدخلها الفاطميون إلي مصر، والأحوال العامة عند الفاطميين، وطرائق الحكم والإدارة والاحتفالات الرسمية والدينية، وأساليب الانفاق ومظاهر البذخ، ومواكب الشيعة وطرقهم في استقبال الأعياد إلي غير ذلك من الظواهر والأحداث التي شهدها ابن زولاق ودونها في كتابه ثم نقلها عنه المقريزي بشكل تفصيلي دقيق.

---

(١) انظر : ترجمة ابن زولاق في .وفيات الأعيان حـ٢، ص ص ٩١ : ٩٢

وتمضي المدرسة التاريخية المصرية في تطورها لتواكب زميلاتها المدارس الاسلامية الأخري في بغداد ودمشق وكذلك في أقاليم الدولة الاسلامية فنحن نعلم أن القرن الرابع الهجري شهد ميلاد المؤرخين العظام الذين أثروا المدارس التاريخية الاسلامية بوجه عام، ومن بينهم المؤرخين المصريين الذين ما غاب عنهم ما كان يجري من تطورات هائلة علي الصعيدين العلمي والفكري للمسلمين ومن ثم كان لهم الدور الكبير الذي أسهموا به تدوين تاريخ مصر .

الفصل السادس

المدرسة التاريخية فى مصر
بين
القرنين الرابع والثامن الهجريين

التاريخ المحلى

كتابة الخطط .

ظهور الموسوعات.

الفصل السادس

المدرسة التاريخية في مصر
بين
القرنين الرابع والثامن الهجريين

الفصل السادس

المدرسة التاريخية المصرية

بين

القرنين الرابع والثامن الهجريين

التاريخ المحلي :

كان القرن الرابع الهجري نقطة تحول خطيرة في تاريخ مصر السياسي والعقدي ففيه كان دخول الفاطميين مصر، ومع التغيير السياسي الجوهري في حكم مصر ذلك التغيير الذي انتزع مصر من أحضان الخلافة العباسية السنية، وجعلها مستقلة سياسياً وفكرياً وعقدياً، كما جعلها مركزاً مناوئاً منافساً بل معادياً للخلافة العباسيه في بغداد، هذا التغيير سجله المؤرخون المصريون ومن هؤلاء ابن زولاق المؤرخ المصري ومحمد بن عبيد الله المسبحي.

ذكر ابن خلكان المسبحى في وفياته فقال: هو الأمير المختار عز الملك محمد أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن أسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمسبحى الكاتب وهو حراني الأصل مصري المولد ولد عام ٣٣٦هـ/٩٩٦م. وقد تولي المسبحي عدداً من الوظائف منها إدارة البهنسا والقيس من أعمال الصعيد (الفيوم) ثم تولي بعد ذلك ديوان الترتيب، وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات كما يشير إلي ذلك في كتابه التاريخ الكبير. ويبدو أن الحاكم قربه إليه واصطفاه وجعله أحد مستشاريه. (١)

والتاريخ الكبير الذي صنفه المسبحي يتناول أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأفراد والأئمة والخلفاء، ويصف فيه أيضاً عجائب مصر وما بها من أبنية، وأطعمة مختلفة، ووصف فيه كذلك النيل العظيم، وزود كتابه ببعض التراجم وأشعار الشعراء وأخبار المغنين، ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء

---

(١) المسبحي اخبار مصر، تحقيق وليم ميلورد القاهرة ١٩٨٠ ص٥

والمتغزلين وغيرهم. وقد ذكر ابن خلكان هذا الكتاب (التاريخ الكبير) في أكثر من موضع في كتابه وفيات الاعيان فيقول أنه يقع في ثلاثة عشر ألف ورقة.

ومن الثابت أن كتابات المسبحي كانت مصدراً خصباً للمؤرخين المصريين المتأخرين، وهذا يدل علي أن أعماله التي زادت علي الثلاثين ظلت كلها أو بعضها متداولة في مصر حتي القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وربما إلي ما بعد ذلك.

ويذكر ابن خلكان من تصانيف المسبحى: كتاب التلويح والتصريح في معاني الشعر وغيره وهو ألف ورقة، وكتاب الراح والارتياح في ألف وخمسمائة ورقة، وكتاب الغرق والشرق في ذكر من مات غرقاً وشرقاً مائتا ورقة، وكتاب الطعام والأدام ألف ورقة إلي غير ذلك من الكتب والتصانيف في ألوان مختلفة من التالف. (١)

لكن كتابه الكبير كان أهم مؤلفاته كانت أهو تاريخ مصر الذي عرفه ابن خلكان بأنه التاريخ الكبير وأشار إليه ابن العديم بأنه كتاب التاريخ أو تاريخ المسبحي.

والكتاب علي كل حال يعد من أضخم وأدق ما كتب في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ مصر بصفة خاصة فقد أكد لنا ابن خلكان الذي اعتمد عليه في كتاباته أنه بلغ ثلاثة عشر ألف ورقة، وهو كما أشرنا سابقا كان مصدراً غنياً بالمعلومات التي سجلها شاهد عيان لأحداث جسيمة مرت بها مصر، كان فيها المسبحي رجل دولة يعلم الكثير من أسرار الحكم والسياسة ويقف علي كافة الأمور المتصلة بالسلطة والسلطان، وقد تبقي جزء من عمل المسبحي هو أخبار مصر في سنتين(٤١٤- ٤١٥هـ) وهو الجزء الأربعون الذي نشرته أخيراً الهيئة المصرية

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص ص ٣٧٧. ٣٧٨

ومصنفاته أهمية علمية خاصة.

كذلك فإن القضاعي باعتباره فقيهاً شافعياً في ظل الحكم الفاطمي الشيعي يجعل لنظراته للأمور وملاحظته للأحداث وتقديره للمواقف وتقييمه للظروف قيمة تاريخية كبيرة وهو مع ذلك قد شارك في الأحداث السياسية لمصر، وأسهم في صنع سياستها داخلياً وخارجياً.

وثمة عامل هام يضاف إلي شخصية القضاعي العلمية وهو أنه تجول في بلدان الدولة الإسلامية، فزار بغداد عاصمة العباسيين ودمشق والتقي فيها بعلمائها وشيوخها، ثم ارتحل أيضاً إلي المكرمة لينهل من علوم شيوخها وفقهائها فبدت أمامه أحوال الأمة الاسلامية، وظروف العالم الإسلامي آنذاك، خلافة شيعية في القاهرة تطحنها المحنة الكبري والغلاء، وخلافة عباسية شغلتها ظروفها السياسة الداخلية وسيطرة الوزراء والأمراء علي مقدرات الخلفاء، وظهور السلاجقة، القوة السنية الجديدة التي علق عليها المسلمون آمالاً في الخلاص من التمزق والفرقة بالإضافة إلي الدولة البيزنطية العدو الرابض علي الحدود الشمالية للمسلمين تتحين الفرصة للانقضاض عليها إما براً بجيوشها القوية أو بحراً بأسطولها البحري الكبير.

علي هذه الساحة المشحونة بالمخاطر والتنافس والمنازعات كان علي القضاعي أن يقوم بمهمة صعبة كلفه بها الخليفة الفاطمي المستنصر، وذلك بأن أرسله سفيراً لمصر لدي القسطنطنيه.

إن السفارة التي قام بها القضاعي تعكس نوعاً من التقارب بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية في الوقت الذي كان السلاجقة يمثلون خطراً حقيقياً ماثلاً علي حدود البيزنطيين الشرقية.

وبدت المصالح المشتركة بين الفاطميين والبيزنطيين فالشدة العظمي في مصر جعلت الخليفة الفاطمي المستنصر يطلب المدد في شكل قمح وأقوات من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع الذي أراد أن يوافق علي طلب الخليفة

الفاطمي وربما يكون ذلك سبيلاً إلي تحالف فاطمي بيزنطي ضد السلاجقة لكن القضاعي يصل إلي القسطنطنية لإتمام المهمة ليجد أن الإمبراطور قسطنطين السابع قد توفي لتخلفه علي العرش الإمبراطورة ثيودورا

وهنا يتغير الموقف البيزنطي فقد أوقفت الإمبراطورة ثيودورا إرسال المؤن والمساعدات إلي مصر واشترطت لإتمام الإتفاقية أن يقف الفاطميون معها عسكرياً ضد جيش السلاجقة وأن يحارب الجيش الفاطمي مع الجيش البيزنطي لصد خطر السلاجقة عن الحدود الإمبراطورية.

ومع أن الإمبراطورة ثيودورا لم تستمر طويلا في حكم الإمبراطورية البيزنطية فقد توفيت عام ١٠٥٧م وخلفها علي العرش الإمبراطور ميخائيل السادس الذي سار علي نفس السياسة التي انتهجتها الإمبراطورة ثيودورا ومن ثم أخفقت مهمة السفير المصري لدي البيزنطيين بل إنه زاد علي ذلك بأن تصالح مع السلاجقة وعقد اتفاقاً مع السلطان السلجوقي مما أثار غضب الخليفة المتصر الذي أمر بالقبض علي رجال الدين في كنيسة القيامة بالقدس والاستيلاء علي كنوزها ونفائسها مما أدي إلي سوء العلاقات بين الدولتين

وعلي الرغم من الفشل السياسي الذي نجمت عنها سفارة مؤرخنا القضاعي إلا أنها من الناحية العلمية قد أتت بنتائج طيبة ذلك أن القضاعي قضي ما يقرب من العامين بالعاصمة البيزنطية تفقد خلالها أحياءها واطلع علي آثارها وخالط أهلها ومن ثم جاءت كتاباته عنها كتابة شاهد عيان.

وقد ترك القضاعي عدداً من الأعمال التاريخية لكنها للأسف لم تصل إلي أيدينا إلا من خلال المؤرخين اللاحقين الذين افادوا منها واطلعوا عليها ونقلوا منها كثيراًوهذا يؤكد القيمة التاريخية والعلمية والمنهجية والفنية لأعماله التي عاشت حتي العصر المملوكي يؤكد ذلك جلال الدين السيوطي الذي يذكر أنه نقل عن القضاعي من كتابه الخطط قصة فتح مصر ويخبرنا أنه لخص أحداث الفتح مصر

تلخيصاً وجيزاً يقول (ومن خطه نقلت: لما قدم عمرو بن العاص رضي الله عنه من عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول موضع قوتل فيه الفرما قتالاً شديداً نحوا من شهر ثم فتح الله عليه). (١)

ومع ذلك فإن أعمال القضاعي ظلت نبعاً يفيض علي اللاحقين ومصدراً يعتمدون عليه في تاريخهم لأخبار مصر منذ الفتح وعبر التطورات التاريخية خلال العصور المتتالية، ومما تجدر الإشارزة إليه أن كتابات القضاعي سهلت علي المؤرخين المصريين مهمتهم في كتابه وتدوين وتوثيق تاريخ مصر في فترة كان القضاعي فيها من شهود العيان الثقاة.

ظهور الموسوعات التاريخية:

وتواصل المدرسة التاريخية المصرية تطورها، ويسهم رجالها في تطوير المنهج والأسلوب والطريقة في التدوين التاريخي فمع مشارف القرن الثامن الهجري تظهر الموسوعات الكبري وكتب التراجم الضخمة وهذا التطور يواكب النهضة التى عاشتها المدارس التاريخية الإسلامية الأخري وخاصة المدرسة العراقية.

وكان من أهم أصحاب الموسوعات المصرية شهاب الدين أحمد النويري والمؤسس لهذا النوع من الكتابة.

والنويري من علماء القاهرة ،تعلم في الجامع الأزهر وتفقه علي شيوخه، وظهر في الحياة العامة في عصر الملك الناصر بن قلاوون، وتدرج في بعض المناصب الإدارية خلال السلطنة الثانية لابن قلاوون.

وكانت هذه المناصب سبباً في خبرته التي أدت في النهاية إلي ظهور هذه الأعمال العظيمة له وخاصة موسوعته الشهيرة نهاية الأرب.

ومن بين الأعمال التي انيطت بالنويري في حكومة الملك الناصر محمد بن قلاوون قيامه علي الحسبة، والتحصيلات والنظر علي الغلات والاعتصار

---

(١) السيوطي حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج١، ص٧٦

والعلوفات والمبيعات وغيرها، وبالإضافة إلي توليته وظيفة عسكرية هامة هي مباشرته لنظر الجيش في طرابلس.

إن التنوع الوظيفي الذي تدرج فيه النويري قد أضفي دون شك مزيجاً هاماً من الخبرات ظهرت واضحة حين اعتزل العمل الحكومي، وعكف علي تأليف موسوعته الكبري نهاية الأرب.

وقد قسم النويري موسوعته إلي خمسة أقسام رئيسية يهمنا منها بطبيعة الحال القسم الخامس أو الفن الخامس وهو التاريخ وفيه تظهر ملكة النويري المؤرخ وحسه التاريخي بشكل واضح ويعد هذا الجزء الذي خصصه للتاريخ أهم ما في موسوعته، بل هو العمود الفقري لها.

إن التاريخ الذي صنفه النويري في موسوعته يضعه بلا منازع في مصاف المؤرخين المسلمين الكبار وهو في ذلك يتساوي مع ابن عساكر والذهبي وابن الأثير في تواريخهم العامة وموسوعاتهم العظيمة التي أثروا بها الكتابة التاريخية الإسلامية.

الفصـل السابع

تألق المـدرسـة التاريخية المصرية
وأشهر
مؤرخى القرن التاسع الهجرى

القلقشندى.

المقريزى.

السخاوى.

السيوطى.

الفصل السابع
تألق المدرسة المصرية وأشهر
مؤرخى القرن التاسع الهجرى

يوالى المؤرخون المصريون كتاباتهم التاريخية علي النحو الموسوعي، فظهر عدد كبير من رجالاتها وعلي رأسهم القلقشندي والسخاوي والسيوطي وغيرهم ومن أضافوا بحق من التأريخ أبعاد جديدة، وافادوا المدرسة التاريخية الاسامية صيغة عامة والمدرسة التاريخية المصرية بصفة خاصة، وامدوها بروافد جديدة في صناعة علم التاريخ ومن الكتابة والتأيف فيه

القلقشندي: القاضي أبو العباس أحمد: ولد عام ست وخمسين وسبعمائة، وسمع علي عدد من شيوخ مصر من بينهم ابن الشيخة. ترجم له السخاوي في الضوء اللامع، والعماد الحنبلي في شذارت الذهب وذكره المقريزي وابن تغري بردي والعيني وغيرهم.

والقلقشندي من أبناء مصر، ولد بقرية قلقشندة إحدي قري محافظة القليوبية وهو أحد القضاة الشافعية درس الفقه واللغة والأدب، وأجازه الشيخ الإمام الشافعي وهو في الحادية والعشرين من العمر، ويصفه أبو المحاسن فيقول: كان إماماً فقيهاً بارعاً في العربية، مشاركاً في الفقه والفرائض

وارتفعت مكانته الأدبية فجلس للإفتاء وعرض عليه كثيرون من تلامذته ما حفظوه في الفقه والأصول وعلوم العربية فأجازهم. وهو بهذا قد بلغ مكانة رفيعة في الحياة الثقافية والفكرية في مصر، وقد أهلته هذه المكانة بالإضافة إلي براعته في التأليف والكتابة لتولي بعض المناصب الإدارية الهامة في بلاط السلطان المملوكي الظاهر برقوق فالتحق بديوان الإنشاء عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م وكان أحد موقعي الدست ونواب الحكم.

وقد ترك لنا القلقشندي عدداً من الأعمال الأدبية والتاريخية كان أهمها

وأشهرها صبح الأعشي في صناعة الأنشا، وكتاب نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب في الأنساب وكتاب قلائد الجمان في قبائل العربان وكتاب الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع.

وقد سار القلقشندي في مؤلفاته علي نهج االقاضي الفاضل وابن نباته وفضل الله العمري ممن سبقوه من أعلام الكتابة والانشاء. ويوضح لنا القلقشندي في مقدمه كتابه صبح الأعشي السبب الذي من أجله وضع هذا الكتاب فيقول:

"والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التأليف وتباينت مواردهم في الجمع والتأليف، ففرقة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدها، وأخري جنحت إلي ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها، وطائفة لمن بعدهم يسلك سبيلها من أراد أن ينسج علي منوالها، ولم يكن فيها تأليف جامع لمقاصدها ولا تأليف كافل بمصادرها الجليلة ومواردها. (١)

والقلقشندي هنا ينتقد طريقة الكتابة التي سبقت تأليفه الكتاب، ويضع لنفسه نهجاً أراد به أن يطور الكتابة الأدبية والتاريخية معاً ويستدرك علي من سبقه ما فات عليهم ويضيف تجربته العلمية التي اكتسبها خلال دراساته المتنوعة وخلال عمله في ديوان الأنشاء.

ويري القلقشندي أن الكتابة هي الصناعة التي لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها، ولا يجوز العدول عنها إلي ما سواها ولذلك ضمن كتابه صبح الأعشي الأصول والقواعد والأسس التي رآها أساسية لهذا الفن كما بين القوانين التي تحكمها وتحكم القائمين عليها.

ويلتمس القلقشندي العذر من قرائه وتلاميذه فيقول: وليعذر الواقف عليه فنتائج الأفكار علي اختلاف القرائح لا تتناهي وإنما ينفق كل أحد علي قدر سعته ولا يكلف الله نفساً الا ما أتاها ورحم الله من وقف علي خطأ فأصلحه عاذراً لا عاذلاً ومنيلاً لا نائلا فليس المبرأ من الخطل إلا من وفي الله وعصم وقد

---

(١) القلقشندي. صبح الأعشي في صناعة الانشا، حـ١، ص ص ٧، ٨

(٢) القلقشندي- صبح الاعشي حـ١،ص ١

قيل: الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذه ولا يرتفع عنه القلم.(٢)

وقد قسم القلقشندي كتابه صبح الاعشي كما يذكر في مقدمته إلي مقدمة وعشر مقالات وخاتمة.

أما المقدمة ففي مباد يجب تقديمها قبل الخوض في كتابه الانشاء وفيها خمسة أبواب:

تحدث في الباب الأول عن فضل الكتابة والكتاب ومدح فضلائها وذم حمقاهم.
والباب الثاني في مدلول الكتابة لغة واصلاحاً، وبيان معني الانشاء وتفصيل كتابة الانشاء علي سائر أنواع الكتابة.

وجاء الباب الثالث في صفات الكتاب وآدابهم، وخصص الباب الرابع في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام وتفريقه في الممالك.

واهتم القلقشندي في الباب الخامس بقوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله وآداب أهله وذكر وظائف وسلطات متوليه وخصص الباب الخامس فيما يحتاج إليه الكاتب.

ثم يناقش القلقشندي بعد ذلك في مقالاته المتخصصة أحوال المسالك والممالك، والخلافة، ونظم الإدارة في مصر والبلاد الإسلامية، والرسائل الواردة إلي الديوان والصادرة عنه والأصول المرعية في تدوين تلك الرسائل والعهود والمواثيق والمعاهدات والبريد وغير ذلك من الأمور التي وجدها متعلقة بموضوع الكتابه.

وما يهمنا في مؤلفات القلقشندي هي كتاباته التاريخية التي شملت التاريخ الإداري لمصرحيث بين في كتابه صبح الأعشى الأصول التي سارت عليها نظم الدواوين كما وضح لنا أسس العلاقات بين حكام المسلمين وجيرانهم من ملوك وأمراء وأباطرة العالم آنذاك وهو بهذا يكون قد سبق عصره بان وضع أسس المراسلات الدولية وأساليب البروتوكول التي يجب أن تراعي في هذا المجال.

وقد أكد القلقشندي علي أهمية التاريخ للكاتب فقال: أعلم أن الكاتب يحتاج إلي معرفة وقائع التاريخ وتفاصيلها ولا يكاد يستغني عن العلم بشيء منها

لامورمنها: العلم بأزمنه الوقائع والماجريات، وأحوال الملوك والأعيان والحوادث، والماجريات الحاصلة بينهم، فيجنح بكل واقعة منها في موضعها، ويستشهد بها فيما يلائمها، ويحتج لمثل ذلك،فإنه متي أخل بمعرفة ذلك احتج بالقصة في غير موضعها، أو نسبها إلي غير من هي له، أو لبس عليهم خصم في الاستشهاد بواقعة لا حقيقة لها، أو نسبها إلي غير من هي له ليظهر حجته عليه.(١)

وقال أيضا اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له، وقدأكثر الناس فيه من التصنيف علي اختلاف فنونه، ما بين مختصر ومبسوط، من مقتصر علي فن ومستوعب لفنون، وفي تلك المصنفات نوادر غريبه ولطائف عجيبة لا يحصل بعد استعابها بالمطالعة كما لا يقع الظفر بالجوهر في المعدن الا بعد عمل كثير يحصل من خلالها علي بغيته فاذا التقطت الجواهر من المعدن سهل تناولها لمريدها (٢)

إن القلقشندي قد قعد للكتابة الديوانية بعد دراسة تاريخية زمنية لنشأتها وتطورها، ثم حدد أصولها قوانينيها ثم قدم بعد ذلك دراسة فريدة متميزة شملت التاريخ العام والتاريخ المحلي، والنظم الإدارية، والعلاقات الدولية الإسلامية، والسياسية الخارجية لمصر باعتباره قد شغل وظيفة إدارية هامة في ديوان الانشاء يوازي ديوان وزارة الخارجية في النظم السياسية الحديثه.

ولعنا لا نستطيع أن نغفل الحديث عن دور فضل الله العمري في هذا المجال في كتابه المصطلح الشريف إلا أن القلقشندي قد تفوق وتميز علي سابقيه بحيث جعل للكتابه سمتا خاصاً وأسلوباً متفرداً ومجالاً شاملاً برع فيه مؤرخا سياسياً وإدارياً يوضح لنا مدي ما وصلت إليه المدرسة التاريخية المصرية من مكانه في تلك المرحلة. (٣)

وامتدت عناية المؤرخين المصريين إلي التاريخ الاقتصادي والاجتماعي فكان.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشي: جـ١، ص٤١٢.

(٢) انظر محمد عبد الله عنان- مؤرخو مصر الإسلامية وص ص ٧٦: ٨٤

(1) Cibb. The Islamic Background Of Ibn Khaldun. s Political Theory. Studies On Is.amic civilization PP 166- 165 london

المقريزي رائدا من رواد هذا المجال الذي يرتكز عليه المؤرخون المحدثون باعتباره مجالاً جديداً من التأليف التاريخي الذي نتج عن ادراك لحركة المجتمع أسهمت في تغيرة ونطوره، مما ظهر واضحا في اهتمامات المؤرخين المصريين من رجال القرن التاسع الهجري حيث اتجهوا إلي العناية بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي.

لكننا نستطيع أن نقرر ونحن مطمئنين إلي أن مجال التاريخ الاجتماعي والاقتصادي قد عرفته وأصلته المدارس التاريخية الإسلامية، وبصفة خاصة المدرسة المصرية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشرالميلاديين هذا التفاعل بوضوح عند ابن خلدون الذي استطاع أن يصل بحسه التاريخي ونظرته المحللة المدققة إلي قمة ميزته في العالمين الشرقي والغربي وجعلته مؤسساً لنظرية جديدة وعلم جديد.

لقد بهر ابن خلدون المفكرين في الشرق والغرب علي السواء، مما جعل المفكرين الغربيين يقفون كثيراً عند أعماله، ويحللون أفكاره ونظرياته، فهذا جب يقول إن ابن خلدون هو المؤسس لعلم جديد هو علم الاجتماع أو بعبارة أخري هو المؤسس لعلم التاريخ وفلسفته، إنه يحلل العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية باعتبارها المحفزة لقيام الوحدات السياسية وصولاً إلي نشأة الدولة.(١)

ومن ناحية أخري فإن المنهج الذي اتبعه ابن خلدون في مقدمته يجعله مؤسساً لعلم جديد اعتمد بالدرجة الأولي علي طريقة علمية في البحث Scientific Method Of Inquiry

إنه عندما يتحدث عن الحضارة الإنسانية، وعن الدولة، وعن المواطنين في الدولة، أدخل مفاهيم جديدة إلي العقلية الوسيطة عموماً وعقلية أوربا في العصور الوسطي بصفة خاصة مما مهد دون شك إلي قيام النهضة الاوروبية.

ولعل شهادة المؤرخين والمفكرين الأوربيين لابن خلدون بهذا السبق تعد أهم

---

(١) السخاوي- التبر المسبوك- ص٢٣ -٢٣، اختلف في سنة ولادته ووضعها المؤرخون الذين ترجموا له عامي ٧٦-٧٦٩هـ، وقارن المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ج١،ص ص ٤١٥ ٤٢

دليل علي اعترافهم بدور الفكر الإسلامي ودور العقلية الإسلامية في تعديل وتطوير المفاهيم الأوروبية: في صناعة الكلمة وكتابة التاريخ، إن روزنتال يؤكد علي أن منهج وأسلوب ابن خلدون إنما هو منهج فريد متميز لم يسبق إليه، بل يعد ظاهرة متفردة في القرن الرابع عشر الميلادي.

إن هذه المداخله إنما نقصد بها التأكيد علي أن مصر بمدرستها التاريخية قد استطاعت أن تسهم في تغيير المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في ذلك الوقت وكان المؤرخون المصريون ومن بينهم ابن خلدون من العلامات المميزة فيما ألف وصنف من أعمال جمعت خلاصة التجارب والأفكار التي أسهمت في ذلك التغيير.

لقد شهد عصر المقريزي مرحلة هامة في تاريخ مصر والأمة الإسلامية جميعاً هي المرحلة الانتقاليه من عصور سادت فيها وتسيدت إلي مرحلة ضعف النظم السياسية والاقتصادية وانهيارها، وتقلب المجتمع والدولة في أنظمة جديدة لم يكن لهم بها عهد من قبل.

والمقريزي قاهري مصري حنفي شافعي ترجم له السخاوي في التبر المسبوك فقال: انه ولد بالقاهرة في سنة ست يقصد ٧٦٦هـ ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن الكريم وسمع الحديث من جده لأمه العلامة الشمس بن الصائغ الحنفي والبرهان الآمدي والعز بي اليمن بن الكويك والنجم بن رزين والشمس بن الخشاب والتنوخي وابن الشيخة وابن أبي المجد والسراج البلتقيني والزين العراقي وغيرهم. (١)

ويضيف السخاوي أنه شغل كثيرا من الوظائف علي الشيوخ ولقي الكبار وجالس الأئمة فأخذ عنهم وتفقه حنيا علي مذهب جده لأمه وحفظ في فقه الحنيفة كتاباً.

أما عن أعماله فيقول: ناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة في القاهرة

(١) - السخاوي. التبر المسبوك ص ص ٢٣-٢٤

غير مرة. وتولي الخطابة بجامع عمرو وبمدرسة السلطان حسن والإمامة بجامع الحاكم وقراءة الحديث بالمؤيدية ويشهد له السخاوي بأنه قد حمدت سيرته في مباشراته واتصل بالظاهر برقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر وعرض عليه قضاءوها غير مرة فرفض.

واستطاع المقريزي أن يصل إلي العديد من المناصب الهامة في مصر سواء في مجال التدريس أو الخطابة أو القراءة أو المناصب الإدارية. فقد تولي قراءة الحديث والوعظ بمساجد القاهرة، وتولي الخطابة بمسجد الفسطاط وبمدرسة السلطان حسن، وتولي الإمامة والنظر في جامع الحاكم.(١) وتولي الحسبة وناب في الحكم وكتب التوقيع. كما تولي عدداً من الوظائف في دمشق وكان دخلها مع السلطان المملوكي النصر فرج بن برقوق، فدرس في الأشرفية وتولي نظر وقف القلانس والبيمارستان النوري.

وزار المقريزي الأراضي المقدسة، وجاور بها، وحدث في مكة المكرمة وتدرج المقريزي في الوظائف الدينية والتدريسية والإدارية في مصر والشام.

ويقول المقريزي: عن نفسه إن أول عهده بالوظائف الحكومية ديوان والانشاء بالقلعة حيث عمل به موقعبا أي كاتباً حتي عام ١٣٦٨م ثم عين نائبا من نواب الحكم أي قاضياً عند قاضي القضاة الشافعية.

حج المقريزي غير مرة وجاور في مكة والتقي بعلمائها وشيوخها وحدث فيها بكتابه حسن الاستماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع، ويخبرنا السخاوي أنه كان يحب أنه يكتب بمكة ويحدث بها.(٢)

وفي مكة أيضا التقي بالكثير من الحجيج الذين نقلوا إليه أخبار بلادهم وخاصة جنوب الجزيرة العربية وبلاد الحبشة مما أضاف إلي تجربته وخبرته الشيء الكثير، ومما انعكس ولا شك في كتاباته ومؤلفاته وخاصة كتاب الإلمام فيمن تأخر

---

(١) قارن محمد عبد الله عنان. مؤرخو مصر الإسلامية. ص ص ٨٧- ٨٨

(٢) السخاوي. التبر المسبوك. ص ص ٢٢ ٢٣

بأرض الحبشة من ملوك الإسلام.

وبعد رحلة طويلة من العمل والسعي والعلم والتعليم حط المقريزي رحاله بالقاهرة زاهداً في الحياة العامة والوظائف الحكومية عاكفاً علي صياغة تجربته الخصبة في التأليف والكتابة.

يقول السخاوي: ثم أعرض عن ذلك وأقام ببلده عاكفاً علي الاشتغال بالتاريخ حتي اشتهر وبعد صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحد فأخذها وزادها زوائد غير طائلة.(١)

وتنوعت مصنفات المقريزي واتسعت مجالاتها فمنها ما عني بالتاريخ المحلي لمصر والقاهرة مركزاً علي جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها، ومنها ما اختص بتاريخ الأئمة الخلفاء الفاطميين، ومنها ما أفرده المقريزي لقضايا محددة كالنقود والموازين والمكاييل إلي غير ذلك من المجالات التي وضعت المقريزي علي درجة متميزة بين رجال التاريخ في مصر وفي المدرسة التاريخية المصرية في القرن التاسع الهجري، ويكفي أن نشير إلي أن مؤلفاته قد زادت علي المائة مؤلف أو يزيد إذ يذكر السخاوي: قد قرأت بخطه أن تصانيفه زادت علي مائتي مجلد كبار. (٢)

ومن أهمم أعماله:

١- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

٢- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمه الخلفاء.

٣- البيان والأعراب عما بمصر من الأعراب.

٤- الإلمام فيمن تأخر بأرض الحبشة من ملوك الإسلام.

٥- التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم.

٦- إغاثة الامة بكشف الغمة.

---

(١) قارن محمد مصطفي زيادة. المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري. ص ص ١٠، ١٢

(٢) السخاوي: التبر المسبوك. ص ص ٢٢: ٢٣

٧- شذور العقود في ذكر النقود .

٨- الأوزان والأكيال الشرعية .

٩- ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري .

١٠- الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة .

١٢- الإشارة والاعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام .

١٤- السلوك بمعرفة دول الملوك

وقد وصل المقريزي بجهوده المضنية في التأليف والكتابة إلي درجة أثارت عليه بعض الحاسدين، وربما كان هذه المكانة محركاً لدي السخاوي الذي انتقد جهد المقريزي واتهمه بالتزييف، ووجه إليه النقد اللاذع مما يعكس تحاملاً بل كراهية شديدة لم تقلل بالطبع من قيمة الأعمال الكبيرة التي تركها المقريزي، ويكفي أن نورد التقييم الذي وضعه القاضي ابن حجر للمقريزي وأعماله في ترجمته له إذ يقول: إن له النظم الفائق، والنثر العابق، والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فأنه أحيا معالمها، وأوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم أعيانها.

لم يقلل القدح اذن من قيمة الأعمال الكبيرة التي تركها لنا المقريزي ذلك أن الأساس في البحث أن يعود الباحث إلي الأعمال السابقة ويفيد من جهود أساتذته والعلماء السابقين عليه دون أن يضيع تلك الجهود أو أن يصمت عن الإشارة إليها، وقد ذكر المقريزي ذلك واعترف بانتفاعه بمسودات الأعمال السابقة عليه وإن كانُ الأستاذ الدكتور مصطفي زيادة رحمه الله قد اشار إلي ان المستشرقين لم يستطيعوا أن يدفعوا تهمة السخاوي للمقريزي أو أن يدلوا برأي حاسم فيه (١)

ونحن لسنا في حاجة إلي شهادة المستشرقين أو محاولاتهم في تبرئة المقريزي من اتهامات السخاوي له، كما أننا لا يهمنا أن نأخذ برأي كاترمير Quatremere بالسكوت عن هذا الأمر وعدم إثارة القضية، ولا ندري

---

(١) قارن محمد مصطفي زيادة: المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري ص ص ١٠، ١١.

لصالح من تؤخذ الأمور علي هذا النحو، فإذا كان السخاوي يثير القضية وهي قضية هامة في البحث العلمي فلا نعتقد أن السكوت عنها يؤدي الي نتيجة وإنما إثارتها والبحث عن أصلها أولي بنا إن أردنا الوصول إلي الحقيقه.(١)

والمقريزى من المؤرخين الذين يوردون إسنادهم، ويذكرون مصادرهم وما كان يضيره أن يذكر الواحدي مثلما ذكر من أخذ عنهم في كتاب الخطط، ونحن في هذا نتفق مع الرأي الذي أورده الأستاد المؤرخ محمد عبد الله عنان بصدد هذه القضية الهامه الذي خلص فيه إلى ما يلي: (والخلاصة أن هذا الإتهام الذي يلح السخاوي في نسبتة إلي مؤرخ الخطط لا يثير في نظرنا ذرة من الريب في عظمة المجهود التاريخي الذي تقدمه الخطط وفي روعته وطرافته).(٢)

لقد استطاع المقريزي علي كل حال ان يضيف إلي الكتابة التاريخية، وأن يؤرخ لفتره دقيقة من تاريخ مصر استطاع خلالها ان يضع منهجا وأسلوبا انفرد به والتصق باسمه كما استطاع بذلك المنهج أن يرد علي الاتهامات التي وجهت إليه والتي تعبر عن الغيرة والحسد التي تنشأ بين أبناء المهنة الواحدة مما لا يزال موجودا في ايامنا هذه.

وقد شهد له ابن تغري بردي وأكد أستاذيته فقال: (وكان إماما مقننا، كتب الكثير بخطه، وانتقي أشياء، وحصل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره، حتي صار يضرب به المثل، وكان له محاسن شتي، ومحاضرة جيدة إلي الغاية لا سيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك، وكان منقطعاً في داره، وملازماً للعبادة والخلوة قل أن يتردد إلي أحد إلا لضرورة).

واختتم ابن تغري بردي ترجمته بقوله: ولم يزل ضابطاً حافظاً للوقائع إلي أن توفي يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة، ودفن في الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من القاهرة، رحمه الله تعالى) (٣)

---

(١) قارن محمد مصطفي زيادة: المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري: ص ص ١٠، ١١

(٢)محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الاسلامية ص ص ١٠١، ١٠٢.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي-جـ١، ص٤١٧.

الســخــاوي:

وعندما قــاربت المدرسة التاريخـية المصرية علي اخـتـام ذلك العهـد الزاخر بالمعارف والـعلوم، الزاهر بأئمة المؤرخـيين الأعلام يظهـرشمس الدين الســخاوي ٨٣١:٢‏٩٠هـ/ ١٤٢٨ : ١٤٩٦م.

الســخـــاوي من رجــال القـرن التــاسع الهـجـري الذين أثـروا الحـيـاة الفكريةوالثقافيــة في القاهرة بل إن ظهور السخاوي وتلميذه ومنافــسه الـسيوطي في أواخر هذا القرن نفثـه أخيرة من نفثات هذه الحركـة القوية التي لم تلبث أن خبت بعد ذلك وأنهارت أمام الفتح العثماني.(١)

والـسخاوي مـؤرخ أنجبته مصر فـأصله يعود إلي سخا إحدي قـري محافظة الغربيــة لكنه قاهري المولد والنشـأة والتعليم، وقدَ كـان منزله مجـاوراً لمنزل لإمام العلامة ابن حجر العـسقلاني مما أثر ولا شك فيه تكوينه العلمي منذ نعومة أظافره.

لقد لازم الســخاوي شيـخه الإمام ابن حـجر فـتـعلم علي يديه علوم الدين واللغـة والأدب والتاريخ فـقد كـان ابن حجـر في ذلك الوقت علمـاً مـن أعلام القاهرة ورائداً من رواد الحركـة العلمية فيـها،ولذا نري السخاوي قد لازم شـيخه ولم يفارقه ولم يغادر القاهرة حتي وفاته وذلك في عام ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م.

ترجم للسخـاوي ابن العماد فقــال: ولد في ربيع الأول سنة إحدي وثلاثين وثمانمائة، وحفظ القرآن العظيم وهو صغيـر وحفظ عمدة الأحكام والتنبيه والمنهاج وألفية العراقي وغالب الشاطبية والنخبـة لابن حجر وغير ذلك، وكلما حفظ كتاباً عرضه علي مشايخه،وبرع في السنة والعـربية والقرآن والحديث والتاريخ، وشارك في الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه والمسبقات،وأما مقروءاته ومـسموعاته فكثيرة جداً لا تكاد تنحصر.(٢)

كما ترجم السخاوي لنفــسه في الضوء اللامع ترجمة تفصيلية اقـتداء بشيخه

---

(١) قارن : محمد عبد الله عنان. مرجع سابق، ص١٠٢

(٢) السخاوي. الضوء اللامع. جـ٨،ص٥٠٤

واستاذه ابن حجر العسقلانى

يتحدث السخاوي في ترجمته عن نشأته وتربيته وتعليمه وشيوخه ونقرأ في هذه الترجمة كيف أن الحافظ ابن حجر العسقلانى قد رعي السخاوي وتبناه علمياً وصقل موهبته حتي غدا علماً من أعلام القرن التاسع الهجري. (١)

كذلك تتلمذ السخاوي علي عدد كبير من العلماء والأئمة ومن بينهم الشيخ محمد بن عمر الطباخ، وعلي المزين رضوان العقبي، والبرهان بن خضر والشهاب أبي العباس الحناوي وصالح البلقيني والشرف المناوي والعز بن عبد السلام البغدادي والقلقشندي وأبي الفتح الفوي والكمال بن الهمام وأبي القاسم النويري وغيرهم وذلك في النحو واللغة والحساب والفقه والقرءات والبيان والتفسير.(٢)

وقد بلغ السخاوي درجة رفيعة من العلم وأجازه كثيرون من الأئمة في عصره في الفقه والأصول والحديث وأصوله، والعربية وفروعها وفي التدريس والإفتاء والأملاء.

وبعد وفاة ابن حجر رحل السخاوي إلي البلدان طالباً العلم فزار دمياط والتقي بعلمائها وشيوخها ووصل مكة وزار أماكنها الشهيرة، ثم زار مدينه رسول الله ﷺ، واتصل بمؤرخها الشهير البدر بن عبد الله بن فرحون وغيره من العلماء ثم رحل بعد ذلك إلي بلاد الشام فزار أهم المدن الشامية والتقي بكثير من العلماء ذكر أنهم زادوا علي المائة شخص من كبار العلماء. (٣)

وبعد هذا الترحال والتجوال في بلدان المسلمين ومراكز العلم عاد السخاوي إلي القاهرة واستقر بها. ومن الملاحظ أن السخاوي لم يقحم نفسه في الحياة السياسية في مصر، ولم يتدخل في مشكلات الحكم والسياسة ولم يكن له ولع بدسائس القصور والحكم مما يجعلنا ننظر لكتاباته ومؤلفاته نظرة خاصة لأنها تتسم بكثير من الحياد

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع. حـ٨،ص٤،٥

(٢) بلغ عدد الذين تتلمذ عليهم السخاوي أربعمائة استاذ وعالم وفقيه.

(٣) انظر ترجمة ضافية للسخاوي في مقدمة التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة. حـ١ ص ص ٩: ١٤

والموضوعية.

ولقد كان السخاوي دون شك علماً من أعلام المدرسة التاريخية المصرية في القرن التاسع الهجري ذلك أن ما قدم السخاوي من أعمال متنوعة يضعه بين مؤرخي هذة المدرسة رائداً مجدداً صاحب منهج متميز في كتابة التاريخ بل صاحب رأي في صناعة الكتابة التاريخية، وصاحب أسلوب نقدي جريء.

قاد السخاوي حركة فكرية نشيطة في القاهرة، وخلق جواً من الحوار الساخن بين رجال المدرسة التاريخية ورواد الحركة الأدبية في ذلك الوقت، واشتعلت المساجلات بينهم مما سجلته لنا وثائق تلك الفترة وأهمها رد السيوطي علي أستاذة السخاوي في مقدمته التي أسماها الكاوي علي تاريخ السخاوي.(١)

لقد تعرض السخاوي بالنقد لكثير من علماء القاهرة وأساتذه عصره ومن بينهم ابن خلدون والعيني والمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي الذي لم ير السكوت علي المسلك الذي انتهجه السخاوي في نقد زملائه وأساتذته.

ومع ذلك فقد شهد رجال العصر للسخاوي بالعلم والأستاذية والريادة، واعتبروه إمام القرن التاسع الهجري فقد رسخت أقدامه في شتي فروع العلم والحديث واللغة والفقه والتراجم والطبقات والتاريخ.

ويقول صاحب البدر الطالع: لو لم يكن للسخاوي من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل علي إمامته.

تعددت مؤلفات السخاوي وتنوعت، وكانت علامة مميزة بين مؤلفات المدرسة التاريخية في ذلك القرن ومنها:

العقد الثمين في مشيخه خطيب المسلمين.

الفتح العربي في مشيخه الشهاب القربي.

الجواهر المكملة في الأخبار المسلسلة.

بغية الراوي بمن أخذ عنه السخاوي.

---

(١) مقامة الكوي علي تاريخ السخاوي، مخطوط رقم أدب ٣١٩٣، دار الكتب- القاهرة.

الرحلة السكندرية وتراجمها.

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة لشريفة في ثلاث مجلدات.

التبر المسبوك علي ذيل السلوك.

الذيل علي قضاة مصر.

الذيل علي دول الإسلام للذهبي.

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

إلي غير ذلك من المصنفات النفيسة التي تركها والشمس السخاوي صاحب منهج مستقل في التأليف والتدوين، ولعل كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ يدلل علي المقدرة العظيمة لهذا المؤرخ في إيضاح أبعاد علم التاريخ وتحديد مفهومه وموضوعه ومناهجه وفوائده.

كذلك فإن السخاوي استطاع أن يحدد الشروط التي يجب أن تتوفر في المؤرخ، ونستطيع أن نقرر أن السخاوي قد وصل إلي هذا المستوي الرفيع من الكتابة، وهذا المستوي المتميزمن الفكر لأنه كان مؤرخاً حراً، لم يقبل الإنخراط في وظيفة رسمية في الدولة ولم يقحم نفسه في السياسة، وكان يكره بشدة أن يلتزم بقيود وظيفية مهما علت مكانتها فلم يتأثر باتجاه معين أو برأي حاكم أو سلطان، وهذا في رأينا مما يضفي قيمة علمية كبيرة لمؤلفاته التي أوصلته إلي مكانة رفيعة بين العلماء حسده لأجلها أقرانه.

السخاوي إذن هو أعظم رجال المدرسة التاريخية المصرية في القرن التاسع بل أحد أعلام المؤرخين المسلمين في ذلك العصر، فقد عرف بأنه المحدث المدقق، والفقيه المحقق والمؤرخ البارع، والناقد اللاذع، والكاتب الجرىء صاحب المنهج الحر والرأي المستقل.

وتختم المدرسة التاريخية المصرية دورها المميز في التأليف التاريخي ومناهج البحث والكتابة فيه بالإمام العلامة، جلال الدين السيوطي. وحفظ القرآن الكريم

وهو في الثامنه من عمره، ثم حفظ الفية ابن مالك، ومنهاج أصول الحكم للنووي

السيوطي ٨٤٩ : ٩١١هـ/ ١٤٤٥ : ١٥٠٥م:

درس السيوطي الفقه والفرائض، وقرأ شرح الكافية لابن الحاجب وتتلمذ علي عدد من أئمة عصره كالشيخ الشرف المناوي وعلم الدين البلقيني وتقي الدين الشلبي ودرس علي يد العلامة محي الدين الكافيجي وعنه أخذ التفسير والأصول والعربية والمعاني وأجازه كثيرون من شيوخ عصره بلغ عددهم واحد وخمسون شيخاً

رحل السيوطي إلي كثير من البلدان فزار بلاد الشام والحجاز حيث أدي فريضة الحج وتعلم علي يد كثير من شيوخ الحرمين الشريفين وزار بلاد الهند واليمن، وارتحل إلي بلاد المغرب وتوغل في أفريقية فزار بلاد التكرور.

إنقطع السيوطي للعبادة والعلم وهو في الأربعين من عمره، وترك وظائفه التي كان قد تقلدها في التدريس والفتيا، ولزم داره عاكفاً علي الكتابة زاهداً في الدنياحتي وافاه الأجل عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

والإمام السيوطي من رجال المدرسة التاريخية المصرية الذين تركوا بصمات واضحة فيها يدل علي ذلك مؤلفاته العديدة المتنوعة في التاريخ.

ومن أهم مؤلفاته التاريخية كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر وضع فيه جلال الدين السيوطي عصاره فكره وجملة تجاربه وذكر فيه مصادره وشيوخه الذين استقي منهم مادة الكتاب فيقول:

هذا كتاب سميته حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وأوردت فيه فوائد سنية. وغرائب مستعذبة مرضية، تصلح لمسامرة الجليس وتكون للوحدة نعم الأنيس.(١)

ثم يضيف: وقد طالعت في هذا الكتاب كتباً شتي منها، فتوح مصر لابن عبد الحكم. وفضائل مصر لابن عمر الكندي، وتاريخ مصر لابن زولاق، والخطط

---

(١) السيوطي حسن المحاضرة جـ١ ص٣

للقضاعي، وتاريخ مصر لابن ميسر وإيقاظ المتغفل وإيقاظ المتأمل لتاج الدين بن محمد عبد الوهاب بن المتوج الزبيري، والخطط للمقريزي، والمسالك لابن فضل الله العمري ومختصره للشيخ تقي الدين الكرماني، ومباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الانصاري، وعنوان السير لمحمد بن عبد الملك الهمداني وتاريخ الصحابة للذهبي، والإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر، ورجال الكتب العشرة للحسيني، وطبقات الحفاظ للذهبي، وطبقات القراء وطبقات الشافعية للسبكي وللإسنوي وطبقات المالكية لابن فرحون وطبقات الحنيفة لابن دقماق ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي وتاريخ الإسلام للذهبي، والعبر له ،والبداية والنهاية لابن كثير وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر، والطالع السعيد في أخبار الصعيد للأدفوي، وسجع الهديل في أخبار النيل لأحمد بن يوسف التيفاشي والسكردان لابن حجلة وثمار الأوراق لابن حجة.

وهذا يوضح لنا منهج السيوطي، وحرصه علي أن يذكر من الأعمال كل ما أفاد منه في تأليف حسن المحاضرة، مما يؤكد علي أن الرجل قد اطلع بنفسه علي نفائس المؤلفات السابقة في التاريخ والتراجم والسير والخطط والطبقات والجغرافيا التي شكلت المصادر الأولية للكتاب، وهذا المنهج ولا شك هو المنهج الصحيح الدقيق في البحث التاريخي.

ولم يقتصر السيوطي علي مجرد ذكر المصادر التي اعتمد عليها في مؤلفاته بل إنه يذكر دواعي تأليف كتبه فمن ذلك يشير في مقدمة كتابه تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة يقول : والدواعي إلي تأليف هذا الكتاب أمور منها:

١- الإحاطة بتراجم أعيان الامة.

٢- تخليص تواريخهم من الخلط.

٣- إفراد كل طائفة منهم بكتاب شأنهم شأن النجاة واللغويين وغيرهم.

٤- أهمية أن يفرد كتاب للخلفاء من الأئمه أكد فيه علي أنه لم يورد أحداً ممن ادعي الخلافة خروجاً ولم يتم له الأمر ككثير من العلويين وقليل من

العباسين.

٥- اكد السيوطي علي أنه لم يورد أحداً من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة في رأية

ومن هنا نري أن السيوطي لم يكن مؤلف لمجرد التأليف، وإنما كانت هناك أهداف وراء كتاباته، ومنها تصحيح التاريخ، وإعادة كتابة ما يحتاج منه إلي ذلك.

ومن أهم أثار السيوطي في كتاب حسن المحاضرة أنه أورد لنا ثبتا بأسماء من كان بمصر من المؤرخين وهم:

١ سعيد بن عفير.

٢- محمد بن عبد الحكم.

٣- محمد بن الربيع الجيزي.

٤- عمارة بن وثيمة بن موسي أبو رفاعة الفارسي صاحب التاريخ علي السنين قال ابن كثير ولد بمصر، وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره مات عام ٢٨٩هـ./ ٩٠١م

٥- الطحاوي.

٦- الحسن بن قاسم بن جعفر توفي عا ٣٢٧هـ / ٩٣٨م.

٧- أبو سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر.

٨- أبو عمر الكندي محمد بن يوسف بن يعقوب، صنف فضائل مصر وكتاب قضاة مصر، كان في زمن كافور.

٩- ابن زولاق أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الحسين المصري المؤرخ صنف كتاباً في فضائل مصر، وذيلاً علي قضاةمصر للكندي، مات في ذي القعدة عام ٣٨٧هـ./ ٩٩٧م

١٠- المسبحي الأمير المختار عن الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد الحراني صاحب التصانيف، قال في العبر: كان رافضياً صنف تاريخ مصر، وكتاب في النجوم وكتاب التلويح والتصريح وتوفي عام ٤٢٠هـ./ ١٠٢٩م.

١١- القضاعي

١٢- القفطي الوزير جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني وزير حلب صاحب تاريخ النحاه، وتاريخ اليمن، وتاريخ مصر، وتاريخ بني بويه، وتاريخ بني سلجوق، ولد بقفط سنه ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ومات بحلب سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م.

١٣- محمد بن عبد العزيز الإدريسي الفاوي، ألف المفيد في أخبار الصعيد، ولد في ٥٦٨هـ / ١١٧٢ وتوفي في ٦٤٩هـ. ١٢٥١/م .

١٤- جعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي الفاوي، ابن محمد المؤرخ السابق ألف تاريخاً للقاهرة ومات في ٦٧٦هـ. ١٢٧٧/م.

١٥- ابن خلكان القاضي شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الأربلي الشافعي صاحب وفيات الأعيان سكن مصر مدة، وناب في القضاء، ثم ولي قضاء الشام عشر سنين ثم عزل فأقام بمصر، ومات عام ٦٨١هـ-١٢٨٢م.

١٦- أبو الحسن بن سعيد علي بن موسي بن عبد الملك الأديب الأخباري ولد بغرناطة، دخل مصر والشام وبغداد وألف المغرب في حلي المغرب والمشرق في حلي المشرق، والطالع السعيد في تاريخ تونس ومات في تونس عام ٦٨٥هـ/ ١٢٧٦م.

١٧- الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري صاحب التاريخ المسمي بزبدة الفكرة في أحدي عشر مجلداً، والتفسير مات في سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م

١٨- ابن المتوج محمد بن عبد الوهاب بن المتوج بن صالح الزبيري أحد العدول بمصر ولد عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م وألف تاريخ مصر سماه: إيقاظ المتغفل وإتعاظ المتأمل ومات عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م.

١٩- الكمال الأدفوي أبو الفضل جعفر ين ثعلب بن جعفر صنف الطالع السعيد في تاريخ الصعيد ، والإمتاع في أحكام السماع وتوفي ٧٤٩هـ/ ١٣٣٨م.

٢٠- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري المؤرخ صاحب التاريخ المشهور توفي ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م.

٢١- القطب الحلبي.

٢٢- ابن الفرات ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن المصري الحنفي، كان لهجاً بالتاريخ، فكتب تاريخاً كبيراً جداً ومات عام ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م.

٢٣- صارم الدين محمد بن دقماق مؤرخ الديار المصرية جمع تاريخاً علي الحوادث، وطبقات الحنفية وتوفي عام ٧٩٠هـ/ ١٣٨٦م.

٢٤- شهاب الدين الأوحدي احمد بن طوغان ولد سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م. وكان لهجاً بالتاريخ، ألف كتاباً كبيراً في خطط مصر والقاهرة مات عام ٨١١هـ/ ١٤٠٨م.

٢٥- تقى الدين المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد مؤرخ الديار المصرية ولد سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م واشتغل في الفنون، وولي حسبة القاهرة وألف كتباً منها درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وعقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط وإتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، والسلوك بمعرفة أول دول الملوك، والتاريخ الكبير، وغير ذلك ومات سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م.

٢٦- ابن حجر.

٢٧- شيخنا العز الحنبلى..(١)

ومن هذه القائمة نري أن السيوطي ألم لنا بمؤرخي مصر في نظره منذ بداية المدرسة التاريخية المصرية وحتي عصره، لكنه اغفل عدداً لا بأس به منهم ومن بينهم أساتذه السخاوي.

ونلاحظ أيضاً أنه لقب كلاً من ابن دقماق والمقريزي بمؤرخ الديار المصرية، ووصف المسبحي بأنه رافضي، وصمت عن البعض واكتفي بمجرد ذكر أسمائهم في

القائمة ووصف البعض بلقب المؤرخ مثل ابن زولاق والنويري، وأما ابن سعيد فنعته بالأخباري.

ولقد ترك السيوطي تراثاً ضخماً من المؤلفات التاريخية وغيرها فإلي جانب حسن المحاضرة وتاريخ الخلفاء صنف در السحابة ، ونظم العقيان في أعيان الزمان والشماريخ في علم التاريخ إلي غير ذلك من المؤلفات.

والسيوطي من الفقهاء المفسرين الذين عنوا بالتاريخ، لكنه لم يستطيع أن يصل في كتابة التاريخ إلي المستوي الذي ارتقي به في تصانيفه الفقهية.

لكننا يجب أن نؤكد علي القيمة التاريخية الكبري لمؤلفه تاريخ الخلفاء وتاريخ مصر المسمي بحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة فهما في نظرنا أهم المؤلفات التاريخية التي قدمتها المدرسة المصرية.

والسيوطي من رجال المدرسة التاريخية المصرية الذين شهدوا ختام ذلك العصر الذي إمتاز بحرارة المنافسة العلمية وشدة النزاع علي الزعامة الفكرية في الحلبة الثقافية في القاهرة في ذلك الوقت الذي اشتهر ابن خلدون بأفكاره الجديدة ونظرياته التي سبق بها عصره

لقد استطاع ابن خلدون تحليل الظواهر السياسيه والاجتماعية والاقتصاديه التي عاشتها المجتمعات الاسلامية، كما استطاع أن يضع نظرية بحثيه جديدة أو علما جديدا New Science كما أدخل مفاهيم جديدة علي العقلية الوسيطة في الشرق والغرب علي السواء شهد له بها المفكرون الاوربيون القدامي والمحدثون.(١)

ويمكن القول ان ابن خلدون احد رجالات هذه المدرسة استطاع ان يطور صناعة الكلمة المدونة، وأن يدخل اسلوبا جديدا تفرد به وتميز علي غيره من معاصريه.

ولعلنا نشير إلي الصراع العنيف الذي السيوطي وبين شمس الدين السخاوي

1- Rosen Thal., Political Thought In Medieval Islam. P.8

Gibb. The Islamic Background Of 'ibn Khaldun.s Political Theory.P.167

الذي احتدم إلي درجة إتهام كل منهما للأخر بالعديد من التهم مما ظهر بشكل مؤسف في مقامة الكاوي علي تاريخ كما أشرنا سابقا في حديثنا عن السخاوي.

ومع دخول العثمانيين مصر كانت المدرسة التاريخية المصرية تختتم ذلك العصر الزاهر وتستقبل مرحلة جديدة اكتسبت سماتها من طبيعة العصر الجديد وهو العصر العثماني في مصر الذي قضي بوصول سليم الأول إلي القاهرة علي دولة المماليك لتستقبل مصر كلها عصراً جديداً سجل لنا أحداثه الحزينة المؤرخ محمد بن إياس لكن مصر المعطاءة مالبث أن أفاقت من صدمة الاحتلال العسكري لأرضها وسرعان ما واصل رجالها العمل والعطاء اقتداء برجالات القاهرة ابن حجر والسخاوي والمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي وغيرهم.

ولم تنقطع إسهامات المؤرخين المصريين بعد دخول العثمانيين مصرفقدْ استمر العطاء، وتواصل العمل علي عكس ما هو شائع بين بعض المؤرخين من أن حركة التأليف والتدوين التاريخي انقطعت بعد ابن يأس وذلك خلال القرون الثلاثة التالية للفتح العثماني وحتي ظهور عبد الرحمن الجبرتي.

والواقع أن تلك القرون الثلاثة قد قدمت العديد من المؤرخين المصريين الذين واصلوا المسيرة وأجزلوا العطاء فكانت مؤلفاتهم الأصلية التي وثقت تاريخ مصر والمصريين، وسجلت أحداث تلك المرحلة التي لولاجهودهم لاندثرت أخبارها وبادت ومن هؤلاء أبي السرور البكري صاحب المؤلفات العديدة لتاريخ مصر في عهد العثمانيين.

وبهذا تكون المدرسة التاريخية المصرية قد واصلت عطاءها تؤرخ لمصروللمصريين وتوثق الأحداث وتسجلها لتكون شاهدة علي العصر مؤكدة علي أن مصر غنية بمؤرخيها وعلمائها الذين لم يتوقفوا يوماً عن العطاء.

الفـصـل الثامن

العلوم المسـاعدة لدراسة الـتاريخ

للغات.

والخطوط والوثائق والمخطوطات .

الرنوك والأختام .

الجغرافيا .

علم الاجتماع.

الآثار.

النميات.

الرحلات.

الفصل الثامن

العلوم المساعدة لدراسة التاريخ

تتنوع العلوم المساعدة لدراسة للتاريخ باختلاف الأزمنة التاريخية والعصور المختلفة فالعلوم المساعدة لدراسة التاريخ القديم تختلف في طبيعتها عن العلوم المساعدة لدراسة التاريخ الحديث. ثم إن العلوم المساعدة لدراسة التاريخ المصري القديم تختلف عما يحتاجه المؤرخ لدراسة التاريخ اليوناني بمعني أن دراسة التاريخ القديم تحتاج إلي معرفة لغات الفترة موضوع الدراسة ودراسة الآثار الباقية الممثلة لهذه المنطقة أو تلك. فالدارس لتاريخ سومر لابد وان يتعامل مع الأدلة الأثريه واللوحات الطينية الممثلة للعصر السومري.

وبالنسبة لمصر فيتعامل مع كل مايجد من آثار ومن أوراق البردي المنتشرةفي متاحف الدنيا إلي غير ذلك من الموضوعات المعينه علي البحث والدراسة.

ومن المواد المساعدة علي دراسة التاريخ تأتي اللغات في المرتبة الأولي ومعها الموضوعات المتعلقة بها كفقه اللغة ودراسة الخطوط ودراسة المخطوطات والوثائق والبرديات ثم تأتي الجغرافيا وعلم الاجتماع والأدب والآثار والنميات والفنون والرحلات، بالإضافة إلي الوثائق المختلفة من العصور القديمة والعصور الوسطي والعصور الحديثة.

اللغات والخطوط والوثائق والمخطوطات:

تعتبر اللغات من أهم العلوم المساعدة لدراسة التاريخ إذ لا بد للمؤرخ من اتقان اللغة التي يكتب بها حتي يستطيع أن يعبر تعبيراً دقيقاً سليماً عما يكتب كما

يبحث فيها بمعني أنه إذا أراد دراسة التاريخ الفرنسي في فترة معينة ونفترض أنها التاريخ الفرنسي الوسيط فمن الأساسي أن يعرف بل لا بد له أن يجيد اللغة الفرنسية القديمة لغة الوثائق حتي يتمكن من دراسة المصادر الأصلية المدونةبتلك اللغة.

كما يتعين علي المؤرخ الذي يعني بتاريخ سورية القديمة أن يعرف لغاتها القديمة من آرامية وعبرانية وسوريانية حتي يتسني له دراسة الوثائق الخاصة بتاريخ تلك الفترة وحل رموزها وقراءة نقوشها.

ويرتبط باللغة معرفة تطوراتها وما يدخل عليها من تغييرات إذ أن لكل عصر من العصور لغته المميزة التي تتفاوت استخدامات كلماتها وتعبيراتها من زمن إلي آخروكذلك معرفة الخطوط واختلافها ومعرفة عصرها وزمانها، وقد أصبحت دراسة الخطوط باعتبارها من العلوم المعينة لدارسي التاريخ من الدراسات المهمة المتخصصة، وظهرت مؤلفات في هذا الموضوع تضم نماذج للخطوط المختلفة الممثلة للأقاليم والمناطق والعصور. وعلم قراءة الخطوط Paleography أصبح من المهارات الجديدة التي يجب علي المؤرخ أن يهتم بها ويحاول إن يكتسبها وتظهر أهمية قراءة الخطوط بصفة خاصة عند دراسة وتحقيق المخطوطات إذ أنه من الأهمية القصوي للمؤرخ أن يحدد زمن نسخ المخطوط أو زمن كتابته وذلك اعتماداً علي الخط الذي كتبت به.

وقد تطورت الخطوط العربية فظهر منها النسخ والرقعة والثلث والمغربي والفارسي والكوفي والطومار والغبار وسمي كذلك لدقته وصعوبة قراءته كأنه الغبار المتناثر وكان يستعمل في كتابة الرسائل التي يحملها الحمام الزاجل.

وقد ذكر القلقشندي أن المقر الشهابي بن فضل الله ذكر خمسة أقلام وهي: مختصر الطومار، والثلث، وخفيف الثلث والتوقيع ،والرقاع.

-أما مختصر الطومار لقطع البغدادي الكامل، والثلث لقطع الثلثين وخفيف الثلث لقطع النصف والتوقيع لقطع الثلث والرقاع لقطع العادة.

ويلحق بالخمسة السابقه ثلاثه انواع اخري هي: الطومار الكامل، وللمحقق، والغبار. فالطومار يكتب به السلطان علاماته علي المكاتيب والولايات ومناشير الإقطاع.

وأما المحقق فقد استخدمت كتابته في طغراوات كتب القانات من ملوك الشرق واستخدم خط الغبار في كتابة بطاقات الحمام والملطفات وما في معناها. وعلى ذلك يكون المستخدم في ديوان الانشاء في عهده ثمانية أقلام. (١)

والطومار نسبة إلي نوع من الورق، فأضيف إليه القلم الذي يكتب به علي ورق الطومار فقد ذكر القلقشندي أن عمر بن عبد العزيز أتي بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين، وبالضرورة لا يكتب فيه إلا بقلم الطومار وهذا دليل علي وجوده قبل ذلك ربما يعود إلي عصر معاوية بن أبي سفيان فهو أول من قرر أمور الخلافة، ورتب أحوال الملك. وقيل أنه كان من القصب الأخضر ويمكن أن يكون من القصب الفارسي وفي مصرمن البوص الابيض الغليظ.

أما مختصر الطومار فهو أقل من الطومار الكامل وكان يستخدم في ترويس المكاتبات حرصا علي عدم طمسها أما الثلث فهو ثلث مساحة الطومار ويستخدم في كتابة بعض الحروف مثل الجيم والطاء والصاد والضاد وغيرها.

وقلم الرقاع ومعناه أنه يكتب به الرقاع وهو جمع رقعة وتعني الورقة الصغيرة التي تكتب فيها اللطيفة والقصص، وهو أقصر من قلم الثلث وقلم التوقيع.

وأما المحقق فيكتب به في طغراوات القانات (والقانات تعني ملوك الترك وأصلها خاقان (قال مختصرها)، وكانت اللغة التركية تكتب بالحروف العربية أما الوثائق العثمانية فقد كتبت بالخط الديواني أو بخط القيرمة.

والخط الديواني من الخطوط العثمانية الذي كتبت به الأوامر السلطانية

---

(١) انظر القلقشندي: صبح الأعشي. حـ٣،ص ص٤٧ : ٤٩

والخط الديواني من الخطوط العثمانية الذي كتبت به الأوامر السلطانية والفرمانات والأمانات. أما خط القيرمة فسمي كذلك اشتقاقاً من الكلمة التركية قيرمق والتي تعني الثني والتكسير، وهذا الخط أوجده العثمانيون ليكتبوا به ما يتعلق بالشئون المالية والإدارية وذلك ليحيطوها بالكتمان والسرية ، وهذا الخط نوع من الخط السري أدخل إلي مصر في القرن السابع عشر واستخدمه الكتاب الأتراك حتي اختفي في عهد محمد علي عام١٨٣٤م. (١)

وتعد دراسة الوثائق والمخطوطات والبرديات من الوسائل التي تساعد المؤرخ وتعينه في أبحاثه، فالوثائق هي عيون العصر الذي تمثله، وهي المصدرالأساسي للمؤرخ ودراسة الوثيقة سواء كانت معاهدة سياسية أو اقتصادية أو رسالة ودية بين سلطان وآخر من الأشياء الهامه فى عمل المؤرخ.

وقد أصبحت دراسة الوثائق علماً من العلوم الهامة وخاصة دراسة الوثائق البردية التي تمثل عصوراً مختلفة، ولقد اهتمت أوروبا اهتماماً كبيراً بالوثائق عموماً والوثائق البردية خصوصاً، وحفظتها بعناية بالغة في أرشيفاتها وقام المختصون علي تبويبها وتصنيفها وفهرستها وإخراجها في مجلدات تعين الدارسين علي التعرف علي مادة تاريخية أولية مما يثري أبحاثهم ويقدم لها الأدلة الموثوق فيها بدرجة كبيرة.

وقد تمكن الباحثون من التوصل إلي وسائل علمية في تقدير عمر الوثيقة معرفة عمر الحبر المكتوبة به، وتحديد نوع الورق، ومعرفة خصائصه وهنا لا بد أن نشير إلي أنه فيما يتعلق بالتاريخ القديم استطاع العلماء وخاصة العالم الأمريكي Lebby أن يتوصل ومنذ مطلع هذا القرن إلي استخدام نظريةCarbon 14 فى معرفة المخلفات الأثرية المتكربنة وتحديد عمرها الزمني، وقد استخدمت هذه الطريقة أيضاً في معرفة عمر القمح والسلال والعظام، وهذا يمثل إنقلاباً في الوسائل التي تعين الباحث علي إجلاء الغموض الذي يحيط بموضوع من تلك

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي - ص٢٨.

وقارن ليلي عبد اللطيف: دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني. ص٤٧ وما بعدها.

الموضوعات. وقد استخدم العلماء أيضا الأشعة الحمراء والبنفسجية للتعرف علي الخطوط غير الواضحة أو توضيح المطموس منها.

وقد قام الباحثون باستخراج المصطلحات الحربية والاقتصادية وغير ذلك، وكلها مما يعين الدارس علي دراسة الوثائق والإفادة منها، وتقسم الوثائق إلي مجموعتين الأولي: وتشمل الوثائق الرسمية وهي تعني كل ما يصدر عن الحكومات والهيئات الرسمية في الدولة فيما يتعلق بالشئون الداخلية والخارجية، وما يصرح به أفراد الحكومات وما يحملة مبعوثوها إلي رؤساء الدول، وما يلقيه مندوبوها في المؤتمرات العامة والخاصة وما يوقعه رؤساؤها أو وزراء مسئولون فيها من اتفاقات ومعاهدات مع غيرهم من حكومات الدول الأخري.

ولأهمية الوثائق خصصت لها الدول دوراً خاصة للحفاظ عليها وزودتها بالمختصين في الخدمة المكتبية حتي تكون تحت تصرف الباحثين. ولكل فترة من فترات التاريخ وثائقها وأوراقها الرسمية، ويقول الدكتورحسن عثمان إن الوثائق في المعني العام تدل علي كل الأصول التي تحتوي علي معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دون علي الورق، ولكنها في المعني الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ هي الكتابات الرسمية مثل الأوامر والقرارات والفرمانات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية:

أما المجموعة الثانية فتعني الوثائق شبه الرسميه وهي بطبيعة الحال لا تقل أهمية عن المجموعة الأولي ذلك أنها تمثل فيما يكتبه الموظفون الرسميون في الدولة وتشمل أوراق الدواوين وسجلاتها، ومشاريع القوانين، والقوانين المعمول بها في أقسام الدواوين المختلفة، والمعاهدات، والنصوص التي تصل إلي الباحثين إما مكتوبة أو منقوشة، بلغاتها الأصلية أو خلال ترجمات لها ومضابط المجالس التشريعية المختلفة، ومذكرات ويوميات ومراسلات الوزراء وأعضاء الحكومات، وتصريحات الزعماء السياسيين، ومؤتمراتهم إلي غير ذلك مما يدخل في عداد الوثائق.

وإذا توفرت للباحث مثل هذه الوثائق استطاع أن يقدم دراسة علمية موثقة، مدعمة بالأدلة التاريخية من مصادر أولية أصلية وعلي درجة عالية من الصحة خاصة إذا لم تتدخل أيدي الناقلين والناسخين فتغير من حقائقها أو تسقط بعضا من عباراتها مما يؤثر علي الرواية التاريخية فيها والحدث التي تحتوي هذه الوثيقة أو تلك.

ووثائق التاريخ الحديث كثيرة وفي متناول الباحثين، ومن ثم فإن الدراسات التاريخية في مجال التاريخ الحديث متقدمة بشكل ملحوظ بينما نجد الدراسات في مجالات التاريخ الأخري وإن كانت قد تقدمت كثيراً في هذا القرن إلا أن الوثائق ما تزال تحتاج إلي الجهد الكبير والتعاون بين الباحثين للكشف عما تحتويه من معلومات وبيانات جديدة مما يساعد في إيضاح وتفسير كثير من أحداث موضع الاختلاف او التى لا تزال موضع جدل بين المؤرخين. وعلي الرغم من التراث الإسلامي الضخم الذي بين أيدي الباحثين فإن كثيراً من الوثائق الإسلامية الهامة لم تصل إلينا، وربما يمكن إرجاع ذلك إلي سرعة حركة التاريخ الإسلامي وأحداثة الكثيرة المتلاحقة وترامي أطراف الدولة الإسلامية، وكثرة الدول المستقلة قياماً وسقوطاً مما أدي إلي ضياع ثروة علمية هائلة تمثلها وثائق العصور المختلفة التي تبددت أو ضاعت مع الأحداث الصاخبة المصاحبة للتاريخ الإسلامي.

كذلك تعرضت بعض الدووابن التي كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية للحريق وذلك مثل ديوان الكوفة الذي تعرض لحريق أتي علي كل ما فية من وثائق وأوراق رسمية وذلك عام ٨٢هـ/ ٧٠١م.

كما تعرض ديوان الفسطاط لحريق كبير كان سبباً في ضياع كثير من الأوراق الرسمية، وضياع كثير من وثائق الأمويين في أعقاب الثورة العباسية وكان الغزو المغولي لبغداد وراء ضياع أكبر ثروة وثائقية وعلمية لما تعرضت له عاصمة العباسيين من تدمير وتخريب لكل دورها ومكتباتها ودواوينها.

ولحسن الحظ وصل إلينا عدد من كتب النظم كما وصلت إلي أيدي

الباحثين بعض المستندات والوثائق التي تتعلق بالنظم الإدارية، يشير بعضها إلي النظم الاجتماعية وهي وإن كانت قليلة إلا أن أهميتها عظيمة فيما تقدمه للدارسين من صور تمثل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الأسلامية.

وتمثل البرديات وثائق هامة في تاريخ الحياة الاجتماعية والاقتصادية الإسلامية ويهتم الباحثون بالوثائق البردية اهتماماً كبيراً وقد تم العثور علي أوراق بردية هامة بالعربية والقبطية في إقليم الفيوم وهي تتضمن معلومات وبيانات هامة عن الإدارة في مصر في عصر الولاة، والحياة الاجتماعية في مصر الإسلامية.

ويركز الباحثون الآن جهودهم من أجل ترتيب وتنسيق هذه الوثائق لأهميتها القصوي في الدراسات التاريخية ذلك أنها تمثل صورة صادقة للنظم المالية والادارية والاجتماعية للعصور التي كتبت فيها.

ومن الإكتشافات الهامه العثور علي أوراق الجنيزا Geniza التي عثر عليها في غرفة ملحقة بالمعبد اليهودي بالفسطاط، والتي كان الكشف الحقيقي لها في عام ١٨٩٠م حين تناقلتها أيدي المستشرقين وباعة المخطوطات في القاهرة ومن ثم وصلت أجزاء كثيرة منها إلي مكتبات أوروبا وأمريكا.

كانت أكبر مجموعة من الوثائق الجنزية Geniza Documents هي التي وصلت إلي مكتبة البودليان باكسفورد Bodelian Library والتي باعها إلي الحاخام اليهودي (حاخام القدس) سليمان ورثيمر، كما أن هناك مجموعة كبيرة منها وصلت إلي فيلادلفيا، وثالثة تملكها المكتبة العامة في لننجراد.

أما أهم مجموعة علي الأطلاق فهي ما أستطاع الرحالة الانجليزي إيلكان أدلر Elkan Adler أن يحصل عليها خلال زيارته لحجرة الجنيزا في الفسطاط وكان ذلك في يناير عام ١٨٩٦م، وهذه المجموعة توجد الآن في مكتبة معهد اللاهوت اليهودي في نيويورك.

ويقول المستشرق اليهودي جويتين: إن الوثائق الهامة التي تمثلها الجنيزا قد بيعت علناً بعد الحصول عليها من مقابر البساتين في القاهرة وذلك عام ١٩٠٨م.

وقد أدي هذا بالاضافة إلي ما سبق أن تعرضت له الوثائق من بيع وشراء إلي تفرقها في مكتبات أوروبا وأمريكا.

ووثائق الجنيزا تقدم صورة صادقة للحياة اليومية الاجتماعية والاقتصادية، لطائفة من طوائف للمجتمع المصري وان كان ديفيد كدفمان لا يعتقد في قيمة تلك الأوراق.

وعلي الرغم من تعرض هذه المجموعة من الوثائق للتلف، فإن فيها وثائق كثيرة في حالة جيدة، ويصف صاحب دراسة في مجتمع البحر الأبيض المتوسط المستشرق اليهودي جويتين Goitein خطاباً حفظ ضمن أوراق الجنيزا أرسل من اليمن إلي الهند، ووصل هذا الخطاب إلي مصر ليستقر في هذه المجموعة الوثائقية ورغم الرطوبة وطول الرحلة الزمنية التي قضاها الخطاب التي بلغت ثمانمائة عام إذا أرسل عام ١١٤٩م فإنه لا يزال في حالة جيدة خطه واضح ومقروء. (١)

ولا تزال الدراسات في هذا المجال تحتاج إلي اهتمام أكبر حتي تتيح مصادر جديدة لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لطوائف القاهرة

وللمخطوطات أهمية عظيمة في الدراسات التاريخية إذ أنها تمثل التراث المكتوب وتغطي المخطوطات العربية وغير العربية مجالات شتي من مجالات المعرفة تحظى المخطوطات الخاصة يالتاريخ الإسلامي باهتمام كبير، ومع ذلك فهي لا تزال تحتاج إلي اهتمام أكبر من العلماء والباحثين لتقدم في شكل يمكنهم من الإفادة بها وهذا ما يسمي إصلاحاً بتحقيق المخطوطات.

وتحقيق المخطوطات من الدراسات الشاقة التي تتطلب صبراً وعلما وخبرة ودراية بأنواع الخطوط وأساليب النساخ علي مختلف العصور. وهناك دراسات خاصة بهذا الموضوع من أهمها ما قدمه الأستاذ عبد السلام هارون بعنوان: تحقيق النصوص ونشرها وفيه يبين الخطوات التي يجب أن يتبعها الباحث في تحقيق ونشر مخطوطات.

ولما كانت المخطوطات العربية تنتشر في مكتبات الدنيا، فعلي الباحث الذي يرغب في تحقيق مخطوط بعينه أن يتحقق من وجود نسخة وحيدة للمخطوط موضوع

1`- S.D. Goitein A Medirerranean Society Vol. T. Economic Foundatian. PP.1-28

الدراسة او أن له عـدة نسخ فعلية وفي هذة الحالة الحـصول عليها جـميعاً ليـختار اصلحها أصلاً للتحقيق.

أما في حالة كون المخطوط واحداً فسيكون هذا هو أصل التحقيق، وأما إذا كانت له صور أو نسخ مختلفة فعليه ان يختار أكمل واحسن تلك النسخ وأقدمها إن أمكن وأقربـها إلي العصـر الذي تعالجـة لتكون المخطوطة الام أو الأصل الاول للتـحقـيق. ثم علي الباحث أن يـتأكـد من نوع الورق ونوع الحبـر والخط وهناك وسائل كثيرة تعينه علي ذلك كمـا أن هناك خبراء في الخط ومعرفة عمر المخطوط يمكن أن يـستعين بهم، ثم يبدأ بعد ذلـك قراءة النص وضبطه وإعداده للنشر. وهو في ذلك يـستعين بالمصادر المعاصرة التي أفاد مؤلفوها من تلك المخطوطة.

وبعد أن يعـايش النص ويدرس عصره ومـؤلفه ويري مؤلفاته إن كـان كتب غير تلك المخطوط يهيئ مخطوطه ويعده للنشر.

الـرنـوك والأخـتـام :

الرنوك هي علامات مميزة وضعها السلاطين علي دروعهم وسيوفهم وملابس الجنود والنبلاء وعلي الرايات والبنود والأعلام لتمـييزها والدلالة علي الدولة. وقد لجأ السـلاطين الأيوبيون والمماليك إلي ذلك. ومن تلك العلامات السيف والكأس والدواة والنسر وذيل الحصان والهلال وغير ذلك من العلامات.

ومعرفة الرنوك والأختـام والعلامات الخاصة بكل سلطان تمكن الدارسين من تمييز الأدلة الأثرية التي تقع تحت أيديهم ونسبتها إلي العصر الذي تنتمي إليه، وقد لجأ العلماء إلي هذه الطريقة منذ أن بدأت الدراسات الأثرية، وذكر لنا Emery أنه استطاع أن يميز عدداً كبيـراً من الآثار الخاصة بالأسرتين الأولي والثانية وذلك من قطع أثريه عبـارة عن أغطية القدور الفـخارية من ذلك ختم قـدر للوزير المصري حماكا، وقد اعتبرها Emery من أهم المصادر التاريخية لتلك الفترة وقد عقد فصلاً

كاملاً في كتاب Arhaic Egypt عن هذه العلامات.(١)

وتأتي أهميتها من أنها تسجل أحداثاً هامة جنباً إلي جنب إلي إحتوائها علي معلومات عن نوع الطعام أو الشراب الموجود بداخل القدر.

ولعل هذه المقارنة لا تكون غريبة ذلك أن الإنسان منذ عصور استقراره الأولي كان يميل إلي التنظيم، والرنوك والأختام في الواقع ما هي الا نوع من التنظيم والتنسيق لشارات وأدوات الدولة.

وإذا عدنا للحديث عن رنوك العصور الإسلامية فإننا نقول أنه كان لكل طائفة من الطوائف علاماتها المميزة كما كان لكل فرقة من الجيش أيضاً علاماتها ورنوكها مثال ذلك أن الدوادارية كانت لهم رنوك جاءت علي آثارهم، ويذكر لنا ذلك الدكتور حسن الباشا فيقول: وعن الدوادارية وصلتنا نقوش وكتابات أثرية توضح أسماءهم ووظائفهم مصحوبة برنوكهم وكانت علي هيئة دواة، وكان السلطان يعطي الرنوك لأمرائه بما يتناسب مع وظائفهم، وكان الأمير يحتفظ برنكه حتي إذا إنتقل إلي وظيفة أخري.(٢)

ومن الطريف الإشارة إلي أن المتحف الأهلي بفلورنسا يحتفظ بمشكاة تحمل اسم الأمير طغيتمر الدوادار المالكي الصالحي وعليها رنكه المركب من الكأس والدواة.

الجغرافيا:

تعد الجغرافيا من أهم العلوم المساعدة لدراسة التاريخ ذلك أن العلاقة وطيدة بين ما يحدث الإنسان في بيئته وبين الأحداث التاريخية كما أن الحدث التاريخي الذي يقع في زمان بعينه لا بد وأن يتم في مكان بعينه.

والبيئة والإنسان هما موضوع التاريخ، وهنا يتضح الدورالذي تلعبه الظواهر

---

(1) Emery, Archaic Egypt, 194:202

(٢) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية-ج٢ ص٥٣٢.

الجغرافية في التـأثير علي مجريات الأحداث، فكم من الظواهر الطبيعيـة والجغرافية كانت من العوامل الحاسـمة في تغيير نتيجـة حرب من الحروب، وكم من الظواهر الطبيعية كانت وراء تغيرات سكانية عظيمة كما كانت الظواهر الجغرافية وراء هجرات الإنسـان واسـتقراره وإقامـة حضارات المجتـمعات المسـتقرة وكان ذلك وراء عـمران الكون، وعمران الأقاليم وكان للبيئة الجعرافية أثرها في قيام الحضارات الأولي فحول الأماكن الخصبة وحول وديان الأنهار قامت أولي الحضارات الانسانية

إن ما تقـدمه البـيئة الجـغرافـية من وسائـل وخامات تعين الإنسـان علي بناء مجتمعه ويمكن للانسان أن يطوع قدراته وخبراته لاستخدامها والعيش فيها، وكذلك في مناطق المناجم نري الإنسـان يستخدم كل ما تقدمه له البيئه من أجل الطاقة وتطوير صناعاتة وتجديد وسائلها وأساليبها.

وفي مصر كان لنمو نبات البردي مثلاً أثره في أن المصري القديم ابتكر صناعة البردي ثم التوصل إلي استـخدامه في الكتابة ليسجل عليها صـفحات خالدات من التاريخ الإنساني.

وفي العراق حيث لم يتوفر البردي استخدم الإنسان ألواح الطين ومن ثم ابتكر الخط المسماري وطوع بذلك ما قدمته البيئة الجغرافية.

ومما لا شك فيه أن الأمثله كثيرة متنوعة توضح أهمية البيئة الجغرافية من مناخ وتضاريس وأراضي خصـبة وأراضي صحراوية وجبال وأودية وأنهـار إلي غير ذلك من ظواهر البنية البيئية مما له الأثر الكبيرفي صنع تاريخ منطقة من المناطق.

ومما تجدر الإشارة إليه دور الجـغرافيين في اكتشاف الظواهر الجغرافـية وخاصة دور الجغرافيين المسلمين، وما ابتكروه من آلات وما وضعوه من أزياج وجداول فلكية لرصد حركات النجوم والأجرام السـماوية مما يعد انجازاً رائعاً في ذلك المجال.

كما أن وصفهم للبلدان وتقـسيمهم للأقاليم وتسجيلهم لعادات وتقاليد الشعوب كان له بلغ الأثر في تسهيل دور المؤرخ وإعانته علي دراسة التاريخ.

علـم الاجتمـاع :

علم الاجتمـاع من العلوم التي لا يمكن للمؤرخ أن يستغني عنها في دراسة التاريخ، فلما كان علم الاجتماع يعني حركة المجتمع وتطوره ولما كان المحرك لأي مجتمع هو الإنسان وما يحيط من ظروف فقد برزت أهمية علم الاجتماع في االدراسات التاريخية، فهذا العلم يساعد المؤرخ في إثراء فكره التاريخي وتوسيع دائرة إدراكه للأحداث. وقد كان ابن خلدون المؤرخ هو مؤسس علم الاجتماع، ومقدمة ابن خلدون الجليلة القدر في الدراسات الاجتماعية لها نفس المكانة في الدراسات التاريخية.

وقد شهد علم الاجتماع تطورات كثيرة فظهرت فروعه المختلفة منها علم الاجتماع السياسي الذي يرتبط أشد الارتباط بالتاريخ وفيه يدلي عالم الاجتماع بالتفسيرات الاجتماعية للأحداث التاريخية أو لعلنا يمكننا أن نقول أن الباحث في علم الاجتماع يتناول الأحداث التاريخية في إطار تحرك الجماعات ونموها وتطورها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً بما يتضمنه هذا من عوامل مختلفة تظهر في مجتمع من المجتمعات.

الأدب :

ارتبطت نشأه الأدب بنشأة الانسان وهو يعبر بالأدب عن مجالات حياته المختلفة نثرا وشعرا وقصة وملحمة إلي غير ذلك من فنون الأدب المختلفة، فقد عبر الإنسان القديم عن تطوره الفكري خلال العصور المختلفة بالادب، وعبر عن تطور فكره الديني من خلال الأدب، كما عبر عن مراحل حياته تقدما وتخلفا بالادب ويمكن للمؤرخ أن يعتمد علي الأدب، في دراسته للتاريخ باعتباره مصدراً حياً للفترة التي يمثلها.

ففي مصر القديمة كان الأدب إنعكاساً صادقاً معبراً عن حياة المصري القديم فقصة أيباور والفلاح الفصيح والملاح الغريق، وسنوحي وإحساسات الغريب فيها

وحنينه إلي الوطن تعبير عن ملامح الشخصية المصرية، كما تقدم نماذج من مشاعر الأديب المصري في مواقف مختلفة.

ولدينا من الأدب المصري القديم روائع أدبية تعكس الحالة الاجتماعية في عصر الإنتقال الأول، حيث اضطرب الأمن وعمت الفوضي واختلت المعايير الاجتماعية واهتزت القيم في المجتمع فيقول في ذلك الحكيم إيب ور في ذلك تدور البلاد كما يدور دولاب الفخار حقاً. إن النيل لا يزال يفيض ومع ذلك: لا يقوم بحراثة الأرض أحد من الفلاحين لأن كل شخص يقول إننا لا نعلم ما سوف يحل بالبلاد حقاً، لقد خربت البلاد وخيم عليها الحزن مقروناً بالعويل والبكاء.

ثم يقول إيب ور:

إن النبلاء ليزيد بؤسهم وأن الأدنياء لتفيض قلوبهم بهجة وسروراً، إن شعار كل مدينة أصبح: لنطرد الأغنياء من بيننا، حقاً لقد أصبح الذهب والفضة والأحجار الكريمة في رقاب الإماء في حين أصبحت الحرائر تسري في البلاد وتقول السيدات المرفهات آه لو وجدنا ما نأكله، هناك لم يعد بعد موظف يشغل الوظيفة اللائقة به، وأصبح الناس كقطيع من غير راع قد استبد به الروع، هاك من كان يرتدي الملابس الجميلة من قبل أصبح يغدو في أسمال بالية في حين من كان لا يستطيع الحصول علي ملبس له أصبح يرتدي الكتان الفاخر، هاك من لم يكن يجد بالأمس خبزاً أصبح يمتلك شونة غير أنه يملأ أهراءه بمتعلقات غيره.

وتوضح القطع الأدبية المماثلة الحالة التي عانت منها البلاد، وتبين لنا شكايات الفلاح الفصيح المساوئ الاجتماعية وتفشي السرقة والخداع وإنحطاط القضاء، وأنه لاعلاج لهذه المساوئ إلا إذا حل القانون محل الظلم والاستبعاد والفوضي وإلا إذا امتنع الموظفون عن الرشوة وإلا إذا ساد العدل شئون القضاء.

وإذا أخذنا نموذجاً من الأدب العراقي القديم نجد أنه ايضاً ينبض بإحساس الأديب تعبيراً عن ظروفه التي يحياها في مجتمعه، فمثلاً نجد جلجامش الإنسان

يواجه بالحقيقة المروعة حقيقة الموت، عندما يفقد صديقه فيهيم علي وجهه في كل مكان عله يصل إلي تفسير لتلك الظاهرة.

وتمثل الإلياذة والأوديسا الأدب اليوناني القديم، وهي من أروع الأدبيات التي تركها الإنسان اليوناني القديم، إن هومير وهو يرسم لوحته الفنية الرائعة مصوراً للصراع والتنافس والحرب يعكس صورة للمجتمع اليوناني القديم.

ويقول الأستاذ الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيي: إن الأدب لا يقل عن أي مصدر آخر في أهميته، ويضيف أرجو الا أكون مبالغاً إذا قلت أنه ربما كان أهم من الوثائق الرسمية التي تعطي عادة إن لم يكن دائما وجهة نظر جانب واحد من المجتمع وهو جانب الحكام سواء أكان هؤلاء الحكام أفراداً أو كانوا يمثلون طبقة.

والتاريخ إذا أريد له أن يصبح كائناً حيا نابضاً وليس مجرد سجلات جافة لمجموعة من الحكام لا بد أن تكتمل ابعاده ولن يتم ذلك إلا بالتعرف علي كافة جوانب المجتمع وذلك من خلال الأدب.

وهوميروس شاعر اليونان الأعمي استطاع في ملحمتيه الإلياذة والأوديسا أن يصور عصراً كاملاً من حياة اليونان. ركز فيهما علي الحروب الدائرة بين اليونان والفرس، وبين القواد اليونانيين المحاربين أنفسهم، حتي يمكن القول أن الإلياذة والأوديسا تاريخ حقيقي لشعب اليونان.

ومن المصادر الأدبية الهامة لأوربا النهضة ما كتبه دانتي الليجيري في الكوميديا الالهية The Divine Comedy (1)

ودانتي الليجيري الفورنسي يقدم للدارسين قطعة أدبية ملحمية رائعة يستطيع المؤرخ فيها أن يري دانتي وتاريخه وتقسيماته للأرض، وتصوره للجحيم وتقسيمه له متمثلاً الإنسان ومعاناته للألم، وتقلبات الإنسان بين الأحاسيس البشرية المختلفة ويرتفع دانتي ويحلق في الآفاق العالية ثم يسقط متخبطاً في الرذيلة والخطيئة، وهو حين يأخذ الإنسان إلي جبل المطهر يرمز إلي الإصلاح من أجل مستقبل أفضل.

---

(1) Dante: The Divine Comedy .Translated by Sayers & Barbara Reynolds. 3 Vols. london. 1966

ومن خلال الحياة القاسية التي عاشها دانتي في المنفي ومن خلال إحساسه المرهف ومشاعره الرقيقة صاغ ملحمته أو كوميديته التي تمثل الحياة في إيطاليا قبيل عصر النهضة

والكوميديا الإلهية تجمع عناصر كثيرة في نسيجها العجيب، فهي تمثل ثقافة دانتي الواسعة العريضة المتنوعة، وفيها فكر من الشرق ومن الغرب من الشرق ومن الغرب ، وفيها مؤثرات إسلامية كما يذهب فريق من المفكرين فقد تأثر Dante بمشاهدات النبي ﷺ ليلة عرج به إلي السماء فاقتبسها اقتباساً خاطئا في رأينا إذ لم يوفق في عرضة للفكرة ولا للموضوع.

وفيها السياسة والدين والفن والأدب، وفيها الفضيلة والرذيلة، وفيها شقاء الإنسان ونعيمه وسعادته وبالرغم من أن مسرح الأحداث التي يعالجها دانتي هو العالم الأخر إلا أن المؤرخ يستطيع أن يلمح الرمزية فيها وكيف أن دانتي يريد عالماً أفضل كما يريد سعادة الانسان. وهو في ذلك يرسم صورة المجتمع كما يتمني وهو في هذا يعيد إلي الأذهان الصورة المثالية للدولة التي رسمها من قبل المفكرون اليونانيون ومن بعدهم المفكرون المسلمون.

والكوميديا الإلهية تعكس ثقافة دانتي الدينية والسياسية والذاتية فهي تعبر عن أوربا في عصره، كما تعبر عن القلق والتغيير الذي عاشته أوربا بعد زوال العصور الوسطي وانهيا سلطه الدولة والكنيسة معا.

وتمضي بنا مسيرة الأدب حية نابضة مع تاريخ البشر، ليعيش الإنسان حياته في عصر النهضة، والأدب فيها خير تعبير عن حركات وأفكار شعوبها وتطوراتها الدينية والسياسية والاجتماعية. ثم يأتي العصر الحديث ونري الأدب فيه تعبيراً صادقاً عنه، حيث عصر القلق الذي أنتج أدب القلق.

والحركة الأدبية في كل العصور إنما هي إنعكاس لمشاعر المجتمعات ونبضها، كما أنها تقدم أفكار الأدباء الناتجة عن تجاربهم الذاتية وآرائهم السياسية وانتماءاتهم الفكرية، كما تعبر عن خوف الإنسان وحروبه الكثيرة وصراع الأيدولوجيات

المتناحرة، ولعل ما كتبه الأديب الإنجليزorwell. في كتابة القصيراو بالاخري في روايته الساخرة الرمزية Animal Farm مثال رائع علي صراع الأيدلوجيات وزيف الشعارات والقيم الفارغة التي تنادي بها تلك الفلسفات المحدثة. وقد ثبت حدث Oewell وانهارت تلك النظريات وضاعت هيبتها وانتهت إلي الأبد أسطورة الشيوعية وانهارت نظرية ماركس، وظهرت قوي جديدة أهمها دول الكمنولث وذلك بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي المعقل الأساسي للنظرية الشيوعية فكراً وتطبيقاً.

والأدب الفرنسي الذي كتبه كثيرون في العصر الحديث يمكن المؤرخ من معرفة فرنسا ما قبل الحرب ثم حياتها وتاريخها وأخبار شعبها ومعاناته، وما طرا علي قيمه وأخلاقه وعاداته من أثار سيئة للحرب العالمية الثانية. وهذا يؤكد أهمية الأدب وقيمته كسجل حى يعين الدارس في التاريخ، ويضع أمامه صورة متكاملة للمجتمع في الفترة التي يمثلها الأديب.

وأدبنا في مصر الآن، أدب التفاؤل والعودة إلي الأصول الأولي للمصريين والقيمه الاصيله للمجتمع وحب الوطن والأرض، والتفاني من أجل مصرالقيم التي انصهرت فيها الحضارة القديمة داخل بوتقه الاسلام يمثل المرحلة التي نعيشها وهذا مثال صادق علي مدي معايشة الأديب لأحداث مجتمعة، وصدق تصويره للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في زمانه، وهو أيضاً أصدق الناس تصويراً للأخلاق والقيم والذوق العام، وهو العين التي تقدم للمؤرخ فيما بعد صور صادقة لفترة عايشها وعاصرها وأحس بها فصاغها أدباً شعراً ونثراً ومسرحاً وملحمة وأغنية وزجلاً وقصة.

الآثار:

لايمكن لدارس التاريخ أن يعمل دون الاعتماد علي الآثار التي تمثل العصر الذي يقوم بدراسته. ففي العصور القديمة تقدم الآثار الأدلة الناطقة لحضارة الإنسان وحياته وتقدمه أو إنحطاطه وتدهور حضارته. وكذلك في العصور الوسطي يعتمد المؤرخ علي الآثار، وللأدلة الأثرية أهميتها الحيوية في إثبات وتأكيد وتوثيق الحقائق

والمعلومات التي يأتي بها المؤرخ ،والآثار الإسلامية المنتشرة في أنحاء الدنيا خير دليل علي إنجازات المسلمين كما أنها خير عون للمؤرخ لدراسة عصر من العصور التاريخية

إن آثار القري والمدن، والمعابد والمسلات والخراطيش علي جدران المعابد المختلفة والتي تضم أسماء الملوك، والنقوش التي تخلد ذكري انتصارات الشعوب في حروبها وفي كفاحها والمساجد والمدارس والكنائس والمدن كلها أدلة ناطقة علي عبقرية العقل البشري والرخاء والعمران والسلام .

النميات :

تعد النميات والمسكوكات والعملة من الوسائل المعينة والعلوم المساعدة للمؤرخ، فهي تمثل العصور المختلفة التي ضربت فيها . وهي توضح حكم الملوك والسلاطين والخلفاء ومدي استقلال الإقليم أوتبعتيه تنتمي كما تعكس الحالة الاقتصادية للعصر الذي ينتمي إليه فقراً وغني رخاء واستقراراً فقيمة العملة وما بها من ذهب أو فضة، تمثل الجودة، والعملة وما بها من معادن خسيسة تمثل الرداءة، وذلك خير دليل علي اقتصاد العصر الذي تمثله .

الرحلات :

تمثل الرحلات شغف الإنسان ولا سيما الرحالة بالمعرفة والتقصي واستطلاع أخبار وأحوال الشعوب المجاورة . والرحلة قديمة في حياة الشعوب، فالمؤرخ اليوناني هيردوت قام برحلاته إلي الشرق وزار مصر وكتب عن أهلها وعاداتهم ونظمهم ودياناتهم واقتصادهم وأساطيرهم مما يقدم صورة حية ناطقة لفترة من تاريخ مصر .

كما قام الجغرافيون أيضاً برحلات كثيرة وسجلوا مشاهداتهم عن البلدان التي زاروها .

وللرحالة المسلمين مكانة مرموقة في ذلك المجال، فقد سافروا وجابوا العالم دون كلل، ودونوا أخبار الأقاليم والبلدان، وأثروا المكتبة التاريخية بمعلومات قيمة تعين المؤرخ في دراسته.

ومن أهم الرحالة المسلمين ابن جبير وابن بطوطة اللذين جالا في البلدان مصورين أحوال الناس وطرائق حياتهم، وسجلا إنطباعهم عن نظمهم وتوارثهم وحضارتهم، وزيهم ومساكنهم وأسواقهم ،كذلك من أهم الرحالة المسلمين المؤرخ المسعودي الذي جاب البلدان وكذلك المؤرخ المصري القضاعي الذي زار بلاد الروم ومثل مصر سفيراً لدي البلاط البيزنطي.

وعلي هذا نري أن علوماً كثيرة متنوعة اعتبرها المؤرخون خير معين لهم في دراسة التاريخ ويمكننا أن نضيف علوماً جديدة ظهرت في النصف الأخير من هذا القرن مثل الإحصاء والعلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية وغير ذلك من التخصصات الجديدة التي لا شك أنها تفيد المؤرخ وتضفي علي فهمه للتاريخ أبعاداً أرحب من أجل البحث الدقيق عن الحقيقة.

الفصل التاسع

كيف نكتب التاريخ؟

اختيار وموضوع البحث.

جمع المادة العلمية.

دراسة المادة العلمية وتنسيقها وتبويبها.

مرحلة الكتابة.

الحواشي والمصادر والمراجع.

الفصل التاسع

كيف نكتب التاريخ

مراحل البحث وخطواته :

تمر كتابة التاريخ بمراحل كثيرة حتي تأخذ شكلها النهائي الذي به يتمم الباحث رحلته الشاقة بعرض موضوع بحثه وتقديمه للدارسين. وأولي هذه المراحل هي اختيار موضوع البحث، يليها اعداد مصادره الأولية ومراجعه الثانوية والتي تختلف باختلاف الموضوع الذي وقع عليه اختيار الباحث، أما المرحلة الثالثة فهي دراسة المادة التاريخية التي تخدم البحث وإنتقاء المعلومات المتصلة اتصالاً وثيقاً به، والمرحلة الرابعة هي تنسيق المادة التاريخية وتنظيمها استعداداً للكتابة. وتأتى بعد ذلك المرحلة الخامسة وهي كتابة البحث ويتمم عمله برصد المصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

اختيار موضوع البحث:

إن المهمة الأساسية التي تواجه الباحث في التاريخ هي اختياره لموضوع دراسته سواء كان هذا الموضوع يعد ليكون رسالة علمية للحصول بها علي درجة أكاديمية، أو يعد ليكون كتاباً في التاريخ.

والحقيقة أن اختيار الموضوع مهمة شاقة إذ يتعين علي الباحث أن يختار ما يروق له من موضوعات شريطة أن يكون هذا الموضوع غير مطروق بصورة يكون معها جهده تكراراً لما سبقه الباحثون إليه من قبل. وإن كان هذا لا يعني الا يكتب مؤرخان أو أكثر في موضوع واحد.

فإذا كان موضوع البحث موضوعاً لرسالة جامعية فإن الاختيار يمر أيضا بمراحل فعلي الطالب إن يحدد أولا العصر الذي يريد ان يتخصص فيه، والقضايا

أو القضية العامة التي يمكن أن يبحث فيها وذلك يتطلب وقتاً وجهداً يمسح خلاله الطالب المراجع المكتوبة والمصادر الأولية حتي يتأكد من وجودها في متناول يده أو أن البحث يتطلب الحصول عليها من جهات مختلفة مثل المكتبات العامة هنا أو هناك ذلك أن من دعائم البحث الناجح سعة الإطلاع وكثرة القراءة بحيث يلم الباحث بكل أو بمعظم ما كتب حول الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه.

وبعد هذه المرحلة الهامة التي يتوقف عليها تحديد موضوع البحث، يستطيع أن يتأكد أن الموضوع الذي اختاره جدير بالدراسة وأنه لم يدرس بصورة وافية من قبل أو أن مصادر أصلية جديدة سوف تري النور علي يديه في البحث الذي اختاره موضوعاً للدراسة، وإذا ما توصل الباحث إلي هذه المعلومات أمكن له أن يستقر علي موضوع بحثه وأن يبدأ العمل وفق خطوات منظمة يحددها نفسه.

وأما إذا كان الباحث يقوم بدراسة تاريخية وقد تمرس في العمل والبحث العلمي الأكاديمي، أو ينوي أن يصدر كتاباً في موضوع ما، فإن عليه أيضاً أن يتخير موضوع كتابه ليضيف بذلك إضافات علمية جديدة أويضئ السبيل أمام الباحثين باستنتاجات جديدة أو تفسيرات جديدة.

وهنا تجدر الإشارة إلي أن الباحث في التاريخ الحديث أو المعاصر لا بد أن يحاول اختيار موضوع بحثه في فترة زمنية يتاح له فيها الحصول علي الوثائق الرسمية وذلك لأن كثيراً من الدول ولأسباب كثيرة تحدد فترة زمنية لعمر الوثائق التي يمكن أن يطلع عليها الباحثون، وهذه الفترة تتراوح من ثلاثين إلي خمسين عاماً وهذا في الواقع إجراء سليم فيجب أن يبعد المؤرخ المدقق نفسه عن الفترات التاريخية التي قد يصبح فيها متأثراً بتيارات عامة أو مبادئ معينة مما يؤثر علي الحيدة والموضوعية في دراساته هذا بالأضافة إلي أن دراسة الأوضاع الراهنة تخرج بالباحث المؤرخ عن دائرة تخصصه.

إن مرور الخمسين سنة علي الأقل بين الزمن الذي يعيش فيه الباحث وبين زمن الموضوع الذي يتناول يتيح الفرصة الزمنية التي يهدأ بعدها إلي الفهم

والاستيعاب، ويكون دارس التاريخ في هذة الناحية أشبه بمن ينظر إلي صورة أو تمثال لا تتضح له المعالم ولا يمكنه أن يتذوق ما فيها من فن أو جمال إلا إذا باعد بينه وبينها بمسافة معينة بحيث أنه إذا ازداد منها إقتراباً نقصت قدرته علي استجلائها بل ربما عجز عن رؤيتها تماماً.

ويري بعض المؤرخين أن البحث في تاريخ أوربا بصورة علمية مثالية يجب أن ينتهي عند القرن التاسع عشر، حتي لا يكون المؤرخ متأثراً بشكل من الأشكال بأية تيارات أو إتجاهات سياسيه أو اجتماعية أو دينية وحتي يضمن الحياد والنزاهة والموضوعية وحتي يتيح المؤرخ لنفسه مجالا أرحب للبحث والدراسة بعيداً عن الهوي أو الإنفعالات الشخصية والمؤثرات الخاصة.

وهناك من يري أن دراسة الأحوال الجارية في المجتمع Current affairs ليست من دراسة التاريخ وإنما أقرب أن تكون من اختصاص العلوم السياسيه Politicial Science وهي علي درجة كبيرة من الأهمية لأنها سوف تصبح فيما بعد مادة هامة للمؤرخ.

وليس هناك من حرج علي الباحث في الاتصال بأقسام التاريخ في الجامعات والاتصال بأساتذة التاريخ لمساعدته في التأكد من أن بحثه جدير بالدراسة وانه غير متناول بصورة أو أخري في تلك الأقسام أو أن هناك من يهتم به من الأساتذة ويعمل فيه أو قطع شوطاً كبيراً في دراسته.

والبحث التاريخي يستوعب كثيراً من جهود الباحثين ذلك أن هناك قضايا وموضوعات كثيرة تحتاج إلي جهد المؤرخ لتحقيقها وتفسيرها ودراستها واننا نتفق مع أصحاب الرأي القائل بأن ميدان البحث التاريخي عندنا يفتقر إلي جهود كثيرة حتي يواكب البحث التاريخي في الدول الأكثر تقدماً فلازال المؤرخ في حاجة إلي كثير من الفهارس والوسائل المعينة له علي الدراسة التاريخية فمثلا ليس لدينا بالعربية ثبتاً للتواريخ الهجرية الميلادية، كما لا توجد لدينا قواميس للمصطلحات الخاصة الاقتصادية والعسكرية والتجارية والحرفية وغيرها وإذا وجد فإنه لا يشفي

الغليل كما لا يوجد تحت يدي الباحث فهارس للكتب المتنوعة وإن كان هناك جهد طيب يجب أن يتواصل كفهرس معهد المخطوطات العربية وغيره ولكنه لا يكفي. فبينما نجد فهارس للمكتبات العربية وما يحتويه من كتب باللغات الأجنبية، ونجد فهارس للكتب العربية في المكتبات العالمية كمكتبة المتحف البريطاني في لندن والمكتبة الوطنية في باريس، ومكتبات تركيا وغيرها إلا أنها ليست في متناول الباحثين عندنا بشكل سهل ميسر.

بل إن مخطوطاتنا العربية النادرة وعلي الرغم من الجهود الرائعة من العلماء المسلمين والمستشرقين في تصنيفها وتبويبها وترتيبها فهي ما تزال في حاجة إلي تضافر الجهود من أجل معرفة المزيد عنها وهي دون شك تتيح فرصاً كثيرة لموضوعات هامة يمكن للدارسين العمل فيها أو علي الأقل مما تحتويه من معلومات جديدة.

وكذلك تحفل الأرشيفات بالأوراق الرسمية وهي محفوظة في عواصم العالم فهي توجد في لندن وفي فينا وباريس ونابلي وروما وفلورنسا وموسكو وواشنطن حيث تضم دور الوثائق والأرشفات كثيراً جداً من الوثائق والبرديات والاتفاقات والمعاهدات والتي نحتاج إلي معرفتها وإعادة النظر فيها خاصة ونحن نكتب أو نعيد كتابة تاريخ الأمة.

ويجب علي الدارس أيضاً الإطلاع علي المجلات العلمية التاريخية العديدة التي تصدرها الجامعات والهيئات العلمية المعنية بالدراسات التاريخية. وهنا يجب أن نشير إلي الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والتي تعمل جاهدة علي إحياء وتطوير الدراسات التاريخية وتشجيع الباحثين، وهي تصدر مجلة علمية تنشر فيها أبحاث المؤرخين المصريين وغيرهم وهي بهذا تتيح مجالاً ومتنفساً للدراسات التاريخية أن تنمو وتزدهر وترقي في بلادنا، ذلك أن هذه الحوليات أو المجلات نصف السنوية أو ربع السنوية أو الشهرية تعني بكل ما هو جديد من أبحاث وإكتشافات أثرية في مجال البحث التاريخي.

وللموسـوعات ودوائر المعـارف أهميـتها وذلك لاحـتوائهـا علي كثـير من المقالات والأبحاث المتـخصصة التي ينشـرها العلماء والمؤرخون المتخـصصون ومن أهم الموسوعات العالمية Encyclopaedia Of Islam دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britanica وهي تضم الكثـيـر من المقـالات والتفسيرات والمصطلحات والأبحاث في مجال البحث التاريخي.

وبعد هذه المحـاولات الجادة في البـحث عن جوانب وأبعـاد الموضوع الذي اختاره الباحث، وبعد أن يطمئن إلي أنه جدير بأنه يقضي سنوات من عمره للعمل والبحث فيه يبدأ في اتخاذ الخطوة التالية وهي جمع المادة العلمية.

جمع المـادة العلمية:

علي الباحث بعد أن اختار موضوع البـحث أن يبدأ أهم عملية من عمليات بحثـه وهي جمع المادة التاريخـية واستخـراجها من مصـادرها الأولية ومطالعتـها والإفادة من مـراجعـها الثانويـة ذلك أن لكل بحث قـسـمين الأول المصادر الأولي Pri mary Sources والثاني Secondary Sources اي المصادر الثانوية.

وجمع المادة التاريخية هي أشق عمليات البحث والدراسة إذ علي الباحث أن يقرأ ويستوعب وينتـقي المعلومات والبيانات والحقائق التي ترتـبط إرتباطاً وثيقاً بموضوع بحـثه، وأحياناً تكون المصـادر مكتظة بالمعلومات والحقـائق وهنا عليه أن ينتقي الأدق والاكـثر قـرباً لتاريخ بحثـه والأوثق صلة بالعصـر الذي يعكف علي دراستـه وأحياناًتكون قليلة مـبعثـرة، وهنا أيضاً عليه أن يتـحري ويدقق من أجل الحصول عليها، وهو في كلا الحالتين يختار وينتقي ما يـسجل علي بطاقات البحث Research Cards بالطريقة المعروفة وهو أن يسجل كل البـيانات الخاصة بالكتاب والمؤلف والصفحة والطبعة تسهيلاً لنفسه وترتيباً لعملية البحث.

وعلي الباحث أن يعرف من أين يستقي أصول بحثه ومادته الاصلية، وهو في خلال بحثه يعد قوائم مصادره ومراجعه Bibliography وهي تنمو وتزداد بمرور

الوقت فيضيف إليها كل ما يقرأ وكل ما يري.

وهذا يتوقف علي موضوع البحث، فهناك من الموضوعات ما يتطلب البحث في المخطوطات والوثائق المنشورة وغير المنشورة المتوفرة تحت يدي الباحث، وهناك من الموضوعات ما يتطلب السفر للإطلاع علي ما تحويه دور الوثائق ودور المحفوظات والإرشفيات العالمية.

وعلي الباحث أن يفيدمن هذه المرحلة من الكتب الخاصة التي أعدها وقدمها السابقون فذلك يهون عليه مشقة البحث والتجوال في المصادرة الأولية فهناك Historical Review وفيه يجد الباحث ملخصا عن الأبحاث والرسائل في دور الأعداد. كما تصدر الجامعات دليلا بعناوين الرسائل وأسماء أصحابها وهذا أيضاً يفيد الباحث عن موضوع من الموضوعات ويمكنه من الاتصال بصاحبه للتعاون وتبادل الآراء حوله.

وفي هذا المجال أيضاً تصدر الجمعية الأمريكية للدراسات التاريخية في مجلتها ثبتاً سنويا بالأبحاث والكتب الصادرة في مجال الدراسات التاريخية وهذه المجلة تسمي International Bibliograpy Of Historical Research وقد بدأ صدورها منذ عام ١٩٢٦ وهي تقدم خدمة جليلة للباحثين إذ تمكنهم من الاطلاع علي اهتماماتهم وتخصصاتهم وأن يلموا بكل ما صدر من بحوث وكتب ونشرات في مجالات دراساتهم.

وهناك أيضا Index Islamicus وهو يضم الكتب والمقالات والدراسات التاريخية مبوباً وفق الموضوعات خدمة للباحثين قدمه الأستاذ Pearson والذي مكنه عمله كأمين لمكتبة School Of Oriental & African Studies من إعداده حيث قدم للباحثين كتاباً عظيماً يوفر عليهم كثيراً من الجهد والمشقة من أجل البحث عن مصادر ومراجع لبحوثهم.

وبمراجعة مثل هذه المؤلفات يقف الباحث علي عدد من المصادر والمراجع والدراسات السابقة وهي خطوة أساسية من خطوات جمع المادة التاريخية.

ولا بد من الإشارة إلي أن الباحثين المحدثين أحسن حظاً من سابقيهم فقد توفر لهم كثير من الإمكانات ووسائل البحث، كما تم تنسيق وترتيب للمخطوطات والوثائق في المكتبات العالمية، كذلك تقدمت الخدمات المكتبية وأصبح من الميسر الحصول علي ميكرو فيلم لأي كتاب أو مخطوط في اية مكتبة من المكتبات الأكاديمية فمن الممكن أن يحصل الطالب علي كل ما يريد مثلا من مكتبة في اكسفورد أو غيرها مخطوطاً مصوراً ومطبوعاً علي أوراق.

وقد ازدادت أهمية الوثائق وازداد معها اهتمام الدول بها، وقد أقام كثير من الدول معاهد خاصة للوثائق، وزودتها بكل الوسائل التي تعين الباحث وتسهل له مهمته في دراسة الوثائق ونسخها والإفادة منها.

وقد لا يتواني الباحث في السفر إلي أي مكان يتأكد أنه سوف تحصل له إفادة أساسية في رؤية مصادر وأصول بحثه، فإنه لا شك سوف يفيد فائدة عظيمة، وسوف يري بنفسه الوثائق والكتب والمخطوطات وسوف يتعامل معها وينتقي منها ما يريد.

وبعد قيامه بعملية معرفه مصادر وأصول البحث، علي المؤرخ أن يعرف ما كتب من مؤلفات ودراسات وأبحاث قدمها المحدثون في موضوعه وهو بهذا يكون قد ألم بالمكتوب من الأصول والمراجع وأعد نفسه إعداداً طيباً وسليماً، ووضع تحت يديه مادة علمية كافية تمكنه من البده في الكتابة.

دراسة المادة علميةوتنسيقها وتبويبها:

وهذه المرحلة في الواقع متممة للمرحلة السابقة، فالباحث في مرحلة جمع المادة يدرس بطبيعة الحال مايقع تحت يديه من معلومات وحقائق وبيانات، وعليه أن يميز بين الحقيقي والمزيف، وبين الواقعي والمبالغ فيه وذلك حتي يقف بنفسه علي واقع العصر الذي يقوم بدراسته، أو علي صورة قريبة من الواقع، وهذه المرحلة يقصد بها تنقية المادة التاريخية وفحصها فحصاً جيداً يستقر بعده الباحث علي ما

سوف يعتمد عليه ويستخدمه في كتابة بحثه.

ويدرك الباحث أهمية الدور الذي يقوم به وهو يعيد النظر في دراسة وبحث وتقديم أوتأخير بيانات علي أخري، ذلك أن هذا العمل يعد بمثابة مراجعة ثانية، ونظره أكثر تعمقا إذ ربما يقوده دراسته للمادة التاريخية التي جمعها إلي قراءات اخري أو إلي زيادة ما تحت يديه من معلومات، أو ضرورة الإطلاع علي مقالات او ابحاث أو كتب جديدة.

وعلى والباحث في هذه المرحلة أن يتحري الدقة في كل ما يدرس لأنه مقدم علي مرحلة أخري تقربه من إخراج ثمرات عمل هام إلي الشكل النهائي له ،فعليه أن يتأكد من صحة النصوص التي نقلها وذلك إذا راوده الشك حول بعض منها، كما عليه يستقر علي النصوص التي يستفيد منها بصورة نهائيه حتي يبدأ في تنسيق مادة بحثه وتقسيمها إلي فصول ليتمكن من البدء في عملية الكتابة.

وتأتي هذه المرحلة بعد أن يتمم الباحث جمع مادة بحثه ودراستها دراسة وافية فاحصة يقوم خلالها بتنظيم المادة العلمية من المراحل الهامة للبحث فيها حتي لاتتداخل فصول وأقسام الدراسة ولا تتعارض ولا تتكرر.

الكتابة:

وحين يصل الباحث إلي هذه المرحلة يجب أن يضع في اعتباره أن عليه صياغة بحثه بصورة سهلة واضحة مدعمة بالأدلة الأصلية المأخوذة من مادته التاريخية التي جمعها.

ومرحلة الكتابة هي المكملة لمشوار طويل قطعه الباحث، وعليه إذن أن يتمم عملية البحث التي بدأها باحثاً عن الحقيقة، وهو حين يصوغ بحثه كتابة يضع ما توصل إليه من حقائق أمام الدارسين تاركاً الحكم لهم إما له أو عليه.

وتتطلب مرحلة الكتابة مهارات متعددة فإتقان الكاتب للغة أمر أساسى وقدرته علي حسن التعبير بها، ودقة استخدام الألفاظ والمصطلحات شيء مكمل

لعرض الصورة التاريخية التي يرسم ملامحها ودقائقها بقلمه.

وعلي الباحث في هذه المرحلة أن يتوخي الصدق والأمانة العلمية وأن يعطي كل ذي حقه حقه، وأن يبرهن علي ما يقول، وأن يذكر الأراء السابقة مقرونه بأسماء أصحابها، وأن يضع آراءه واستنتاجاته بصورة واضحة ويتطلب العرض التاريخي تسلسلاً زمنياً أو تسلسلاً موضوعياً يتصل بالمنهج الذي وضعه الباحث لنفسه

ويستطيع الباحث أن يدعم كتاباته بنصوص منقولة من المصادره الأصلية أو الدراسات السابقة مع التنويه علي ذلك ووضع ما ينقل منها بين حاصرتين.

ويختلف المؤرخون من حيث أسلوب كتاباتهم فمنهم من يتمسك بضرورة إلتزام الأسلوب العلمي في عرض التاريخ، ومنهم من يميل إلي إستخدام الأسلوب الأدبي في العرض التاريخى، وعلي أية حال فهذا متروك للكاتب مع ضرورة الإلتزام في الحالتين بوضوح الحقيقة التاريخية وعدم ضياعها من خلال العرض التاريخي أو الأسلوب الأدبي

وأخيراً يجب عليه أن يختتم بحثة بقائمة مصادره ومراجعه التي استخدمها في بحثه مرتبة وفق اهميتها ترتيباً ابجدياً، وهذا العمل في الواقع يعين من يأتي بعده ويسهل لهم عملية البحث والدراسة ويوفر لهم كثيراً من الجهد والوقت.

الحواشي والمصادر والمراجع :

يعد تسجيل الحواشي من الواجبات الهامة التي يجب علي الباحث مراعاتها بدقة إذ عليه أن يدون أسماء المصادر والمراجع والمخطوطات والوثائق والنقوش التي اعتمد عليها واستعان بها خلال دراسته إما نقلاً حرفياً أو بتصرف علي أن يشير إلي ذلك وأن يميز بين أسلوبه الخاص وما ينقله من كتب السابقين عليه.

والهوامش تضفي علي البحث قيمة كبيرة وتدل علي مقدرة الباحث علي الإطلاع وأمانته في النقل والإقتباس كما تدل الحواشي علي مدي ما بذل الباحث

من جهد في الإستعانة بالمصادر الأصلية والثانوية والإفادة منها .

ويجب أن يكون الباحث موضع ثقة القارئ فهو بالإضافة إلي كونه يخطو خطوة هامة علي طريق الأبحاث يعتمد عليها من يأتي من بعده فهو في أحيان كثيرة يقدم للقارئ مصادر جديدة هداه إليها بحثه .

وعلي الباحث أن يراعي في كتابة حواشي وهوامش بحثه الترتيب الزمني وذلك في حالة استعمال الحاشية الواحدة وعند الإشارة لأكثر من مرجع .

ومن التقاليد المعترف بها في الجامعات ومراكز العلم المختلفة ضرورة أن يحترم الباحث فيما يكتب عقلية القارئ، فهناك بديهيات لا تحتاج إلي تعريف أو تفسير أو إلي إشارة لمصدرها .

وكلما كانت الهوامش تفصيلية واضحة سهل ذلك علي الباحثين معرفتها والإطلاع عليها عند حاجتهم إلي ذلك .

والهوامش علي أية حال لا غني عنها في أيةالأبحاث الأكاديمية علمية كانت أو أدبية فهي تدعم البحث وتقويه وتضفي عليه صفة الجدية .

أما قوائم المراجع فهي متممة للرحلة الطويلة المتعددة المراحل التي يمر بها الباحث خلال إعداده لبحثه ويختم بها عمله ويجب أن يرتبها وفق الطرق المعمول بها فيمكن أن يقسمها إلي مصادر أولية وأخري ثانوية، ،كما يمكن أن يجعلها قائمة واحدة وفي الحالتين علي الباحث أن يرتب مراجعه ترتيباً أبجدياً وذلك هوالمتعارف عليه بين الباحثين.

وبعد أن يتمم الباحث هذه المراحل وفق منهج علمي يكون البحث قد اتخذ صورته شبه النهائية فيدفع به إلي المطبعة ليخرج في شكل رسالة أو مقال أو كتاب يضاف إلي الأعمال العلمية والمؤلفات التاريخية التي سبقه إليها الباحثون والعلماء والمؤرخون.

خاتمة الطبعة الأولى :

اللهم اختم أعمالنا بالخير وبما ينفع الناس، وخاتمة هذا الكتاب تقدم للقارئ خلاصة ماتضمنه من آراء وأفكار وما احتوي من نتائج هي في الواقع إحدي ثمرات عمل أكاديمي امتد علي أكثر من ربع قرن، كلها كانت عملاً كادحاً مخلصاً في جامعات مصر والعالم، لا نهدف منها سوي خدمة العلماء والباحثين.

والكتاب **علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث** يتناول موضوعاً حياً لإرتباطه بحياة الإنسان وحياة المجتمعات البشرية التي ما تفتأ تتجدد وتطور نفسها وتضيف إلي حياتها أنماطاً جديدة من الفكر والنظم والقوانين بما يتيح للإنسان حياة أفضل وبما يضمن للبشرية مستقبلاً أكثر أمناً وسلاماً وإشراقاً.

إن الموضوعات التي يبحثها هذا الكتاب تقدم مجالاً واسعاً للنقاش والمحاورة وعرض الآراء وبحث الأفكار وصولاً إلي فهم أفضل لهذا العلم، ومناهج البحث فيه.

لقد اهتم كثير من العلماء بالبحث عن ماهية هذا العلم الجليل وبذلوا جهودا كبيرة من أجل تحديد أبعاده ومجالاته، وأفاضوا في الحديث عن فوائده الدنيوية والأخروية، وناقشوا مكانته بين العلوم الأخرى باعتباره علماً من العلوم بل ذهب البعض إلي إعتباره أجل العلوم وأهمها، ونفي البعض الآخر هذا المعني وعارضوه باعتبار أن التاريخ لا يدخل في عداد العلوم، وإنما هو واحد من الفنون بينما اتجه فريق ثالث إلي التأكيد علي أن التاريخ مزيج من العلوم والفنون، بل هو علم وفن آن معاً.

وتعددت المدارس التاريخية فظهرت مدرسة المدينة باعتبارها أم المدارس التاريخية وأهمها وعنها تفرعت المدارس الأخري فظهرت بعد ذلك مدرسة الشام التي تعد امتداداً لمدرسة المدينة، كما ظهرت مدرسة العراق وإن تمتعت باستقلالية متميزة. وظهرت مدارس الأقاليم في فارس والشمال الإفريقي واليمن والأندلس

وتألقت المدرسة المصرية بعد نشأتها في القرن الثاني الهجري حتي وصلت إلي ذروة نضوجها في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

إن الجهود العظيمة التي يذلها العلماء المسلمون محدثون ومفسرون وفقهاء ومؤرخون قد أدت في واقع الأمر إلي نتاج علمي ضخم شمل كافة مجالات المعرفة النظرية منها والعملية والتطبيقية، مما يجعلنا نؤكد علي أن المدارس الإسلامية لم تكن فقط مدارس تاريخية، وأن رجالها لم يكونوا فقط من المؤرخين، وإنما خرجت هذه المدارس الجامعة العلماء في الطب والفلك والجغرافيا والكمياء والطبيعة وعلم الحيوان، وعلم النبات إلي غير ذلك من المجالات العلمية، كما قدمت للعالم علماء في التاريخ والفقه والتفسير والحديث هم في الحقيقة مؤسسو هذه العلوم علي الإطلاق.

إن إنتشار الإسلام بالشكل الذي صاحب الفتوحات الإسلامية وعلي الأسس التي وضعها رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون من بعده قد أتاح للبلاد المفتوحة، وقدم للشعوب التي اعتنقت الأسلام عن قناعة النموذج الذي احتذته تلك الشعوب، وأتاح لها المناخ الحر الذي أنتج لنا علماً عظيماً غطي جميع فروع المعرفة البشرية.

وهنا يجب أن نؤكد أن اللغة العربية التي صاحبت إنتشار الإسلام قد أثرت التأليف العلمي وتمكن أبناء العربية من أن يؤسسوا المدارس العلمية المختلفة وبرز العلماء المسلمون ليفقهوا أبناء البلاد المفتوحة، ويمهدوا لهم الطريق ثم أتاحوا لهم الفرصة للإنطلاق فكانت تلك النهضة العلمية الرائعة التي صحبت القرون الثلاثة أو الأربعة الأولي من تاريخ الفتح الإسلامي.

إن إنتشار الإسلام في القارة الأسيوية جنباً إلي جنب مع توغله وإنتشاره في القارة الإفريقية قد أعطي مجالاً رحباً للعلماء والطلاب والأساتذة علي كافة اختصاصاتهم واهتماماتهم في أن يتعلموا ويطوروا ويضيفوا ويصقلوا الفكر الإسلامي مما جعلهم سادة في هذا المجال.

ولسنا نزعم بحال من الأحوال أن الحضارة الإسلامية التي ازدهرت مع إنتشار الإسلام وإنتشار اللغة العربية كانت حضارة متغطرسة أو متعالية، إنما كانت حضارة فسيحة رحبة استوعبت كل ما وجدت من تجارب الأمم والشعوب السابقة فاستقبلتها واستوعبتها وصاغتها في شكل جديد يتلاءم مع الفكر والعقلية الإسلامية، ومع ما تتيحه المبادئ الإسلامية وصولاً إلي صقل أكمل لتلك التجارب السابقة.

كذلك فإن ما سبق ينسحب علي عقلية المسلمين الفاتحين الذين وصلوا إلى البلاد المفتوحة بعقول واعية تريد أن تصل إلي أفضل مستويات الفكر والعلم والحضارة، ومن ثم كان ذلك النتاج الهائل من المؤلفات والكتب التي أسهم فيها العرب وغير العرب فكلهم اجتمعوا تحت شعار واحد ومبدأ واحد بل وانضوا في إطار واحد هو إطار الإسلام، الدين والدولة، الأمة والمجتمع، الذي لم يفرق بين أبيض وأسود، أو بين عربي وعجمي، فكل الداخلين في الإسلام سواسية لا يميز بينهم إلا التقوي والعمل.

ومن خلال ذلك التطور العظيم تطور الفكر التاريخي، وتطور علم التاريخ إن اعتبرناه علما أو تطور فن التاريخ إن ذهبنا مع الذين يعدونه فناً من الفنون.

ويلمس القارئ مدي هذا التطور منذ القرن الأول الهجري حيث بدأ المسلمون يؤرخون تاريخهم، ويسجلون أحداث حركة مجتمعهم، خاصة بعد أن اطمأن المسلمون علي القرآن الكريم الذي أمر ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه بجمعه في المصاحف، وهنا بدأ العقل الإسلامي ينطلق ويفكر، وبدأ القلم الإسلامي يؤلف وينتج ويسجل، وهنا أيضاً شجع الخلفاء المسلمون علي ذلك فظهر الرجال الذين دونوا التاريخ ثم ظهرت بعد ذلك المدارس التاريخية الإسلامية التي أثرت العلم الإسلامي بشكل يشهد به عالمنا المعاصر الذي ويعترف لهم بالسبق والفضل في هذا المجال.

لقد وضع المؤرخون المسلمون أسس وقواعد هذا العلم وقننوا طرائق الكتابة

فيه، ووضعوا أسس أنواع الكتابة واصولها، ومن هنا كان لدينا التاريخ العام الموسوعي وتاريخ سير خلفاء المسلمين، والتاريخ الخاص بالأقاليم الإسلامية، وتاريخ الطبقات والرجال وكتب الوفيات والبلدان والجغرافيا. والمسالك والممالك، وكتب الرحلات، والرسائل الخاصة بالنقود والعملة والمسكوكات، والطرائف والنكات والأدب السياسي، وكتب الأموال والخراج، والنصائح الخاصة بالحكام والملوك، ووصف أحوال الأمم والمجتمعات إلي غير ذلك من أنواع الكتابة التاريخية التي يفخر بها المؤرخ المسلم الحديث، والتي تتطلب منه جهداً علميا مكثفاً من أجل كشف جوانب المجهول منها وإيضاحه للباحثين.

ولم يغب عن المؤرخ المسلم أن يكتب في مناهج البحث في هذا العلم فظهرت الكتب المتخصصة في الكتابة عن كيفية كتابة التاريخ، والأسس التي يجب أن يكتب وفقها، والشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يكتب التاريخ.

وكان من أهم هذه الكتب شهرة كتاب الشماريخ في علم التاريخ وكتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، إلي غير ذلك فيما تتضمنه الكتب الإسلامية الأصول من إشارات واضحة عن ذلك.

ومن هنا تتضح أهمية الكتاب الذي بين أيدينا، فقد أظهرت الدراسة أن المسلمين قد وضعوا أصول المناهج لبحث ودراسة هذا العلم، كما ألفوا في أنواع الكتابة التاريخية.

ومن ناحية أخري فقد أوضح الكتاب دور الكتاب والعلماء المسلمين في التدوين التاريخي، وجهودهم في المدارس التاريخية المختلفة، ودور كل مدرسة على حدة، بالأضافة إلي التعريف بأعلام تلك المدارس المختلفة وإسهاماتهم في التدوين التاريخي سواء في المدينة أو دمشق أو في بغداد أو في القاهرة، مع إبراز السمات العامة والخاصة بكل مدرسة، مع التركيز علي الإضافات الهامة التي قدمها رجال كل مدرسة مع المقارنة حول تميز مدرسة علي أخري من خلال دراسة النتاج العلمي لها.

وأبرز الكتاب بشكل خاص دور المدرسة المصرية في مرحلة تألقها في القرن

التاسع الهجري، ولم يغفل الكتاب أن يوضح الخطوات التي سارت فيها المدرسة المصرية منذ مرحلة القصص والرواية الشفوية، والرواية المدونة إلي التأليف التاريخي المصقول القائم علي أسس.

وهناك حقيقة أساسية يجب أن نوضحها في هذة الخاتمة وهي أن المدارس التاريخية الإسلامية كانت تتطور بحيث تواكب الواحدة منها الأخري، اي أنه لم يكن هناك إنفصال بين تلك المدارس بل كان التواصل بين علماء وشيوخ تلك المدارس قائماً، ويعد من أهم العوامل التي طورت الكتابة التاريخية الإسلامية بشكل عام.

كذلك يجب أن نوضح أن المدارس التاريخية كانت إمتداداً لمدارس الحديث، بل إن معظم المؤرخين المسلمين الأول كانوا من المحدثين، ومن هنا طبق هؤلاء طريقة كتابة الحديث علي كتابة التاريخ مما ظل واضحاً طيلة القرون الثلاثة أو الأربعة الهجرية الأولي.

وقد أكسب هذا المنهج الكتابة التاريخية قيمة علمية عظيمة، بل وأضاف إليها خبرة المحدث التي تجعل من الرواية التاريخية رواية علمية تتمتع بالقوة وتتصف بالحيدة والموضوعية، ودقة النقل وصدق الرواية.

إن دراسة علم التاريخ ومناهج البحث فيه تتطلب خبرة ومقدرة علمية معينة بحيث تمكن المؤرخ من أن يضع سجلاً واضح المعالم لتطور هذا العلم منذ بدايته حتي قمة التطور الذي وصل إليه علي يد علماء القرن التاسع الهجري في مصر.

وهذا ما حاولنا أن نؤكده في هذا الكتاب علي مدي فصوله السبع التي تناولت بدايات التدوين ودور المؤرخ القديم في تدوين أحداث حياته وتطوراتها سواء في مصر أو العراق أو الشام، خاصة دوره في تبيان أثر الإستقرار في تطور عقلية الإنسان القديم وتطور نظمه وقوانينه، وأهمية قيام الدولة باعتبارها أهم التطورات السياسية التي شهدها العالم القديم.

وانتقل الكتاب بعد ذلك إلي إبراز دور المسلمين في التدوين، وإسهامات العلماء المسلمين في هذا المجال، وصولاً إلي نشأة المدارس التاريخية ثم خصص الفصل السادس

للحديث عن العلوم المساعدة لدراسة التاريخ، واختتم الكتاب بالأصول المنهجية المتبعة في كتابة التاريخ وصياغته حتي يصل إلي الشكل النهائي مروراً بمراحله المختلفة من اختيار الموضوع، وجمع المادة العلمية، وتنسيقها وفق خطة البحث وأبوابه.

وكان الخط الأساسي الذي نسجت حوله خيوط هذا الكتاب هو أن المؤرخ المسلم المعاصر يتحمل عبئاً كبيراً ومسئولية ضخمة، فهو مسئول أولاً عن تأصيل علم التاريخ وتوثيقه، وهومسئول ثانياً عن كشف النقاب عن كثير من المخطوطات العربية التي تؤدي بالتأكيد إلي تيسير وتعميق لفهم التاريخ، وتوظيف أفضل للمادة العلمية التي تحتويها تلك المخطوطات. ثم هو مسئول أيضاً عن ضرورة كشف الزيف الذي من الممكن أن ينشأ عن طريق اهتمام المستشرقين بتراثنا الإسلامي، سواء في خلال القرنين الماضيين أو القرن الحالي الذي يشهد نشاطاً ملحوظاً من المستشرقين المحدثين في تجمع يمكن للعقل الفاحص من إدراكه لأحياء ما بداه المستشرقون في القرن الثامن عشر، وذلك لسبب خطير وهو الإحساس الحقيقي بقيمة الدور الذي يمكن أن يقوم به المؤرخ المسلم،في مناخ يشهد صحوة حقيقية للفكر الإسلامي،وصحوة حقيقية للعودة إلي الخط الإسلامي الذي يجب أن يكون ويجب أن يعود ليشمل كافة مجالات حياتنا.

إن عودة العقل المسلم إلي وضعه الحقيقي، وعودة المفكر المسلم إلي الطريق السليم، وإحياء الدعوة إلي الإسلام الصحيح الذي يؤرق أعداء الإسلام الذين يحسبون لذلك ألف حساب يضاعف من مسئولية المؤرخ المسلم الذي عليه أن يحافظ علي الحقيقة، وأن يحمي الحياد والموضوعية وأن يرعي الله فيما يكتب، ويحترم عقلية الباحث، وأن يعلم أنه مسئول عما يكتب للأجيال القادمة فهو شاهد عيان وعليه مسئولية الشهادة علي أحداث العصر الذي يؤرخ له.

وقد توصلنا خلال دراستنا لهذا الموضوع إلي عدد من النتائج الهامة نجد من المفيد أن نشير إليها فيما يلي:

١- أهمية إعادة النظر بشكل جاد في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وهذه

دعوة إلي المؤرخين المسلمين إلي ضرورة تضافر الجهود وبصورة سريعة إلي تقديم صياغة جديدة وكتابة جديدة لتاريخنا الإسلامي.

٢- أهمية دراسة الوثائق البردية فهي تضفي حقائق لم تكن معروفة ونصوراً كان غائباً عن المؤرخ في فترات سابقة، ومن ثم أصبح من المهم توظيف هذه المعلومات الجديدة في كتابة تاريخنا.

٣ - أوراق الجنيزا التي يستخدمها المستشرقون يجب أن يوجه إليها الاهتمام بشكل اكبر وذلك لأهميتها القصوي للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

٤- ضرورة الاهتمام بتاريخ الطوائف التي يتكون منها المجتمع المصري بشكل خاص والمجتمعات الإسلامية بشكل عام.

٥- ضرورة العناية بالمخطوطات وتوجيه الأهتمام الاكبر إلي تحقيق المزيد منها.

٦- الحاجة ماسة إلي القواميس والمعاجم للمصطلحات الفنية التي تحتويها المخطوطات والآثار خاصة فيما يتعلق بالوظائف والألقاب والأدوات والملابس والعملة وما إلي ذلك مما بفيد الباحثين في هذا المجال.

٧- تطوير وسائل البحث في التاريخ خاصة وأن ثورة الاتصال وثورة المعلومات تجعل الباحثين في سباق مع هذا التطور المذهل الذي توصل إليه الباحثون في العالم الحديث، وذلك لتضييق الفجوة بينه وبين حركة البحث العلمي في الدول المتقدمة.

٨- ضرورة التبادل العلمي بين جامعاتنا وجامعات العالم، وذلك للوقوف علي أحدث الوسائل العلمية التي تعين الباحثين وتسهل لهم مهمة البحث.

وبعد..

فإن الله عز وجل لا يضيع أجر من احسن عملا خاصة إذا كان ذلك العمل في مجال العلم وخدمة العلماء واكد ذلك في كتابه العزيز فقال:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

ربنا اجعل عملنا خالصاً لوجهك، صالحاً نافعاً للمسلمين باحثين وعلماء.

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب علم التاريخ: دراسة في مناهج البحث تضم بين دفتيها ما رأيت اضافته أو حذفه مما يفيد الباحث، كما اعدت فيها تقسيم الكتاب فأصبح يضم فصولا تسعة.

وفيها نؤكد مرة أخري علي أهمية دور المؤرخ المسلم في العصر الحديث، وخطورة المسئولية الملقاة علي عاتقه، في عصر اختلطت فيه الأمور، وتاهت فيه القيم وغزت فيه الافكار الدخيلة والواردة عقول أجيالنا الجديدة، فأصبحت غير قادرة علي التمييز بين الأصيل والدخيل فتضاربت الأراء الصالحة مع الفاسدة.

ولما كان البقاء دائما للأصلح فإن الحاجة اصبحت ملحة إلي إعادة كتابة تاريخ هذه الأمة، لتنقيتة مما علق به، وتوضيح الحقائق التي يحاول البعض طمسها، وتجلية المنهج الصحيح في كتابته وتدوينه، من أجل حاضر مطمئن ومستقبل اكثر اطمئنانا لاجيالنا القادمة.

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل وأن يعيننا علي الحق وأن يمدنا بمدد من عنده انه نعم المولي ونعم النصير.

د. فتحية النبراوي

مدينة نصر:

غرة رجب ١٤١٦

١٩٩٥/١١/٢٤

المــصــادر والـمــراجــع

اولاً: المراجع العربية.

ثانيا : المراجع الأجنبية.

ابن الأثير عز الدين أبي الحسن على أبي الكرم محمد بن عبد الواحد
الشيباني الكامل في التاريخ :١٣ جزء دار صادر بيروت، ١٩٦٥ .
ابن اسحق محمد بن اسحق بن يسار:
سيرة ابن اسحق المسماه بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي: تحقيق وتعليق محمد حميد الله قونيا تركيا، ١٩٨١ .
ابن تغرى بردى أبو المحاسن جمال الدين الأتابكى:
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: تحقيق محمدمحمد امين، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤ .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- ١٦ جزء، القاهرة، ١٩٧٢ .
ابن خلدون عبد الرحمن:
المقدمة: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر:
وفيات الأعيان وأبناء الزمان تحقيق إحسان عباس . ٨ أجزاء دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ .
ابن خياط خليفة:
تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق اكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية دار القلم، بيروت، ١٩٧٧ .
ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى المكنى بأبى عبد الله
الطبقات الكبري. ١٣ جزء، دار صادر، بيروت.
ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله:
فتوح مصر واخبارها. تحقيق تشارلز توري، ليون، ١٩٢٠ .
ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم:
الإمامة والسياسة: تحقيق طه الزيني. جزءان، القاهرة، ١٩٦٧ .
ابن هشام أبو محمد عبد الملك المعافرى:
السيرة النبوية: تحقيق وضبط مصطفي السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ

شلبي . مجلدان : البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥ .

ابو عبيد القاسم بن سلام:

كتاب الأموال: تحقيق محمد خليل الهراس، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٥ .

أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم:

كتاب الخراج: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

اتكن هـ. ج:

دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية. تعريب محمود زايد، بيروت، ١٩٦٣ .

أحمد سليمان (دكتور):

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة: جزءان. دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩ .

اسحق عبيد (دكتور):

معرفة الماضي من هيردوت إلي توينبي: دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١ .

أسد رستم:

مصطلح التاريخ، بيروت، ١٩٣٩ .

السيد الباز العريني (دكتور):

مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٦٢ .

السيد مصطفى سالم (دكتور):

المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (١٥٣٨- ١٦٣٥) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٧٦ .

أنور الجندى:

معالم التاريخ الإسلامي المعاصر: القاهرة، ١٩٨١ .

جلال الدين السيوطى عبد الرحمن أحمد بن أبى بكر:

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ،طبعة الوطن، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

أنور الجندى:

معالم التاريخ الإسلامي المعاصر: القاهرة، ١٩٨١.

جلال الدين السيوطى عبد الرحمن أحمد بن أبى بكر:

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ،طبعة الوطن، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

-تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٩.

- مقامة الكاوي علي تاريخ السخاوي- مخطوط- دار الكتب، ادب ١٥١٠.

جمال الدين الشيال (دكتور):

التاريخ والمؤرخون في القرن التاسع عشر، القهرة، ١٩٥٨.

جوردون تشايلد:

ماذا حدث في التاريخ- دراسة لتطور الحضارة منذ العصر الحجري حتي نهاية العصور القديمة، ترجمة- جورج حداد، القاهرة، ١٩٥٦.

حسن الباشا (دكتور):

الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية- دار النهضة العربية، ثلاثة اجزاء، القاهرة، ١٩٦٦.

حسن عثمان (دكتور):

منهج البحث التاريخي دار المعارف، القاهرة ١٩٤٣.

حسين نصار:

التدوين التاريخي عند العرب، دار النهضة المصرية، القاهرة،بدون تاريخ إصدار.

خضر أحمد عطا الله (دكتور):

الحياة الفكرية في عهد الفاطميين، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٩.

رشيد الناضورى (دكتور)

التطور التاريخي للفكر الديني: دار مكتبة الجامعة العربية. بيروت ١٩٦٩.

روزنتال فرانز:

علم التاريـخ عند المسلمين، ترجمـة صالح العلي، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، ١٩٨٣

زكى على (دكتور)

علم البردي. تراث مصري أصيل القاهرة ١٩٨٢

السخاوى محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان:

التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ إصدار.

- الأعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، بيروت، ١٩٧٩.

- التحفة اللطيفـة في تاريخ المدينة الشريفة- ٣ أجزاء- عناية أسـعد طرابيزوني، مكة المكرمة، ١٩٧٩.

سليمان الخطيب (دكتور):

فكرة التاريخ بين السخاوي والكافيجي، القاهرة، ١٩٩١.

سيدة اسماعيل كاشف (دكتورة):

مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، القاهرة، ١٩٧٦.

سيديو . ل. أ:

تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٦٩.

شاكر مصطفى:

التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ج٢، بيروت، ١٩٧٨.

الطبرى محمد بن جرير:

الرسل والملوك: تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. ١٠ أجزا. القاهرة، ١٩٦٧.

عبد الرحمن بدوى:

النقد التاريخي، الكويت، ١٩٧٩.

عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور):

الفكر التاريخي في مصر إيان العصر العثماني، المجلة التاريخية المغربية تونس ١٩٨٠

عبد العزيز الدورى (دكتور):

بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، ١٩٦٠.

عبد العزيز سالم (دكتور):

التاريخ والمؤرخون عند العرب، الاسكندرية، ١٩٦٧.

عبدالله عنان:

مؤرخو مصر الأسلامية ومصادر التاريخ المصري، القاهة ١٩٦٤

عبد المنعم ماجد (دكتور):

مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة ١٩٦٤

ذيل علي مقدمة لدراسة التاريخ الأسلامي القاهرة ١٩٧٩

عفت الشرقاوى (دكتورة):

أدب التاريخ عند العرب، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٦.

على ابراهيم حسن (دكتور):

استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، الطبقة الثالثة ١٩٨٠.

على خليل أبو العينين:

البحث التاريخي في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩.

على سامى النشار (دكتور):

مناهج البحث عند مفكري الإسلام: دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.

عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان:

كتابة البحث العلمي، دار الشروق، ١٩٨٧.

عماد الدين الكاتب الأصفهاني:

الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق صبيح- القاهرة، ١٩٦٢.

فرانز روزنتال:

مناهج العلماء المسلمين، ترجمة أنيس فريحه ووليد فرحات، دار الثقافة،

بيروت، ١٩٦١.

فتحية النبراوى (دكتورة):

إنشاءات القاضي الفاضل، دراسة وتحقيق وتعليق، القاهرة، ١٩٨٠.

مكانة السخاوي بين مؤرخي مصر الإسلامية، بحث مقدم في ندوة السخاوي: الجمعية التاريخية المصرية بالتعاون مع المجلس الأعلي للثقافة، مارس، ١٩٨١.

قاسم عبده قاسم (دكتور):

المؤرخون في العصور الوسطي، تاليف رايلي سمالي، القاهرة، ١٩٧٨.

القلقشندى أبو العباس أحمد بن على:

صبح الأعشي في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر- ١٤ جزء- القاهرة، ١٩٦٣.

الكمال الادفوى:

الطالع السعيد الجامع إسماء نجباء الصعيد. تحقيق سيد محمد حسن. مراجعة طه الحاجري. الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦.

لطفى عبد الوهاب (دكتور):

هوميروس، الأسكندرية، ١٩٦٨.

ليلى عبد اللطيف (دكتورة):

دراسة في تاريخ ومؤرخي مصر والشام ابان العصر العثماني القاهرة.، ١٩٧٩

محمد رشاد خليفة (دكتور):

مدرسة الحديث في مصر، القاهرة، ١٩٩١.

محمد رشاد خليل:

المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ، القاهرة، ١٩٩١.

محمد ضياء الدين الريس: (دكتور):

الخراج في الدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٩.

النظريات السياسيه في مصر الأسلامية- دار المعارف. القاهرة ١٩٦٩

محمد مصطفى زيادة (دكتور):

المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، القاهرة، ١٩٤٩.

المسبحي محمد بن عبيد الله:

أخبار مصر في سنتين ٤١٤- ٤١٥هـ، تحقيق وليم ج ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.

المسعودى أبو الحسن على بن الحسين بن على:

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: ٤ أجزاء القاهرة، ١٩٦٤.

مصطفى الشكعة (دكتور):

مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

المقريزى تقى الدين أحمد:

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- جزءان- بيروت، بدون تاريخ نشر.

شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، القاهرة، ١٩٩٠.

نجيب ميخائيل ابراهيم (دكتور):

مصر والشرق الأدني القديم، ج١(مصر) الأسكندرية، ١٩٥٧.

مصر والشرق الأدني القديم، ج٤، الحضارة، الأسكندرية، ١٩٥٩.

هرنشو:

علم التاريخ- ترجمة عبد الحميد العبادي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧.

هوميروس:

الإلياذة- ترجمة أمين سلامة، القاهرة، ١٩٨١.

ياقوت الحموي:

معجم البلدان / ٥ أجزاء بيروت.

يحيى بن آدم:

كتاب الخراج :بعناية الشيخ أحمد محمد شكر، القاهرة، ١٣٠٩هـ.

ثانياً : المراجع الأجنبية:

* Aristotle. The Politis. Translqted with an Lntroduction by T.A. Sinclair. Great Britain. 1962.

* The Ethics. Transited J.A.Thamson London 1965

* Breasted. Development of Religion & Thought in Ancient Egypt. New York. 1959.

* Brien Tierney.. The Middle Ages Reading in Medieval History. New York. 1970.

* Bosworth. G.E. The Islamic Dymasties, Edinburgh. 1967.

* Budge.E.A. Wallas. Book of Te Dead,London.1969.

* Dante Alleghieri. Te Divine Comedy. Translated by Dorothy L Sayers & Barbara Reynolds. 3 vols. London. 1966.

* Emery. W. B. Archaic Egypt. Edinburgh. 1961.

* Freeman. G.S & Greenville. The Muslim &Christian Calenders London. 1963.

* Gabrieli . F. Arab Historians of the Crusades, London. 1969.

* Gardiner. A. (Sir) Egypt of the pharaos. Oxford. 1962.

Grorge Roux. Ancient Iraq. London. 1964.

* Gibb. H.A.R (Sir) Studies on Islanic Givlization. London, 1962.

Herodtus. The Histories, Translated by A. de Selincourt. London. 1954.

* Krammer. S. N. History Begins at Summer, London. 1961.

* Leonard Woolly, Digging up the past, Great Britain. 1960.

Lewis &Holt Historians of The Middle East., London. 1962.

* Oman. Ch. The writing of History,London. 1939.

* Parker.William. The MLA Style sheet, New York. 1968.

* Rosenthal. E, Political Thought in Medieval Islam, Gambridge. 1967.

*Rosenthal. F.A History of Muslim Historiogaphy. Leiden. 1952.

* The Technique & Approach of Muslim Scholarhip. Rome. 1947.

* Sanders. N.K. The Epic of Gilgamish, English Version. London 1960.

* Sauvaget. J.Introduction a LHistoire del Orient Muslmann. Paris. 1939.

* Toynbee. A,A study of History 2 vols.. Oxford. 19620

* Ulmann. W,A History of Political Thought in the Middle Ages.
London. 1965.

* Walsh. W.H, Introduction To Philosophy of History, London.
1951.

* Wilson. J.. The Culture of Ancient Egypt. London.1963.

٩٦ / ٣٠١٩	رقم الإيداع
977 - 5727 - 00 - 6	الترقيم الدولى I. S. B. N